

أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ

٥٣٥

الجزء الثالث

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ ونزلت بتسريح
قامت بها هيئة بإشراف الناشر

مكتبة المعارف
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب كيف بدأ الوحي

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم
كان ذلك وله (س) من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن
المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة .

قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن
الزبير عن عائشة رضي الله عنها . أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله (س) من الوحي الرؤيا الصالحة
في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء
فيتحنث فيه — وهو التعب — الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع
إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء . فجاءه الملك فقال اقرأ . فقال : ما أنا
بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ،
فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني
فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : [اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من
علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم] فرجع بها رسول الله (س) يرجف

مؤاده فسئل على خديجة بنت خويلد . فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . قال
 لخديجة - وأخبرها الخبر - لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً .
 إنك لتصل الرحم وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق ،
 فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرأ قد
 تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالمعبرانية ما شاء الله أن
 يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك قال له
 ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله (س) ، خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس
 الذي كان ينزل على موسى ، ياليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً ، إذ يخرجك قومك . قال رسول
 الله (س) : « أو أخرجني هم ؟ » فقال : نعم . لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي . وإن
 يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً . ثم لم ينشأ ورقة أن توفي وفتر الوحي ^(١) فترة . حتى حزن
 رسول الله (س) - فيما بلغنا - حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهد الجبال فكلم أوفى
 بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدي له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك
 جأشه ، وتقر نفسه . فخرج فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا كمثل ذلك . قال فاذا أوفى بذروة جبل
 تبدي له جبريل فقال له : مثل ذلك هكذا وقع مطولا في باب التعبير من البخاري . قال ابن شهاب :
 وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال - وهو يحدث عن فترة
 الوحي - فقال في حديثه : « بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فاذا الملك
 الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض . فرعبت منه . فرجعت قلت : زملوني ،
 زملوني فأنزل الله (يا أيها المدثر) قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) فخمى الوحي
 وتتابع . ثم قال البخاري تابعه عبد الله بن يوسف ، وأبو صالح ، يعني عن الليث ، وتابعه هلال بن
 داود عن الزهري . وقال يونس ومعر : - بوادره . وهذا الحديث قد رواه الامام البخاري رحمه الله
 في كتابه في مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولا في أول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي اسناداً
 ومتناً والله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الليث به ، ومن طريق يونس ومعر عن الزهري كما علقه
 البخاري عنهما ، وقد مررنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته والله الحمد وانتهى سياقنا الى قول
 ورقة : أنصرك نصرأ مؤزراً .

(١) الى هنا رواية البخاري في صحيحه مع اختلاف في بعض الالفاظ لاتغير المعنى .

قول أم المؤمنين عائشة . أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، يقوى ما ذكره محمد بن اسحاق بن يسار عن عبيد بن عمر الليثي أن النبي (ص) قال : « فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، فقلت ما اقرأ؟ ففتنى ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني » وذكر نحو حديث عائشة سواء ، فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرحاً بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : في كتابه دلائل النبوة حدثنا محمد بن احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا جناب بن الحارث حدثنا عبد الله بن الأجلح عن ابراهيم عن علقمة بن قيس . قال : إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده .

عمره (ص) وقت بعثته وتاريخها

قال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن عامر الشعبي أن رسول الله (ص) نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشراً بمكة وعشراً بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة . فهذا اسناد صحيح إلى الشعبي وهو يقتضي أن اسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل .

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا . ثم وكل به اسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بمجاء فكان يلقي اليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً إلى أن جاءه جبريل . فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات ، فحكّت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع اسرافيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة اسرافيل .

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن هشام عن عكرمة عن ابن عباس أنزل على النبي (ص) وهو ابن ثلاث وأربعين فحكّت بمكة عشراً وبالمدينة عشراً . ومات وهو ابن ثلاث وستين ، وهكذا روى يحيى بن سعيد وسعيد بن المسيب ثم روى احمد عن غندر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعث (رسول الله ص) وأنزل عليه القرآن ، وهو ابن أربعين سنة فحكّت بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشرين . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقال الامام

أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال أقام النبي (ص) بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله (ص) يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله (ص) : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » انتهى كلامه .

وانما كان رسول الله (ص) يحب الخلاء والافراد عن قومه ، لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وقويت محبته للخلة عند مقاربة إيماء الله إليه صلوات الله وسلامه عليه . وقد ذكر محمد بن اسحاق عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة - قال : وكان واعية - عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله (ص) يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه . وكان من تنسك قريش في الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة . وهكذا روى عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك ، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة :

ونورٍ ومن أرسى بُييراً مكانه وراقٍ ليرقى في حراءٍ وما زل

هكذا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني رحمهم الله ، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه : وراقٍ ليرقى في حرٍ وما زل وهذا ركك ومخالف للصواب والله أعلم .

وحراء يقصروا ويمتد ويصرف ويمنع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار إلى منى ، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية والغار في تلك الحنية وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج

فلا وربّ الآمات القطن وربّ ركنٍ من حراءٍ مُنحني

وقوله في الحديث : والتحنّث التبعّد ، تفسير بالمعنى ، وإلا فحقيقة التحنّث من حنث البنية^(١) فيما قاله السهيلي الدخول في الحنث ولكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كحنث أي خرج من الحنث وتحوب ونحرج وثأثم وتهجد هو ترك المجهود وهو النوم للصلاة وتنحس وتقذر أوردتها أبو شامة . وقد سئل ابن الأعرابي عن قوله يتحنّث أي يتعبد . فقال : لا أعرف هذا إنما هو يتحنف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : والعرب تقول التحنّث

والتحنف يبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا جدف وجذف كما قال رؤبة :

* لو كان أحجارى مع الأحذاف *

يريد الأجداث . قال وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول فُم في موضع ثم قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين وفومها أن المراد نومها .

وقد اختلف العلماء في تعبدته عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا ؟ وما ذلك الشرع وقيل شرع نوح وقيل شرع إبراهيم . وهو الأشبه الأقوى . وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به ، ولبسط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخرى في أصول الفقه والله أعلم .

وقوله حتى فجئه الحق وهو بغار حراء أى جاء بغته على غير موعد كما قال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك) الآية . وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهى (اقرأ باسم ربك الذى خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) وهى أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك فى التفسير وكما سيأتى أيضا فى يوم الاثنين كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم أنزل على فيه » وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وبى يوم الاثنين وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء : انه عليه الصلاة والسلام أوحى اليه يوم الاثنين ، وهذا مالا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك فى شهر ربيع الأول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام ، فى الثانى عشر من ربيع الأول يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء ، والمشهور انه بعث عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان ، كما نص على ذلك عبيد بن عمير ، ومحمد بن اسحاق وغيرهما . قال ابن اسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس) فقيل فى عشره . وروى الواقدي بسنده عن أبى جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل فى الرابع والعشرين منه . قال الامام احمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبى المليح عن وائلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » وروى ابن مردويه فى تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعا نحوه ، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

وأما قول جبريل (اقرأ) قال: «ما أنا بقارئ» فالصحيح ان قوله «ما أنا بقارئ» نقيض
 أى لست ممن يحسن القراءة. وممن رجحه النووي وقبله الشيخ أبو شامة. ومن قال إنها استفهامية
 فقوله بعيد لأن الباء لا تزداد في الإثبات. ويؤيد الأول رواية أبي نعيم من حديث المعتمر بن
 سليمان عن أبيه: فقال رسول الله (ص) — وهو خائف برعد — «ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه
 وما أكتب وما أقرأ» فأخذه جبريل ففَتَّه غَتًّا شديداً. ثم تركه فقال: له اقرأ. فقال محمد (ص)
 «ما أرى شيئاً أقرأه، وما أقرأ، وما أكتب» بروى فغطني كما في الصحيحين وعتى وروى قد
 غتنى أى خنفتى «حتى بلغ مني الجهد» بروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع. وفعل به
 ذلك ثلاثاً.

قال أبو سليمان الخطابي: وإنما فعل ذلك به ليبلى صبره ويحسن تأديبه فيرقض لاحتلال ما كلفه
 به من أعباء النبوة، ولذلك كان يعتره مثل حال المحموم وتأخذه الرحضاء أى البهر والعرق. وقال
 غيره: إنما فعل ذلك لأمر: منها أن يستيقظ لعظمة ما يلقي إليه بعد هذا الصنيع المشتق على
 النفوس. كما قال تعالى (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه
 الوحي يحمر وجهه ويفط كما يفظ البكر من الابل ويتفصد جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد.
 وقوله فرجع بها رسول الله (ص) إلى خديجة يرجف فؤاده. وفي رواية: بوادره، جمع بادرة قال
 أبو عبيدة: وهى لمة بين المنكب والعنق. وقال غيره: هو عروق تضطرب عند الفزع وفي بعض
 الروايات ترجف بأدله واحدها بادرة. وقيل بادل: وهو ما بين العنق والترقوة وقيل أصل الثدى.
 وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك.

قال: «زملوني زملوني» فلما ذهب عنه الروح قال لخديجة: «مالى؟ أى شئ عرض لي؟»
 وأخبرها ما كان من الأمر. ثم قال: «لقد خشيت على نفسي» وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده
 قبل ذلك، ولا كان في خلقه. ولهذا قالت خديجة: ابشر، كلا والله لا يخزيك الله أبداً. قيل من
 الخزي، وقيل من الحزن، وهذا لعلها بما أجرى الله به جميل العوائد في خلقه أن من كان متصفاً
 بصفات الخير لا يخزي في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجايده
 الحسنة. فقالت: إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث — وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه
 عليه عند الموافق والمفارق — وتحمل الكل. أى عن غيرك تعطى صاحب العيلة ما يريحه من ثقل
 مؤنة عياله — وتكسب المعدم أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسنة
 قبل غيرك. ويسمى الفقير معدوماً لأن حياته ناقصة. فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم:

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميت الأحياء

وقال أبو الحسن التهامي ، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم :
عدّ ذا الفقر ميتاً وكساه كفنّاً بالياً ومأواه قبراً

وقال الخطابي : الصواب (وتكسب المعدم) أى تبذل إليه أو يكون تلبس المعدم بعتية مالا يعيش به . واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي أن المراد بالمعدوم ههنا المال المعطى ، أى يعطى المال لمن هو عادمه . ومن قال إن المراد أنك تكسب بالتجارة المعدوم ، أو النفيس القليل النظير ، فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع وتكلف ما ليس له به علم ، فان مثل هذا لا يمدح به غالباً ، وقد ضعف هذا القول عياض والنووي وغيرهما والله أعلم .

وتقرى الضيف - أى تكرمه في تقديم قراه ، واحسان مأواه . وتعين على نوائب الحق ويروى الخير ، أى إذا وقعت فائبة لأحد في خير أعنت فيها ، وقت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش ، وقوله : ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . وقد قدماً طرفاً من خبره مع ذكرو زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله . وانه كان ممن تنصّر في الجاهلية ففارقهم وارتحل إلى الشام ، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش فتنصروا كلهم ، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق ، إلا زيد بن عمرو بن نفيل فانه رأى فيه دخلاً وتخبیطاً وتبديلاً ونحريراً وتأييلاً . فأبت فطرته الدخول فيه أيضاً ، وبشروه الأخبار والرهبان بوجود نبي قد أرف زمانه واقترب أوانه ، فرجع يتطلب ذلك ، واستمر على فطرته وتوحيده . لكن اخترمته المنية قبل البعثة المحمدية . وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسمها في رسول الله (ص) كما قدمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له ، وما هو منطوق عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وما ظهر عليه من الدلائل والآيات ، ولهذا لما وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله (ص) وجاءت به إليه فوفقت به عليه . وقالت : ابن عم اسمع من ابن أخيك ؛ فلما قص عليه رسول الله (ص) خبر ما رأى قال ورقة : سُبُوحٌ سُبُوحٌ : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى ، لأنه كانت شريعته منعمة ومكاملة لشريعة موسى عليهما السلام ، ونسخت بعضها على الصحيح من قول العلماء . كما قال (ولأحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم) . وقول ورقة هذا كما قالت الجن : [يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق إلى طريق مستقيم] . ثم قال ورقة : يا ليتنى فيها جذعا . أى يا ليتنى أكون اليوم شاباً متمكناً من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح ، يا ليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك يعنى حتى أخرج ملك وأنصرك ؟ فتمدها قال رسول الله (ص) : « أو مخرجى تم ؟ » قال السهيلي وإنما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، فقال : نعم ! انه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن

يُذَكِّرُنِي يَوْمَكَ أَنْصِرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا أَيْ أَنْصِرَكَ نَصْرًا عَزِيزًا أَبَدًا. وَقَوْلَا: «ثُمَّ لَمْ يَنْشِبْ وَرَقَةٌ أَنْ تَوَفَّى» أَيْ تَوَفَّى بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ بِقَلِيلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، فَانْ مِثْلَ هَذَا الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ تَصْدِيقٌ بِمَا وَجَدَ وَآمَنَ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْوَحْيِ وَنِيَّةٍ صَالِحَةٍ لِلْمُسْتَقْبَلِ.

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا حَسَنٌ عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ حَدَّثَنِي أَبُو الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ. أَنَّ خَدِيجَةَ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ (س) عَنْ وَرَقَةٍ بَنَ نُوْفَلٌ فَقَالَ: «قَدْ رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ فَأَحْسَبُهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ». وَهَذَا اسْنَادٌ حَسَنٌ لَكِنْ رَوَاهُ الزَّهْرِيُّ وَهَشَامٌ عَنْ عُرْوَةَ مَرْسَلًا فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى عَنْ شَرِيحِ بْنِ يُونُسَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مَجَالِدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (س) سُئِلَ عَنْ وَرَقَةٍ بَنَ نُوْفَلٌ فَقَالَ: «قَدْ رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ أَبْصَرْتُهُ فِي بَطْنَانِ الْجَنَّةِ وَعَلَيْهِ السَّنَدُ». وَسُئِلَ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ فَقَالَ: «يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحِدَةً». وَسُئِلَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: «أَخْرَجْتُهُ مِنْ غَمْرَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ إِلَى ضَحْضَاحٍ مِنْهَا» وَسُئِلَ عَنْ خَدِيجَةَ لِأَنَّهَا مَاتَتْ قَبْلَ الْفَرَائِضِ وَأَحْكَامِ الْقُرْآنِ - فَقَالَ: «أَبْصَرْتُهَا عَلَى نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ» اسْنَادٌ حَسَنٌ وَلِبَعْضِهِ شَوَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَارُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هَشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ. قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (س): «لَا تَسْبُوا وَرَقَةً فَأَنْتِ رَأَيْتِ لَهَا جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ» وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشْجَعِ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنْ هَشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ وَهَذَا اسْنَادٌ جَيِّدٌ. وَرَوَى مَرْسَلًا وَهُوَ أَشْبَهُ.

وَرَوَى الْحَافِظَانِ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ فِي كِتَابَيْهِمَا دَلَالِلَ النُّبُوَّةِ مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ بَكْرِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ شَرْحِبِيلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (س) قَالَ لَخَدِيجَةَ: «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نَدَاءً، وَقَدْ هَشَيْتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا أَمْرٌ». قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ مَا كَانَ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَوُدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ. فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَلَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ (س) ثُمَّ ذَكَرْتُ لَهُ خَدِيجَةَ فَقَالَتْ: يَا عَتِيقُ أَذْهَبَ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةٍ. فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (س) أَخَذَ بِيَدِهِ أَبُو بَكْرٍ. فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةٍ قَالَ: «وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟» قَالَ خَدِيجَةُ فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ فَقَصَّأَ عَلَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (س): «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نَدَاءَ خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَانْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ». فَقَالَ لَهُ لَا تَفْعَلْ. إِذَا آتَاكَ فَاتَّبِعْ، حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَكَ ثُمَّ اثْنَتَيْنِ فَأَخْبِرْنِي. فَلَمَّا خَلَا فَادَّاهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) حَتَّى بَلَغَ (وَلَا الضَّالِّينَ) قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَأَتَى وَرَقَةً فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةٌ: ابْشِرْ ثُمَّ ابْشِرْ. فَأَمَّا اشْهَدْ

انك الذي بشر بك ابن مريم ، وانك على مثل ناموس موسى ، وانك نبي مرسل ، وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن ادركني ذلك لأجاهدك معك . فلما توفى . قال رسول الله (ص) : « لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني » يعني ورقة . هذا لفظ البيهقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة اول ما نزل . وقد قدمنا من شعره ما يدل على اضماره الايمان وعقده عليه وتأكده عنده ، وذلك حين اخبرته خديجة ما كان من امره مع غلامها ميسرة وكيف كانت الغرامة تظله في هجير القيط . فقال ورقة في ذلك اشعارا قدمناها قبل هذا ، منها قوله :

لججت وكنت في الذكري لجوجاً لأمر طالما بعث التشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف فقد طال انتظاري يا خديجا
بطن المكتن على رجائي حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس من الرهبان أكره ان يعوجا
بأن محمداً سيؤد قوماً ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن^(١) تموجا
فيلقى من بحاربه خساراً ويلقى من يسأله فلوجا
فيالبي إذا ما كان ذا كم شهدت وكنت أولهم ولوجا
ولو كان الذي كرهت قریش ولو عجت بمكثها عجيجا
أرجي بالذي كرهوا جميعاً إلى ذي العرش اذ سفلوا عرجا
فان يبقوا وأبق يكن أمورا يضح الكافرون لها ضجيجا
وقال أيضاً في قصيدته الأخرى :

وأخبار صدق خبرت عن محمد بختها عنه إذا غاب ناصح
بأن ابن عبد الله احمد مرسل إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقاً كما أرسل العبدان هوداً وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له بهاء ونشور من الحق^(٢) واضح
ويتبعه حياً لؤي بن غالب شباههم والأشيمون الجحاجح
فان ابقى حتى يدرك الناس دهره فاني به مستبشر الودّ فارح
وإلا فاني يا خديجة فاعلمي عن أرضك في الأرض العريضة سائح

(١) وردت في السيرة لابن هشام : أن تموجا . مع بعض اختلاف في بعض الالفاظ .

(٢) في الحلبية : من الذكر واضح .

وقال يونس من بكير عن ابن اسحاق قال ورقة :

فان يك حقاً يا خديجة فاعلمي - حديثك إيانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكل معهما - من الله وحى يشرح الصدر منزل
يفور به من فاز فيها بتوبة - ويشقى به العاني الغرير المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه - وأخرى بأحوال الجحيم تعلل
إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت - مقام في هاهناهم ثم تشعل
فسبحان من يهوي الرياح بأمره - ومن هو في الأيام ما شاء يفعل
ومن عرشه فوق السموات كلها - واقضاه في خلقه لا تبذل

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجال وصرف الدهر والقدر - وما لشيء قضاء الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها - أمراً أراه سيأتي الناس من آخر
وخبرتني بأمر قد سمعت به - فيما مضى من قديم الدهر والمصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره - جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت على الذي ترجين ينجزه - لك الأله فرجتي الخير وانتظري
وأرسله إلينا كي نساؤه - عن أمره ما يرى في النوم والسر
فقال حين أنا ما منوطاً عجبا - يقف منه أعالي الجلال والشعر
إني رأيت أمين الله واجهني - في صورة أكلت من أعظم الصور
ثم استمر فكاد الخوف يذعري - مما يسلّم من حولي من الشجر
فقلت ظني وما ادري أصدقني - ان سوف يبعث يتلو منزل السور
وسوف يبليك ان اعلنت دعوتهم - من الجهاد بلا من ولا كدر

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من الدلائل وعندى في صحتها عن ورقة نظر والله أعلم

وقال ابن اسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية التقي - وكان داعية - عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجة أبعد حتى يحمر الثوب عنه ويفضى الى شعاب مكة ويطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله . قال فالتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فكثرت كذلك يرى ويسمع ما شاء الله لمن سمكت ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بمجرأه في رمضان قال ابن اسحاق وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال

سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا يا عبيد كيف كان بدو ما ابتدئ به رسول الله (ص) من النبوة حين جاءه جبريل قال فقال عبيد وأنا حاضر - يحدث عبد الله ابن الزبير ومن عنده من الناس - : كان رسول الله (ص) يجاور في حراء في كل سنة شهراً يتحنث قال وكان ذلك مما يحب به قريش في الجاهلية والتحنث التبرر فكان رسول الله (ص) يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضي جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعمائة أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعث فيها وذلك الشهر رمضان خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرم الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى قال رسول الله (ص) : « فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ ؟ قلت ما اقرأ ؟ قال ففتني حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال اقرأ ؟ قلت ما اقرأ ؟ قال ففتني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ، فقال اقرأ ؟ قلت ما اقرأ ؟ قال ففتني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني . فقال اقرأ ؟ قلت ما أقرأ ؟ ألا اقتدا منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي فقال : [اقرأ باسم ربك الذي خلق الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ع - لم الإنسان ما لم يعلم] . قال قرأتها ثم انتهى وانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتابا . قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسي إلى السماء فأنظر فاذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر إليه فما أقدم وما تأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أقدم أملى وما أراجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبه فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكائي ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى نخذه مضيئا إليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي ثم حدثتها بالذي رأيت . قالت أبشريا ابن العم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده اني لارجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله (ص) . فقال ورقة : قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وأنه لنبي هذه الأمة ، وقولي له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله (ص) فاخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله (ص) جواره وانصرف كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقية ورقة بن نوفل وهو يطوف

بالسكبة فقال يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبه وتؤذنه وتخرجنه ولتقاتله ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يا فوحه ثم انصرف رسول الله (ص) إلى منزله . وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتلوطة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضي الله عنها فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة ليلته ويحتمل أنه كان بعده بمدة والله أعلم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال وكان فيما بلغنا أول ما رأى يعنى رسول الله (ص) أن الله تعالى أراه رؤيا في المنام فشق ذلك عليه فذكرها لامراته خديجة فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت أبشر فان الله لم يصنع بك إلا خيرا ثم إنه أخرج من عندها ثم رجع اليها فاخبرها أنه رأي بطنه شق ثم غسل وطهر ثم أعيد كما كان قالت هذا والله خير فابشر ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فاجلسه على مجلس كريم معجب كان النبي (ص) يقول أجلسني على بساط كهنة الدنوك فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن رسول الله (ص) فقال له جبريل اقرأ فقال كيف اقرأ فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » . قال ويزعم ناس أن « يا أيها المدثر » أول سورة نزلت عليه والله أعلم . قال فقبل رسول الله (ص) رسالة ربه واتبع ما جاءه به جبريل من عند الله فلما انصرف منقلبا إلى بيته جعل لا يمر على شجر ولا حجر الا سلم عليه فرجع إلى أهله مسرورا . وقتنا أنه قد رأى أمرا عظيما فلما دخل على خديجة قال أرايتك التي كنت حدثتك أني رأيته في المنام فانه جبريل استعلن إلى أرسله إلى ربي عز وجل وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا واقبل الذي جاءك من أمر الله فانه حق وأبشر فانك رسول الله حقا . ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاما لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نينوى يقال له عداس فقالت له يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتنى هل عندك علم من جبريل فقال : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان . فقالت : أخبرني بعلمك فيه . قال فانه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام . فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من أمر النبي (ص) وما ألقاه اليه جبريل . فقال لها ورقة : يا بنية أخي ما أدري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يحبونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، وأقسم بالله لا إن كان إياه ثم

أظهر دعواه وأنا حتى لا بلين الله في طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر . فمات ورقة رحمه الله . قال الزهري فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله (س) . قال الحافظ البيهقي بعد إirاده ما ذكرناه والذي ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به في صباه يعني شق بطنه عند حليمة ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ثم نالته حين عرج به إلى السماء والله أعلم . وقد (١) ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة ورقة باسناده إلى سليمان بن طرخان التيمي . قال : بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقص ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : ابشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً فبينما هو ذات يوم في حراء وكان يفر اليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه تخافه رسول الله (س) . مخافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه . فقال : اللهم احطط وزره ، واشرح صدره ، وظهر قلبه ، يا محمد ابشرا فانك نبي هذه الأمة . اقرأ فقال له نبي الله : وهو خائف يرعد - ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ فأخذه جبريل ففته فتناً شديداً ثم تركه ثم قال له اقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهية الدرنوك فرأى فيه من صفاته وحسنه كهية اللؤلؤ والياقوت وقال له : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الايات ثم قال له لا تخف يا محمد إنك رسول الله ثم انصرف وأقبل على رسول الله (س) . همه فقال كيف أصنع وكيف أقول لقومي ثم قام رسول الله (س) . وهو خائف فأناه جبريل من امامه وهو في صعرته فرأى رسول الله (س) . أمراً عظيماً ملأ صدره فقال له جبريل لا تخف يا محمد جبريل رسول الله جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله فأيقن بكرامة الله فانك رسول الله فرجع رسول الله (س) . لا يمر على شجر ولا حجر الا هو ساجد يقول السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة ابصرت ما بوجهه من تغير لونه فأفرعها ذلك ، فقامت اليه فلما دنت منه جعلت تسمع عن وجهه وتقول لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم فقال يا خديجة أرايت الذي كنت أرى في المنام والصوت الذي كنت اسمع في اليقظة وإهال منه فانه جبريل قد استعملني وكلني واقرأني كلاماً فزعت منه ثم عاد إلى فأخبرني اني نبي هذه الأمة فأقبلت راجعاً فأقبلت على شجر وحجارة فقلن السلام عليك يا رسول الله . فقالت خديجة : ابشر فوالله لقد كنت أعلم ان الله لن يفعل بك إلا خيراً واشهد انك نبي هذه الأمة الذي تنتظره اليهود قد اخبرني به ناصح غلامى وبخيري الراهب وامرني ان أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل برسول الله (س) . حتى طعم دسرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها .

قال : مالك يا سيدة نساء قريش ؟ فقالت : أقبلت اليك لتخبرني عن جبريل فقال سبحانه الله ربنا القدوس ما بال جبريل يذكرك في هذه البلاد التي يعبد أهلها الاوثان جبريل أمين الله ورسوله الى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى، فعرفت كرامة الله لمحمد ثم أتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له عداس فسألته فاخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد . قال : جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه ، وكان معه حين كله الله على الطور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذي أيده الله به . ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك ثم سألتها ما الخبر فاحلفت أن يكتم ما تقول له فحلف لها فقالت له إن ابن عبد الله ذكر لي وهو صادق أحلف بالله ما كذب ولا كذب أنه نزل عليه جبريل بحراء وأنه أخبره أنه نبي هذه الامة وأقرأه آيات أرسل بها . قال : فدعرت ورقة لذلك وقال لئن كان جبريل قد استقرت قدماء على الارض لقد نزل على خير أهل الارض وما نزل إلا على نبي وهو صاحب الانبياء والرسل يرسله الله اليهم وقد صدقتك عنه فارسلني إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدثه فاني أخاف أن يكون غير جبريل فان بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بني آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد للعقل الرضى مدحها مجنوناً . فقامت من عنده وهي واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً فرجعت إلى رسول الله (ص) فاخبرته بما قال ورقة فانزل الله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » الآيات . فقال لها : كلا والله إنه لجبريل فقالت له أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه فجاءه رسول الله (ص) فقال له ورقة هذا الذي جاءك جاءك في نور أو ظلمة فاخبره رسول الله (ص) عن صفة جبريل وما رآه من عظمتها وما أوحاه اليه . فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشئ تبغله قومك وانه لا مر نبوة فان أدرك زمانك أتبعك ثم قال أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به . قال : وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله (ص) فشق ذلك على الملأ من قومه قال وفتقر الوحي . فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله قلاه فانزل الله والضحي وألم نشرح بكلماتها . وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثني اسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله (ص) فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك . فقال نعم ! فقالت : إذا جاءك فاخبرني . فبينما رسول الله (ص) عندها إذ جاء جبريل فقرأه رسول الله (ص) . فقال : يا خديجة ! هذا جبريل قالت ! أترأه الآن قال نعم ! قالت فاجلس إلى شقي الايمن فتحول فجلس فقالت أترأه الآن قال نعم ! قالت فتحول فاجلس في حجرها فتحول فجلس في حجرها فقالت هل تراه الآن قال نعم ! فتحصرت رأسها فقالت

خارها ورسول الله (ص)، جالس في حجرها فقالت هل تراه الآن قال لا قالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك يا ابن عم فائتت وأبشر ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق .

قال ابن اسحاق فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنني سمعتها تقول أدخلت رسول الله (ص)، بينها وبين درعها فذهب عندك ذلك جبريل عليه السلام . قال : البيهقي وهذا شيء كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً . فاما النبي (ص)، فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه (ص)، تسليماً .

وقد قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضي الله عنه . أن رسول الله (ص)، قال : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن بعث إني لأعرفه الآن » . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أن رسول الله (ص)، قال : « إن بمكة لحجراً كان يسلم على ليالي بعثت إني لأعرفه إذا مرت عليه » . وروى البيهقي من حديث اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن عباد بن عباد بن عبد الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال : كنا مع رسول الله (ص)، بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله . وفي رواية لقد رأيته أدخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه .

فصل في الوحي

قال البخاري في روايته المتقدمة ثم فتر الوحي حتى حزن النبي (ص)، فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤس شواقي الجبال فكلما أوفى بنزوة جبل لكي يلتقي نفسه تبسدي له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك فإذا أوفى بنزوة جبل تبسدي له جبريل فقال له مثل ذلك . وفي الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال سمعت أبا سلمة عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله (ص)، يحدث عن فترة الوحي قال : فبينما أنا أشق سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والجنت منه فراقاً حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فأنزل الله : « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » قال ثم حمى الوحي وتتابع فهذا كان أول ما نزل من القرآن

بعد فترة الوحي لا مطلقاً ، ذاك قوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل (يا أيها المدثر) واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فان في سياق كلامه ما يدل على تقدم بحىء الملك الذى عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً اليه . ثم قوله : يحدث عن فترة الوحي دليل على تقدم الوحي على هذا الإيحاء والله أعلم . وقد ثبت في الصحيحين من حديث على بن المبارك وعند مسلم والاوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أى القرآن أنزل قبل فقال : (يا أيها المدثر) فقلت (واقرأ باسم ربك) فقال سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أنزل قبل فقال (يا أيها المدثر) فقلت (واقرأ باسم ربك) فقال قال رسول الله (س) : « إني جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر شيئاً ثم نظرت إلى السماء فاذا هو على العرش فى الهواء فاخذتني رعدة - أوقال وحشة - فأتيت خديجة فامرتهم فدنوني فانزل الله : (يا أيها المدثر) حتى بلغ (وثيابك فطهر) - وقال فى رواية - فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجلست منه » وهذا صريح فى تقدم اتيانه اليه وانزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم . ومنهم زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة (والضحي والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها . قاله محمد بن اسحاق . وقال بعض القراء : ولهذا كبر رسول الله (س) فى أولها فرحاً وهو قول بعيد يرد ما تقدم من رواية صاحبي الصحيح من أن أول القرآن نزولاً بعد فترة الوحي : (يا أيها المدثر قم فانذر) ولكن نزلت سورة والضحي بعد فترة أخرى كانت ليالى يسيرة كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث الاسود بن قيس عن جندب بن عبد الله البجلي قال : اشتكى رسول الله (س) فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة ما أرى شيطانك الا تركك فانزل الله (والضحي والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى) وبهذا الأمر حصل الارسال إلى الناس وبالأول حصلت النبوة . وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصفاً ، والظاهر والله أعلم أنها المدة التى اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبي وغيره ، ولا ينشئ هذا تقدم إيحاء جبريل اليه أولاً (اقرأ باسم ربك الذى خلق) ثم اقترن به جبريل بعد نزول (يا أيها المدثر قم فانذر) وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) وثم حى الوحي بعد هذا وتتابع - أى تدارك شيئاً بعد شئ - وقام حينئذ رسول الله (س) فى الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والاحرار والعبيد ، فأمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانته كل جبار عنيد ، فكان أول من يادر إلى التصديق من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، ومن الغلمان على بن أبى طالب ، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام ، ومن الموالى مولاة زيد بن حارثة الكلبي رضى

الله عنهم وأرضاهم . وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحي ومات في الفترة رضى الله عنه .

قصص القرآن

﴿ في منع الجن ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن ثلاثاً يختطف أحدهم ﴾

منه ولو حرطاً واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق ﴾

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجهم عن السماء كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله : [وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهاباً . وأنا كنا نعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ، وأنا لا ندرى أشد أريد من في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً] . وقال تعالى : (وما تنزل به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) . قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد - وهو الطبراني - حدثنا عبد الله بن محمد ابن سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد ابن جبيرة عن ابن عباس . قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فاما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فتكون باطلا ، فلما بعث النبي (ص) منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابلis ولم تكن النجوم يرى بها قبل ذلك فقال لهم ابلis هذا لأمر قد حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله (ص) قائماً يصلي بين جبلين فاتوه فأكبروه فقال هذا الأمر الذي قد حدث في الأرض . وقال أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس . قال : انطلق رسول الله (ص) وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم ؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمر نفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : (يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجيباً يهدي إلى الرشداً فآمننا به ولن نشرك بربنا أحداً) فوحي الله إلى نبيه (ص) : (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) الآية . أخرجه في الصحيحين وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولم مقاعد للسمع فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديد القيثها على الصفا ، قال فإذا سمعت الملائكة خروا سجداً فلم يرفضوا رؤسهم

حتى ينزل فاذا نزل قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فان كان مما يكون في السماء قالوا الحق وهو
 العلى الكبير ، وإن كان مما يكون في الأرض من أمر الغيب أو موت أو شيء مما يكون في الأرض
 تكلموا به فقالوا يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فيترلونه على أوليائهم فلما بعث النبي محمد
 (ص) دحروا بالنجوم فكان أول من علم بها ثقيف فكان ذو النعم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح
 كل يوم شاة وإذا الليل فينحدر كل يوم بعيراً فاسرع الناس في أموالهم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا
 فان كانت النجوم التي يهتدون بها وإلا فانه لأمر حدث فنظروا فاذا النجوم التي يهتدى بها كما
 هي لم يزل منها شيء فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا وانطلقت
 الشياطين إلى ابليس فاخبروه . فقال : هذا حدث حدث في الأرض فأتوني من كل أرض بتربة
 فأتوه بتربة تهامة فقال ههنا الحديث . ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن
 السائب . وقال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن عمر بن عبدان العبسي عن كعب قال
 لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله (ص) فرمى بها فرأت قريش أمراً لم تكن تراه
 فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ففعلت
 ثقيف مثل ذلك فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف . قال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا رمى
 بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء فقال إن افادة المال بعد ذهابه شديد فلا تمجلوا وانظروا فان
 تكن نجوما تعرف فهو عندها من فناء الناس وإن كانت نجوما لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا
 فاذا هي لا تعرف فاخبروه فقال الأمر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبي . فما مكثوا إلا يسيراً حتى
 قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أهواله فجاء عبد ياليل فذا كره أمر النجوم فقال أبو سفيان :
 ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي مرسل فقال عبد ياليل فعند ذلك رمى بها . وقال سعيد بن
 منصور عن خالد بن حصين عن عامر الشعبي . قال : كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث رسول الله
 (ص) فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم . فقال عبد ياليل : أنظروا فان كانت النجوم التي تعرف فهو
 عند فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فاذا هي لا تعرف . قال : فامسكوا
 فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي (ص) . وروى البيهقي والحاكم من طريق العوفي عن
 ابن عباس قال : لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه .
 فلعل مراد من نفي ذلك انها لم تكن تحرس حراسة شديدة ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت في
 الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله
 عنهما بينا رسول الله (ص) جالس إذ رمى بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رمى بهذا ؟ »
 قال كنا نقول مات عظيم ، وولد عظيم فقال : « لا ولكن » . فذكر الحديث كما تقدم عند خلق

السما وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق والله الحمد .

وقد ذكر ابن اسحاق في السيرة قصة رمى النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم في النظر في النجوم : إن كانت أعلام السماء أو غيرها ولكن سماه عمرو بن أمية فآله أعلم . وقال السدي لم تكن السماء تحترق إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمد (ص) قد اتخذت المقاعد في سما الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً (ص) نبيا رجوا ليلة من الليالي ، ففرغ لذلك أهل الطائف . فقالوا : هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ، ويسبيون مواشيهم . فقال لهم عبد ياليل بن عمرو ابن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف امسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أماكنها فلم يهلك أهل السماء وإنما هو من ابن أبي كبشة ، وإن أنتم لم تروها فقد أهلك أهل السماء فانظروا فأروها فكفوا عن أموالهم وفرغت الشياطين في تلك الليلة فاتوا ابليس فقال اثنتوني من كل أرض بقبضة من تراب فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله (ص) في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلاهم تصيبه ثم أسلموا فانزل الله أمرهم على نبيه (ص) . وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم - يعني اسحاق - عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : لما بعث رسول الله (ص) أصبح كل صنم منكساً فأتت الشياطين فقالوا له ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكساً ، قال هذا نبي قد بعث فآلتمسوه في قرى الأرياف فآلتمسوه فقالوا لم نجده فقال أنا صاحبه فخرج يلتمسه فنودي عليك بجنبة الباب - يعني مكة - فآلتمسه بها فوجده بها عند قرن الثعالب فخرج إلى الشياطين فقال : إني قد وجدته معه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : نزين الشهوات في عين أصحابه ونحببها إليهم قال فلا آتني إذا . وقال الواقدي حدثني طلحة بن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله (ص) منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب فجاءوا إلى ابليس فذكروا ذلك له فقال : أمر قد حدث هذا نبي قد خرج عليكم بالأرض المقدسة فخرج نبي إسرائيل قال فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا ليس بها أحد فقال ابليس أنا صاحبه فخرج في طلبه بمكة فاذا رسول الله (ص) بهراء متحدراً معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال قد بعث أحمد ومعه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نجيبها إلى الناس قال فذاك إذا . قال الواقدي : وحدثني طلحة ابن عمرو عن عطاء عن ابن عباس . قال : كانت الشياطين يستمعون الوحي فلما بعث محمد (ص) منعوا فشكوا ذلك إلى ابليس فقال : لقد حدث أمر فرقي فوق أبي قبيس - وهو أول جبل وضع على وجه الأرض - فرأى رسول الله (ص) يمد يده إلى خلف المقام . فقال : اذهب فاكسر عنقه . فجاء يخطر

وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا فولى الشيطان هاربا . ثم رواه الواقدي وأبو احمد الزبيدي كلاهما عن رباح بن أبي معروف عن قيس بن سعد عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال فركضه برجله فرماه بعدن .

فَضَّلَهُ

في كيفية اتيان الوحي إلى رسول الله (س)

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة ، وثاني مرة أيضا وقال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها . إن الحارث بن هشام سأل رسول الله (س) . قال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : « أحيانا يأتيني مثل صلصة الجرس - وهو أشده على - فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا يكلمني فأعي ما يقول » . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته (س) ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقا أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به . ورواه الامام احمد عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة به نحوه . وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة ، وقد رواه أيوب السخيتاني عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال سألت رسول الله (س) قلت كيف يأتيك الوحي ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة . وفي حديث الافك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله (س) ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه . فآخذه ما كان يأخذه من البرءاء حتى أنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو في يوم شات من ثقل الوحي الذي نزل عليه . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس بن سليم قال املى على يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القاري سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله (س) الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل ، وذكر تمام الحديث في نزول (قد أفلح المؤمنون) وكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائي : منكر لا نعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه . وفي صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن عن حطان ابن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت . قال : كان رسول الله (س) إذا نزل عليه الوحي كربه ذلك وتر بدوجه - وفي رواية وغمض عينيه - وكنا نعرف ذلك منه . وفي الصحيحين حديث زيد ابن ثابت حين نزلت (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت (غير أولى الضرر) . قال وكانت نخد رسول الله (س) على نخدي وأنا أكتب فلما نزل الوحي كادت نخذه ترض نخدي . وفي صحيح مسلم من حديث هام بن يحيى عن عطاء عن يعلى بن أمية . قال قال

لى عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى إليه؟ فرقع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجرأة، فإذا هو بمحجر الوجه. وهو يغط كما يغط البكر. وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المنلصع ليلا، فقال عمر: قد عرفناك يا سودة. فرجعت إلى رسول الله (ص) فسألته وهو جالس يتعشى والعرق في يده، فلوحي الله إليه والعرق في يده، ثم رفع رأسه فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لما جئكن». فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه احساسه بالكلية، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه دائما عليه. وقال أبو داود الطيالسي حدثنا عباد بن منصور حدثنا عكرمة عن ابن عباس. قال: كان رسول الله (ص) إذا أنزل عليه الوحي تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم. وفي مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله هل تمس بالوحي؟ قال: «نعم اسمع، صلاصلا» ثم أثبت عند ذلك، وما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تفيض منه». وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا إبراهيم بن الحجاج حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم بن كليب حدثنا أبي عن خاله العليان بن عاصم. قال: كنا عند رسول الله (ص) يوم أنزل عليه، وكان إذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحة، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل. وروى أبو نعيم من حديث قتيبة حدثنا علي بن غراب عن الاحوص بن حكيم عن أبي عوانة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة. قال: كان رسول الله (ص) إذا نزل عليه الوحي صدع وغلف رأسه بالحناء. هذا حديث غريب جدا. وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية سنان عن ليث عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد. قالت: إني لا آخذة بزمام العضباء فاقه رسول الله (ص)، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تنق عضد الناقة. وقد رواه أبو نعيم من حديث الثوري عن ليث بن أبي سليم به. وقال الامام احمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني جبر بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو. قال: أنزلت على رسول الله (ص) سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فترل عنها. وروى ابن مردويه من حديث صباح ابن سهل عن عاصم الاحول حدثني أم عمرو عن عمها انه كان في مسير مع رسول الله (ص) فترلت عليه سورة المائدة، فاندق عنق الراحلة من ثقلها. وهذا غريب من هذا الوجه. ثم قد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله (ص) مرجعه من الحديبية، وهو على راحلته، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم. وقد ذكرنا أنواع الوحي إليه (ص) في أول شرح البخارى وما ذكره الحلبي وغيره من الأئمة رضى الله عنهم.

قصص الأنبياء

قال الله تعالى : (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) وقال تعالى : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ، وقل رب زدني علما) وكان هذا في الابتداء ، كان عليه السلام من شدة حرصه على اخذه من الملك ما يوحى اليه عن الله عز وجل ليساوقه في التلاوة ، فأمره الله تعالى ان ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي ، وتكفل له ان يجمعه في صدره ، وان يعسر عليه تلاوته وتبليغه ، وان يبينه له ، ويفسره ويوضحه ويوقفه على المراد منه . ولهذا قال : (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما) وقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أي وأن تقرأه (فاذا قرأناه) أي تلاه عليك الملك (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وتدبره (ثم إن علينا بيانه) وهو نظير قوله (وقل رب زدني علما) . وفي الصحيحين من حديث موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله (س) يعالج من التنزيل شدة ؛ فكان يحرك شفثيه ، فانزل الله (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) قال فكان إذا أمه جبريل أطرق ، فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل .

قصص الأنبياء

قال ابن اسحاق : ثم تنابح الوحي إلى رسول الله (س) وهو مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله - على رضا العباد وسخطهم - وللنبوة أثقال ومثونة لا يحملها ولا يستضع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ؛ وما يرد عليهم مما جاؤا به عن الله عز وجل ففرض رسول الله (س) على ما أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والاذى .

قال ابن اسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره ، وكانت اول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاءه منه فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن اسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر . قال قال رسول الله (س) : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب ، لأصحب فيه ولا نضب » . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث هشام . قال ابن هشام : القصب هاهنا اللؤلؤ المحجوف .

قال ابن اسحاق: وجعل رسول الله (ص) يذكر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله. وقال موسى بن عقبة عن الزهري: كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله، قبل أن تفرض الصلاة.

قلت: يعني الصلوات الخمس ليلة الاسراء. فأما أصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضي الله عنها كما سنبينه.

وقال ابن اسحاق: وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله، وصدق بما جاء به. ثم إن جبريل أتى رسول الله (ص) حين افترضت عليه الصلاة فهمزله بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء زمزم، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجعات، ثم رجع النبي (ص) وقد أقر الله عينه، وطابت نفسه، وجاءه ما يحب من الله، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين، فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم ركع ركعتين وأربع سجعات، ثم كان هو وخديجة يصليان سرّاً.

قلت: صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين، فبين له أوقات الصلوات الخمس، أولها وآخرها، فإن ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الاسراء، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة، وعليه التكلان.

فصل في أول من أسلم

أول من أسلم من متقدمي الاسلام والصحابة وغيرهم

قال ابن اسحاق: ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان. فقال علي يا محمد ما هذا؟ قال دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسوله، فادعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته. وأن تكفر باللات والعزى. فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب. فكره رسول الله (ص) أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن امره. فقال له: يا علي إذ لم تسلم^(١) فآتكم. فمكث على تلك الليلة، ثم إن الله اوقع في قلب علي الاسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله (ص) حتى جاءه فقال ماذا عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله (ص): «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الانداد» ففعل علي واسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكم على اسلامه ولم يظهره، وأسلم ابن حارثة — يعني زيدا — فمكنا قريباً من شهر يختلف على إلى رسول الله (ص)، وكان

(١) في المصرية: اذ لم تسمع فآتكم.

مما أنتم الله به على أنه كان في حجر رسول الله (ص)، قبل الاسلام .

قال ابن اسحاق : حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : وكان مما أنتم الله به على أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله (ص) لعمة العباس - وكان من أيسر بني هاشم - « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة ، فاطلق حتى تخفف عنه من عياله » فآخذ رسول الله (ص) عليا فضمه اليه ، فلم يزل مع رسول الله (ص) حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علي وآمن به وصدقه . وقال يونس بن بكير عن محمد ابن اسحاق حدثني يحيى بن أبي الاشعث الكندي - من أهل الكوفة - حدثني اسماعيل بن أبي إلياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف - وكان عفيف أخا الاشعث بن قيس لأمه - أنه . قال : كنت امرأة فاجراً قدمت مني أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرأة فاجراً ، فأتته ابتاع منه وايممه ، قال فبينما نحن إذ خرج رجل من خباء قمام يصلي تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة قمامت تصلي ، وخرج غلام قمام يصلي معه . قلت : يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندرى ما هو فقال : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به . قال عفيف فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانيا . وثابه إبراهيم بن سعد عن ابن اسحاق ، وقال : في الحديث : إذ خرج رجل من خباء قريب منه ، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلي . ثم ذكر قيام خديجة وراه . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا سعيد بن خنيم عن أسد ابن عتبة البجلي عن يحيى بن عفيف . قال : جئت زمن الجاهلية إلى مكة ، فترلت على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة قمام مستقبلاً فلم يلبث حتى جاء غلام قمام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة قمامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجداً معه ، قلت يا عباس أمر عظيم ! قال أمر عظيم . فقال أتدرى من هذا ؟ قلت لا ، قال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدرى من الغلام ؟ قلت لا . قال هذا علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - أتدرى من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت لا ، قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي . وهذا حدثني أن ربك رب السماء والأرض أمره بهذا الذي ترام عليه ، وإيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . وقال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا عيسى بن سودة بن أبي الجعد حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والسكبي . قالوا : على أول من أسلم . قال السكبي : أسلم وهو ابن تسع سنين وحدثنا

ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن اسحاق . قال : أول ذكر آمن برسول الله (ص) وصلى معه وصدقه
 علي بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله (ص) قبل الاسلام . قال الواقدي
 أخبرنا ابراهيم عن نافع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : أسلم علي وهو ابن عشر سنين قال
 الواقدي : واجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله بسنة . وقال محمد بن كعب : أول
 من أسلم من هذه الامة خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي ، وأسلم علي قبل أبي بكر ، وكان علي
 يكتنم إيمانه خوفاً من أبيه ، حتى لقيه أبوه قال أسلمت ؟ قال نعم ! قال وازر ابن عمك وانصره . قال
 وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الاسلام . وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شعبة عن أبي
 بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس . قال : أول من صلى على : وحدثنا عبد الحميد بن يحيى
 حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر . قال : بعث النبي (ص) يوم الاثنين وصلى
 علي يوم الثلاثاء . وروى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة - رجل من الانصار -
 سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله (ص) علي بن أبي طالب قال فذكرته
 للنخعي فانكره . وقال : أبو بكر أول من أسلم . ثم قال حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء عن
 المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق
 الاكبر ، لا يقولها بعدى الا كاذب مفتر ، صليت قبل الناس بسبع سنين . وهكذا رواه ابن
 ماجه عن محمد بن اسماعيل الرازي عن عبيد الله بن موسى الفهمي - وهو شيعي من رجال الصحيح -
 عن العلاء بن صالح الازدي الكوفي - وثقه ، ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق الشيعة - وقال
 علي بن المديني روى أحاديث مناكير والمنهال بن عمرو ثقة . وأما شيخه عباد بن عبد الله - وهو
 الاسدي الكوفي - فقد قال فيه علي بن المديني هو ضعيف الحديث ، وقال البخاري فيه نظر . وذكره
 ابن حبان في الثقات ، وهذا الحديث منكر بكل حال ، ولا يقوله علي رضي الله عنه ، وكيف يمكن
 أن يصلي قبل الناس بسبع سنين ؟ هذا لا يتصور أصلاً والله أعلم . وقال آخرون : أول من أسلم من
 هذه الامة أبو بكر الصديق ، والجمع بين الاقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر
 السياقات - وقيل الرجال أيضاً - وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان
 علي بن أبي طالب . فانه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت .
 وأول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من اسلام من تقدم ذكرهم
 إذ كان صدراً معظماً ، ورئيساً في قريش مكرماً ، وصاحب مال : وداعية إلى الاسلام . وكان محبباً
 متأنفاً يبذل المال في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله . قال يونس عن ابن اسحاق ثم إن أبا بكر
 الصديق لقي رسول الله (ص) فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلھتنا ، وتسفھك

عقولنا ، وتكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله (ص) : « بلى إني رسول الله ونبيه ، بعثني لابلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته » وقرأ عليه القرآن ، فلم يقر ولم ينكر . طس لم يكفر بالاصنام ، وخلع الانداد وأقر بحق الاسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله (ص) قال : « ما دعوت أحداً إلى الاسلام إلا كانت عنده كبرة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ماعكم عنه حين ذكرته ، ولا ترد فيه » حك — أي تلبث — وهذا الذي ذكره ابن اسحاق في قوله فلم يقر ولم ينكر ، منكر فان ابن اسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله (ص) قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن حجته وكرم أخلاقه ، ما يمنعه من الكذب على الخلق . فكيف يكذب على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعم ، ولا عكم وقد ذكرنا كيفية اسلامه في كتابنا الذي أوردناه في سيرته وأوردناه فضائله وشماله واتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً وأوردناه ما رواه كل منهما عن النبي (ص) من الاحاديث ، وما روى عنه من الآثار والاحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات والله الحمد والمنة . وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الخصومة وفيه . فقال رسول الله (ص) : « إن الله بعثني اليكم قتلتم ككذبت ، وقال أبو بكر صدق . وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي » مرتين . فما أودى بعدها ، وهذا كالتص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه وقد روى الترمذي وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد . قال قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ألت أحق الناس بها ، ألت أول من أسلم ، ألت صاحب كذا ؟ وروى ابن عساکر من طريق بهلول بن عبيد حدثنا أبو اسحاق السبيعي عن المارث سمعت علياً يقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلى مع النبي (ص) من الرجال علي بن أبي طالب . وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع النبي (ص) ، أبو بكر الصديق . رواه احمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح . وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم علي بن أبي طالب . قال عمرو بن مرة فذكرته لأبراهيم النخعي فأنكره وقال أول من أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وروى الواقدي بإسناده عن أبي أروى الدوسي وأبي مسلم بن عبد الرحمن في جماعة من السلف أول من أسلم أبو بكر الصديق . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو بكر الحليدي حدثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول

عن رجل قال سئل ابن عباس من أول من آمن ؟ قال : أبو بكر الصديق ، أما سمعت قول حسان :
 إذا تذكّرتُ شجّوا من أخي ثقةً فاذكّرْ أخاك أبا بكرٍ بما فُلا
 خيرَ البريّة أوفاهَا وأعدّها بعدَ النبيِّ وأولاها بما تحملا
 والتاليُ الثانيُ المحمودُ مشهدهُ وأولُ الناسِ منهم صدقُ الرّسلا
 عاشَ حميداً لأمرِ الله متّبعاُ بأمرِ صاحبه الماضي وما انتقلا

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شيخ لنا عن مجالد عن عامر قال سألت ابن عباس - أو
 - سئل ابن عباس - أي الناس أول إسلاما ؟ قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره . وهكذا
 رواه الهيثم بن عدي عن مجالد عن عامر الشعبي سألت ابن عباس فذكره . وقال أبو القاسم البغوي
 حدثني سريج بن يونس حدثنا يوسف بن الماجشون قال أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ،
 وربيعه بن أبي عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكون أن أول القوم إسلاما
 أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

قلت : وهكذا قال إبراهيم النخعي ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعد بن إبراهيم وهو
 المشهور عن جمهور أهل السنة . وروى ابن عسّاكر عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما
 قالا : لم يكن أولهم إسلاما ، وليكن كان أفضلهم إسلاما . قال سعد : وقد آمن قبله خمسة . وثبت في
 صحيح البخاري من حديث همام بن الحارث عن عمار بن ياسر . قال : رأيت رسول الله (ص) وما
 معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر . وروى الامام احمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي
 النجود عن زر عن ابن مسعود . قال : أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله (ص) ، وأبو بكر ،
 وعمار ، وأمه محبة ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد . فاما رسول الله (ص) فثمنه الله بعه ، وأما أبو بكر
 منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم
 من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ،
 فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد . وهكذا رواه الثوري
 عن منصور عن مجاهد مرسل . فاما ما رواه ابن جرير قائلا أخبرنا ابن حميد حدثنا كنانة بن حبل (١)
 عن إبراهيم بن طهمان عن حجاج عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص .
 قال قلت لأبي أكان أبو بكر أولكم إسلاما قال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان
 أفضلنا إسلاما . فانه حديث منكر اسنادا ومتنا . قال ابن جرير وقال آخرون : كان أول من أسلم زيد
 ابن حارثة ، ثم روى من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب ، سألت الزهري من أول من أسلم من
 النساء ؟ قال خديجة . قلت فمن الرجال ، قال زيد بن حارثة . وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير

(١) في الاصلين حبل بالهمزة وفي ابن جرير حبل بالميم نقلا عن محمود الامام

واحد أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة . وقد أجلب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الاقوال بان أول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن الغلمان على بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن اسحاق : فلما أسلم أبو بكر وأظهر اسلامه دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه محباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلهم وتجارتهم وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الاسلام من وثق به من قومه ممن يفتشاه ويجلس اليه فأسلم على يديه فيما بلغنى الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله (س) ، ومعهم أبو بكر . فعرض عليهم الاسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الاسلام فآمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الاسلام صدقوا رسول الله (س) وآمنوا بما جاء من عنده . وقال محمد بن عمر الواقدي حدثني الضحاك ابن عثمان عن مخزومة بن سليمان الوالى عن ابراهيم بن محمد بن أبي طلحة . قال قال طلحة بن عبيد الله حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول : سلوا أهل الموسم أفبهم رجل من أهل الحرم ؟ قال طلحة قلت نعم أنا ، فقال هل ظهر احمد بعد ؟ قلت ومن احمد ؟ قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الانبياء يخرج من الحرم ، ومهاجره إلى نخل وحره وسباخ ، فإياك أن تسبق اليه . قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال ، فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حديث ؟ قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين قد تنبأ ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبي قحافة . قال فخرجت حتى قدمت على أبي بكر ، فقلت اتبعت هذا الرجل ؟ قال نعم فانطلق اليه فادخل عليه فاتبعه فانه يدعو إلى الحق ، فاخبره طلحة بما قال الراهب . فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله (س) ، فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله (س) . بما قال الراهب فسر بذلك . فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذها نوفل بن خويلد بن العديوة — وكان يدعى أسد قريش — فشدما فى جبل واحد ولم يمنعهما بنو تميم فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين . وقال النبي (س) : « اللهم اكفنا شر ابن العديوة » رواه البيهقي . وقال الحافظ أبو الحسن خيشمة بن سليمان الاطرابلسي حدثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضى المصيبة حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن اسحاق بن محمد ابن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عبيد الله حدثني عبد الله [بن محمد] بن عمران ابن ابراهيم بن محمد بن طلحة قال حدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله (س) . وكان له صديقا فى الجاهلية ، فلقبه فقال

يا أبا القاسم قدت من مجالس قومك واتهموك بالغيب لا بأثما وأمهاتما . فقال رسول الله (ص) :
« إني رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله (ص) . وما
بين الاخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر ، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة
ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا ، ثم جاء الفد لعثمان بن مظعون وأبي
عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا
رضى الله عنهم . قال عبد الله بن محمد فحدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة .
قالت : لما اجتمع أصحاب النبي (ص) وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً أُلح أبو بكر على رسول الله (ص) في
الظهور فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله (ص) . وتفرق المسلمون
في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله (ص) جالس
فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله (ص) ، وفار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا
في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن
ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه
من أنفه وجاء بنو تميم يتعادون فاجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى
أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر
لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ،
فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله (ص) ؟ فسوا منه بالسنتهم وعذله ، ثم قاموا وقالوا لاهمه
أم الخير أنظرى أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به الحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول
الله (ص) ؟ فقالت والله مالي علم بصاحبك . فقال اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسألها عنه ،
فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت إن أبا بكر يدألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت ما أعرف أبا
بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت نجيبن أن أذهب معك إلى ابنك قالت نعم . فضت معها حتى
وجدت أبا بكر صريماً دنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوماً نالوا هذا منك
لاهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال فما فعل رسول الله (ص) ؟ قالت هذه
أمك تسمع ، قال فلا شيء عليك منها ، قالت سالم صالح . قال أين هو ؟ قالت في دار ابن الأرقم ، قال
فان الله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتى رسول الله (ص) . فامهلنا حتى إذا هدأت
الرجل وسكن الناس ، خرجتا به يتكى عليهما حتى أدخلناه على رسول الله (ص) ، قال فأكب عليه
رسول الله (ص) فقبله وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله (ص) رقة شديدة . فقال أبو بكر
بابي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها ، وأنت مبارك

فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال فدعها رسول الله (س) . ودعها إلى الله فأسلمت ، وأقاموا مع رسول الله (س) في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر ، ودعا رسول الله (س) . لعمر بن الخطاب — أو لآبي جهل بن هشام — فاصبح عمر وكانت الدعوة يوم الاربعاء فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبر رسول الله (س) وأهل البيت تكبيرة مممت باعلا مكة ، وخرج أبو الارقم — وهو أعمى كافر — وهو يقول : اللهم اغفر لبنى عبيد الارقم فانه كفر ، فقام عمر فقال يا رسول الله على ما نخفى ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ قال : « يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا » فقال عمر : فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الايمان ، ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهم ينتظروه ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبوت ؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . فوثب المشركون اليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل اصبعه في عينيه ، فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس فقام عمر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الايمان ، ثم انصرف إلى النبي (س) وهو ظاهر عليهم . قال ما عليك بأبي وأمي والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الايمان غير هائب ولا خائف ، فخرج رسول الله (س) وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمنا ، ثم انصرف إلى دار الارقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ، ثم انصرف النبي (س) . والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله . وقد استقصينا كيفية اسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادهما ، وبسطنا القول هنالك والله الحمد . وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة عن عمرو ابن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله (س) في أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخفى ، فقلت ما أنت ؟ قال أنا نبي ، فقلت وما النبي ؟ قال رسول الله ، قلت الله أرسلك ؟ قال نعم قلت بما أرسلك ؟ قال بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الاصنام ، وتوصل الارحام . قال قلت نعم ما أرسلك به فمن تبعك على هذا ؟ قال حر وعبد — يعني أبا بكر وبلالا — قال فكان عمرو يقول : لقد رأيتني وأنا ربيع الاسلام . قال فأسلمت ، قلت فاتبعت يا رسول الله ، قال لا ولكن الحق بقومك ، فاذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعني . ويقال إن معنى قوله عليه السلام حر وعبد اسم جنس وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر ، فانه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن سارعة أسلم قبل بلال أيضا فلعله أخبر أنه ربيع الاسلام بحسب علمه فلان

المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراياتهم دع الأجانب
دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم . وفي صحيح البخاري من طريق أبي أسامة عن هاشم بن
هاشم عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : ما أسلم أحد في اليوم الذي
أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام . أما قوله ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت
فيه فسهل ، وبروي إلا في اليوم الذي أسلمت فيه وهو مشكل ، إذ يقتضى أنه لم يسبقه أحد
بالإسلام . وقد علم أن الصديق وعلياً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حكى الإجماع على
تقدم إسلام هؤلاء غير واحد ، منهم ابن الأثير . ونص أبو حنيفة رضى الله عنه على أن كلامه
هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم . وأما قوله ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام فشكل
وما أدرى على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله أعلم . وقال أبو دواد الطيالسي
حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال : كنت غلاماً يافعا
ارعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة . فأتى على رسول الله (ص) وأبو بكر - وقد فرا من المشركين -
قال - أوقالا - عندك يا غلام لبن تسقيننا ؟ قلت إني مؤمن ، ولست بساقيكما فقال هل عندك من
جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فأتيتهما بها فاعتقلا أبو بكر وأخذ رسول الله (ص) ،
الضرع ودعا لحفل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متقشرة فخلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني
ثم قال للضرع اقلص قلص ، فلما كان بعد أتيت رسول الله (ص) ، فقلت علمنى من هذا القول الطيب
- يعنى القرآن - فقال : « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد .
وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة به . ورواه الحسن بن عرفة عن أبي بكر بن
عياش عن عاصم بن أبي النجود به . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله بن
بطلة الأصبهاني حدثنا الحسن بن الجهم حدثنا الحسين بن الفرج حدثنا محمد بن عمر حدثني جعفر
ابن محمد بن خالد بن الزبير عن أبيه - أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - . قال : كان
إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً وكان أول أخوته أسلم . وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه
وقف به على شفير النار ، فذكر من سمعها ما الله أعلم به . وبرى في النوم كأن آت أتاه يدفعه فيها
وبرى رسول الله (ص) ، آخذاً بحمويه لا يقع ، فزع من نومه فقال احلف بالله أن هذه رؤيا حق ،
فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له ، فقال أريد بك خير هذا رسول (ص) ، فاتبعه فانك ستنبه
وتدخل معه في الإسلام ، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها فلقي رسول الله (ص) وهو
باجياد ، فقال يا رسول الله يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً
عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا ينفع ، ولا

يدري من عبده ممن لا يعبد . قال خالد : فأتى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسر رسول الله (ص) ، بإسلامه ، وتغيب خالد وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل في طلبه فأتى به . فأنبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه . وقال : والله لأمنعك القوت : فقال خالد إن منعتني فأب الله يرزقني ما أعيش به ، وانصرف إلى رسول الله (ص) ، فكان يكرمه ويكون معه .

اسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي (ص)

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني رجل من اسلم - وكان واعية - ان أبا جهل اعترض رسول الله (ص) ، عند الصفا فآذاه وشتمه وقال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فاقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة ، وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت ؟ قال حمزة ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله (ص) ، وأن الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين . فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فأتى والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله (ص) قد عز وامتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة في ذلك شعراً (١) .

قال ابن اسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابي وتركت دين آبائك ، للموت خير لك مما صنعت . فاقبل حمزة على نفسه وقال ما صنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بلبلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان ، حتى أصبح ففدا على رسول الله (ص) . فقال : يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه ، واقامة مثلي على مالا أدرى ما هو أرشد أم هو غي شديد ؟ فحدثني حديثاً فقد انتهيت يا ابن أخي أن تحدثني ، فاقبل رسول الله (ص) ، فذكره ووعظه ، وخوفه وبشره ، فأتى الله في قلبه الايمان بما قال رسول الله (ص) . فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصديق ، فظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلمت السماء ، وأنى على ديني الاول . فكان حمزة ممن أعز الله به الدين . وهكذا رواه البيهقي عن الحارث عن الأصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به .

(١) لم يذكر هنا شعر حمزة وذكر السهيلي في الروض الأنف قطعة له مطلعها :

حسب الله حين هدى فؤادي • إلى الاسلام والدين الحنيف . الخ

ذكر اسلام أبي ذر رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا الحسين بن محمد بن زياد حدثنا عبد الله بن الرومي حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك بن الوليد عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر . قال : كنت ربيع الإسلام ، أسلم قبل ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله (ص) فقلت : السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله (ص) . هذا سياق مختصر وقال البخاري اسلام أبي ذر : حدثنا عمرو بن عباس حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الثني عن أبي حمزة عن ابن عباس . قال لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله (ص) قال لآخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الاخلاق وكلاماً ما هو بالشعر . فقال ما شفيقتي مما أردت . فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتفت رسول الله (ص) ، ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع فراه على فمرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي (ص) حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه فمر به على فقال أما آن للرجل يعلم منزله فاقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على مثل ذلك فاقام معه فقال ألا تحدثني بالذي أقدمك ؟ قال إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فملت : ففعل فآخبره . قال فانه حق وأنه رسول الله (ص) ، فاذا أصبحت فاتبعني فأتى إن رأيت شيئاً أخاف عليك قت كأتى أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي (ص) ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبي (ص) : « ارجع إلى قومك فآخبرهم حتى يأتبك امرئ » فقال والذي بعثك بالحق لا صرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلا صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام فضر به حتى أضجموه ، فأتى العباس فأكب عليه فقال ويلكم ألسن تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام . فانقذوه منهم . ثم عاد من الند بمثلها فضر به وناروا اليه فأكب العباس عليه هذا لفظ البخاري . وقد جاء اسلامه مبسوطاً في صحيح مسلم وغيره فقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله ابن الصامت قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفارة وكان يحلون الشهر الحرام - أنا وأخي أنيس وأمنا

فانطلقنا حتى نزلنا على خال لناذى مال وفى هيئة فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا ، فحسدنا قومه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس . فجاء خالنا فنشئ ما قيل له ^(١) قلت له أها ما مضى من معروفك فقد كثرته ، ولا جماع لنا فيما بعد . قال : قربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغلى خالنا بشونه وجعل يبكي قال فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة ، قال فنأقر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها فأتيا الكاهن فغير أنيسا . فأتانا بصرمتنا ومثلها ، وقد صليت يابن أخى قبل أن ألقى رسول الله (ص) ثلاث سنين ، قال قلت لمن ؟ قال لله ، قلت فأين توجه ؟ قال حيث وجهى الله . قال وأصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل الفيت كأتى خفاء ^(٢) حتى تملوئى الشمس قال قتال أنيس : إن لى حاجة بمكة فأتنى حتى آتيك قال فانطلق فراث على ، ثم أتانى قلت ما حبسك ؟ قال لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال قلت ما يقول الناس له ؟ قال يقولوا إنه شاعر وساحر ، وكان أنيس شاعراً . قال فقال لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم ، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر ، ووالله إنه لصادق وإنيهم لك كاذبون . قال : قلت له هل أنت كافى حتى انطلق ؟ قال نعم ! وكن من أهل مكة على حذر فانهم قد شنعوا له ونجسوا له . قال فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلا منهم قلت أين هذا الرجل الذى يدعونه الصابى ؟ قال فإشار إلى فال أهل الوادى على بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً على ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأتى نصب احمر ، فأتيت زمزم فشربت من ماؤها وغسلت عنى الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يابن أخى ثلاثين من يوم وليلة مالى طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطى وما وجدت على كبدى سخفة جوع قال فبينما أهل مكة فى ليلة قرأ أضحيان وضرب الله على أشحمة أهل مكة فما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فاتتا على وهما يدعوان اساف ونائلة . قلت : انكحوا أحدهما الآخر فما تنماها ذلك ، قلت وهن مثل الخشبة غير أنى لم أركن . قال : فانطلقنا يولولان ويقولان لو كان هنا أحد من أنفارانا ، قال فاستقبلهما رسول الله (ص) وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال مال كجا ؟ فقالا الصابى بين الكعبة وأستارها قالا ما قال لكما ؟ قالنا قال لنا كلمة تملأ الفم ، قال وجاء رسول الله (ص) هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ، ثم صلى . قال فأتيت فكننت أول من حياه بتحية أهل الاسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله من أذت ؟ » قال قلت من غفار ، قال فاهوى بيده فوضعها على جبهته قال قلت فى نفسى كره أن أقتسمت إلى غفار ، قال غاردت أن آخذ بيده فمذقتى صاحبه وكان أعلم به منى ، قال متى كنت هنا ؟ قال قلت

(١) فى النهاية : من حديث أبى ذر جاء خالنا فنشئ علينا الذى قيل له أى أظهره إلينا وحدثنا به .

(٢) فى النهاية وفى حديث أبى ذر . سقطت كأتى خفاء ، الخفاء الكساء .

كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة و يوم . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت ما كان لي طعام إلا ماله
 زهرم فسمنت حتى تكسرت عكن بطي ، وما وجدت على كبدي سخفة جوع . قال قال رسول الله
 (ص) : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم » قال فقال أبو بكر ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة قال
 ففعل قال فانطلق النبي (ص) ، وأنطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب
 الطائف ، قال فكان ذلك أول طعام أكلته بها . فلبثت ما لبثت ، فقال رسول الله (ص) : « إني
 قد وجهت إلى ارض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم
 بك ويأجرك فيهم ؟ » . قال فانطلقت حتى أتيت أخي أنيسا ، قال فقال لي ما صنعت ؟ قال قلت
 صنعت أني أسلمت وصدقت ، قال فما بي رغبة عن دينك فاني قد أسلمت وصدقت ، ثم أتينا أمنا
 فقالت ما بي رغبة عن دينكما فاني قد أسلمت وصدقت ، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار ، قال فأسلم
 بعضهم قبل أن يقدم رسول الله (ص) المدينة ، وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رخصة الغفاري وكان
 سيدهم يومئذ . وقال : بقيتهم إذا قسم رسول الله (ص) أسلمنا ، قال فقدم رسول الله (ص) فأسلم بقيتهم
 قال وجاءت أسلم فقالوا يا رسول الله اخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه ، فقال رسول الله (ص)
 « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله » . ورواه مسلم عن هذبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به
 نحوه . وقد روى قصة اسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فانه أعلم . وتقدم ذكر اسلام
 سلمان الفارسي في كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام .

ذكر اسلام ضماد

روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند عن عمرو بن سعيد عن سيده بن جبير عن
 ابن عباس . قال : قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء
 من سفه مكة يقولون : إن محمداً مجنون . فقال أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ؟ فلقيت
 محمداً فقلت إني أرقى من هذه الرياح ، وأن الله يشفي على يدي من شاء ففهم . فقال محمد : « ان الحمد
 لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ثلاث مرات » . فقال والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة . وقول
 الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ففهم يدك أبايعك على الاسلام . فبايعه رسول الله (ص) . فقال له
 وعلى قومك فقال وعلى قومي فبعث النبي (ص) جيشا فروا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية
 هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئا ؟ فقال رجل منهم أصبت منهم مطهرة . فقال ردها عليهم فانهم قوم
 ضماد . وفي رواية فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن تاموس البحر

وقد ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة اسلام من أسلم من الاعيان فصلا طويلا ، واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه . وقد سرد ابن اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة رضى الله عنهم . قال : ثم أسلم أبو عبيدة ، وأبو سلمة ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، ومنعبد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر — وهي صغيرة — وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، وخباب بن الارت ، وعمير بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القارى ، وسليط بن عمرو ، وعياش بن أبي ربيعة ، وامراته أسماء بنت سلمة ^(١) بن مخزومة التيمي ، وخنيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامراته أسماء بنت عميس ، وحاطب بن الحارث ، وامراته فكيهة ابنة يسار ^(٢) ، وعمر بن الحارث بن عمر الجمحي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد مناف ^(٣) . وامراته رملة بنت أبي عوف بن صيرة بن سميد بن سهم ، والنحام واممه نعيم بن عبد الله بن أسيد ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وخالد بن سميد ، وأمينة ابنة خلف بن سعد بن عامر بن بياضة بن خزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عرين بن ثعلبة التيمي حليف بني عدى ، وخالد ابن البكير ، وعامر بن البكير ، وعافل بن البكير ، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن قاشب بن غيرة من بني سعد بن ليث ، وكان اسم عافل غافلا فسماه رسول الله (ص) عاقلا ، وهم حلفاء بني عدى ابن كعب ، وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان . ثم دخل الناس أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الاسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن اسحاق : ثم أمر الله رسوله (ص) بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين . قال وكان أصحاب رسول الله (ص) إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم . فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوه ، فضرب سعد رجلا من المشركين بلحى جل فشجه ، فكان أول دم أهرى في الاسلام . وروى الاموى في مغازيه من طريق الواقسي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه . فذكر القصة بطولها وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

(١) في السيرة لابن هشام : أسماء بنت سلامة بن مخزومة التيمية .

(٢) وفي ابن هشام : حاطب بن الحارث وامراته فاطمة بنت الجهل .

(٣) وفيها : ابن عبد عوف مكان : مناف .

﴿باب﴾

الامرُ بابلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام، وأمره له بالصبر والاحتمال والاعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحاجة عليهم، وإرسال الرسول الأعظم اليهم وذكر ما لقي من الاذية منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم قال الله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك قل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم) . وقال تعالى : (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) وقال تعالى : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي إن الذي فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهي المعاد ، فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) والآيات والاحاديث في هذا كثيرة جداً . وقد نقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير ، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء (وأنذر عشيرتك الأقربين) . وأوردنا أحاديث جمة في ذلك ، فمن ذلك . قال الامام احمد : حدثنا عبد الله ابن نعيم عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : لما أنزل الله (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبي (ص) الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس اليه بين رجل يحمي اليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله (ص) : « يا بني عبدالمطلب يا بني فهر ، يا بني كعب أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بفسح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ » قالوا نعم ! قال : « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب - لعنه الله - تبالك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله عز وجل (تبت يدا أبي لهب وتب) وأخرجاه من حديث الاعمش به نحوه . وقال احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة . قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله (ص) قريشا فعم وخص . فقال : « يا معشر قريش اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبدالمطلب اتقوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد اتقنى نفسك من النار ، فاني والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها بيلائها » ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة ، وله طرق أخر عن أبي هريرة في مسند احمد وغيره . وقال احمد أيضا حدثنا وكيع بن هشام عن أبيه عن عائشة

رضى الله عنها . قالت : لما نزل (وأنذر عشيرتك الاقربين) . قال رسول الله (ص) : « قال : يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتم » . ورواه مسلم أيضاً . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل : أخبرنا محمد بن عبد الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكتمني اسمه - عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) : [وأنذر عشيرتك الاقربين ، وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين] . قال رسول الله (ص) : « عرفت إني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره ، فصمت . فجاءني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار » . قال فدعاني فقال « يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام ، وأعد لنا عس لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب » ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب ، وحزرة والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث . قدمت اليهم تلك الجفنة ، فاخذ رسول الله (ص) منها حذية فشقتها باسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال : « كلوا بسم الله » . فاكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل ليأكل مثلاً . ثم قال رسول الله (ص) : « أسقهم يا علي » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وإيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم بده أبو لهب لعنه الله فقال لهد ما سحركم صاحبكم ، ففترقوا ولم يكلمهم رسول الله (ص) . فلما كان من الغد قال رسول الله (ص) : « عدلنا مثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب ، فان هذا الرجل قد بدر الى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له وصنع رسول الله (ص) كما صنع بالامس ، فاكلوا حتى نهلوا عنه وإيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلاً . ثم قال رسول الله (ص) : « أسقهم يا علي » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله أن يكلمهم ، بده أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم ؟ ففترقوا ولم يكلمهم رسول الله (ص) . فلما كان من الغد قال رسول الله (ص) : « يا علي عدلنا مثل الذي كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له . فصنع رسول الله (ص) كما صنع بالامس فاكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وإيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلاً وليشرب مثلاً . ثم قال رسول الله (ص) : « يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل من ما جئتكم به إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » . فكفنا

رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ أبيهم اسمعيل عن عبد الله بن الحارث به . وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الابريش عن محمد بن اسحاق عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي فذكر مثله . وزاد بعد قوله : « وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى » وكذا وكذا . قال فاحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت ولأني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأخشعهم ساقاً ، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فآخذ برقبتي فقال : « إن هذا أخى وكذا وكذا فاصموا له وأطيعوا » . قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ! فنرد به عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعي اتهمه على بن المديني وغيره بوضع الحديث . وضعفه الباقون . ولكن روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي عن عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث . قال قال علي : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) . قال لي رسول الله (ص) : اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام ، وإفاء لبنا ، وأدع لي بني هاشم فدعوتهم وإنيهم يومئذ لاربعون غير رجل ، أو أربعون ورجل فذكر القصة نحو ما تقسم إلى أن قال : وبدرهم رسول الله (ص) الكلام . فقال : « أيكم يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟ » قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال وسكت أنا لسن العباس . ثم قال مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال أنت ؟ قال وإني يومئذ لاسوأهم هيئة ، وإني لاعمش العينين ، ضخم البطن ، خش الساقين . وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها والله أعلم . وقد روى الامام احمد في مسنده من حديث عباد بن عبد الله الاسدي وربيعة بن ناجد عن علي نحو ما تقدم — أو كالشاهد له — والله أعلم . ومعنى قوله في هذا الحديث : من يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مت ، وكأنه (ص) خشي إذا قام ببلاغ الرسالة إلى مشركي العرب ^(١) أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ، ويقضى عنه ، وقد أمناه الله من ذلك في قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) الآية والمقصود أن رسول الله (ص) استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد ، ولا يصده عنه ذلك صاد ، يتبع الناس في أنديتهم ، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم ، ومواقف الحج . يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوى ، وغنى وقبيل ،

جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء . وتسلط عليه وعلى من أتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية ، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب — واسمه عبد العزى بن عبد المطلب — وامراته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسول الله (ص) أحب خلق الله إليه طبعاً وكان يحنو عليه ويحسن إليه ، ويدافع عنه ويحمي ، ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حباً طبعياً لا شرعياً . وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه . ولا جترؤا عليه ، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه ، وربك يخلق ما يشاء ويختار . وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً ، فهذان العمان كافران أبو طالب وأبو لهب . ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح من نار ، وذلك في الدرك الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر ، وتقرأ في المواعظ والخطب . تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب ، وامراته حمالة الحطب . قال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه . قال أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدليل — وكان جاهلياً فاسلم — قال : رأيت رسول الله (ص) في الجاهلية في سوق ذي الحجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه هو والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه . وقال البيهقي أيضاً حدثنا أبو طاهر الفقيه حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان حدثنا أبو الأزهر حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا محمد بن عمر عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدليل . قال : رأيت رسول الله (ص) بنى الحجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقعد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت من هذا ؟ قيل هذا أبو لهب . ثم رواه من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال رأيت رسول الله (ص) بسوق ذي الحجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب ، وإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم فأنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى كذا قال أبو جهل ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى .

وأما أبو طالب فكان في غاية الشقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صفاته ، وسجاياه ، واعتقاده

فما يحامي به عن رسول الله (س)، وأصحابه رضي الله عنهم . قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن عبد الله بن موسى بن طلحة أخبرني عقيل بن أبي طالب . قال جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانه عنا . فقال يا عقيل انطلق فأتني بمحمد ، فانطلقت إليه فاستخرجته من كنس - أو قال خنس - يقول بيت صغير ، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر ، فلما أتاهم قال إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم ، فأنته عن أذاهم فخلق رسول الله (س) . يبصره إلى السماء . فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا نعم ! قال : « فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منه بشملة » . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا . رواه البخاري في التاريخ عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير . ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به - وهذا لفظه - . ثم روى البيهقي عن طريق يونس عن ابن اسحاق حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث . أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله (س) . فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا ، فابق على وعلى نفسك ولا تحملي من الأمر . إلا أطيق أنا ولا أنت . فأكف عن قومك ما يكرهون من قولك . فظن رسول الله (س) أن قد بدا لعمه فيه ، وأنه خاذله ومسله ، وضعف عن القيام معه . فقال رسول الله (س) : « يا عم لو وضعت الشمس في يميني والتمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه » ثم استعبر رسول الله (س) فبكى ، فلما ولي قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله (س) : يا ابن أخي فاقبل عليه ، فقال أمض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً . قال ابن اسحاق ثم قال أبو طالب في ذلك :

والله لن يصلوا اليك بمجموعهم	حتى أوسد في التراب دفيناً
فأمضي لأمرك ما عليك غضاضة	أبشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي	فلقد صدقت وكنت قدماً أميناً
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه	من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذاري سبة	لوجدتني ممحاً بذاك مبيتاً

ثم قال البيهقي وذكر ابن اسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً ، وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه في دينه ، وقد كان يعصمه حيث لا يكون معه بما شاء لا معقب لحكمه . وقال يونس بن بكير : حدثني محمد بن اسحاق حدثني رجل من أهل مصر قديماً منذ بضعا وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله (س) ، فلما قام رسول الله (س) قال أبو جهل بن هشام : يا معشر قريش إن محمداً قد أتى إلا ما ترون من عيب ديننا ،

وشتم آبائنا وتسفيه أعلامنا : وسب آلهتنا وإنى أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فلما أصبح أبو جهل لعنه الله أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله (ص) ينتظره ، وغدا رسول الله (ص) كما كان يندو ، وكان قبلته الشام . فكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليماني ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسول الله (ص) يصلى ، وقد غلت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله (ص) احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهبتاً ممتعاً لونه مرعوباً قد يبست يده على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت اليه رجال من قريش . فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟ فقال قت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فخل من الابل والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ^(١) ، ولا أنياه لفحل قط فهم أن يأكلنى . قال ابن اسحاق : فذكر لى أن رسول الله (ص) قال : « ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو النضر الفقيه حدثنا عثمان الدارمى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن اسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة عن أبيان بن صالح عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عباس بن عبد المطلب . قال : كنت يوماً فى المسجد فاقبل أبو جهل - لعنه الله - فقال : إن لله على إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله (ص) حتى دخلت عليه فاخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضاباً حتى جاء المسجد فمجل أن يدخل من الباب فاتقم الحائط . فقلت هذا يوم شر ، فاتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله (ص) فقرأ (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق) فلما بلغ شأن أبي جهل (كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فقال إنسان لابي جهل : يا أبا الحكم هذا محمد ؟ فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى ؟ والله لقد سد أفق السماء على فلما بلغ رسول الله (ص) آخر السورة سجد . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الكريم عن عكرمة قال قال ابن عباس : قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال : « لو فعل لأخذته الملائكة عياناً » . ورواه البخارى عن يحيى عن عبد الرزاق به . قال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس . قال ، مر أبو جهل بالنبي (ص) وهو يصلى . فقال : ألم أنهك أن تصلى يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً منى ، فأنهز النبي (ص) . فقال جبريل : (فليدع ناديه سندع الزبانية) والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب . رواه احمد والترمذى وصححه النسائى من طريق داود به . وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل بن يزيد أبو زيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن

عكرمة عن ابن عباس . قال قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً عند الكعبة يصلى لآتيته حتى أطأ عنقه ، قال فقال : « لو فعل لاخذته الزبانية عياناً » . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي اسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس . قال قال : أبو جهل لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه ، فانزل الله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ من الآية (لنسفنا بالناصية باصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية) . فجاء النبي (ص) يصلى فقبل ما يمنعك ؟ قال : قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب . قال ابن عباس : والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا نعم ! قال فقال والللات والعزى لئن رأيت يصلى كذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه بالتراب . فأتى رسول الله (ص) وهو يصلى ليظاً على رقبته . قال فما فجعهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى يسديه ، قال فقيل له مالك ؟ قال ان بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة . قال فقال رسول الله (ص) : « لودنا منى لاخطفته الملائكة عضواً عضواً » . قال وأنزل الله تعالى - لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا - (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) الى آخر السورة وقد رواه احمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به . وقال الامام احمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله . قال : ما رأيت رسول الله (ص) دعا على قريش غير يوم واحد ، فانه كان يصلى ورهط من قريش جلوس ، وسلا جزور قريب منه . فقالوا : من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة ابن أبي معيط أنا ، فاخذته فالتفاه على ظهره . فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فاخذته عن ظهره . فقال رسول الله (ص) : « اللهم عليك بهذا الملائم من قريش ، اللهم عليك بعقبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بابي جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بابي بن خلف - أو أمية بن خلف - « شعبة الشاك قال عبدالله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب غير أبي - أو أمية بن خلف - فانه كان رجلاً ضخماً فتقطع . وقد رواه البخارى في مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن اسحاق به . والصواب أمية بن خلف فانه الذى قتل يوم بدر ، وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد كما سيأتى بيانه - والسلا هو الذى يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة . وفي بعض الفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض ، أى يميل هذا على هذا من شدة الضحك لغنم الله . وفيه أن فاطمة لما البقته عنه أقبلت عليهم فسبهم ، وأنه (ص) لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما

رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه (س) دعا على الملائكة منهم جملة وعين في دعائه سبعة . وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عتبة ، وأخوه شيبه أبنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبو جهل بن هشام ، وعقبة بن أبي معيط ، وأميمة بن خلف . قال ابن اسحاق : ونسيت السابع . قلت : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري .

قصة الأراشي (١)

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي . قال : قدم رجل من إراش بإبل له الى مكة فابتناءها منه أبو جهل بن هشام ، فقبله بأمانتها . فاقبل الأراشي حتى وقف على نادى قريش ورسول الله (س) جالس في ناحية المسجد . فقال : يا معشر قريش من رجل يمدني على أبي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل ، وقد غلبني على حتى ؟ فقال أهل المجلس ترى ذلك - يهزون به (٢) إلى رسول الله (س) لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ، اذهب اليه فهو يمديك عليه . فاقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله (س) فذكر ذلك له ، فقام معه . فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ما يصنع ؟ فخرج رسول الله (س) حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال محمد فاخرج ! فخرج اليه وما في وجهه قطرة دم ، وقد انتقع لونه . فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال لا تبرح حتى أعطيه الذي له . قال فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه ، ثم انصرف رسول الله (س) وقال للأراشي الحق لشأنك . فاقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيراً ، فقد أخذت الذي لي ، وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت ؟ قال عجبا من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال : أعط هذا الرجل حقه . فقال : نعم ! لا تبرح حتى أخرج اليه حقه ، فدخل فاخرج اليه حقه فاعطاه . ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟ فقال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فثلث رعبا ، ثم خرجت اليه وإن فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فوالله لو أبيت لا كلني .

فَضْرَبَ عَلَيْهِ

وقال البخاري حدثنا عياش بن الوليد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني الازاعي عن يحيى بن أبي

(١) الأراشي نسبة الى إراش بالكسر والشين معجمة موضع حكاه ياقوت . (٢) هذا نص الحلبية بالزاي المعجمة وفي المصرية : يهرون .

كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير . سألت ابن العاص قلت : أخبرني بأشد شيء صنع المشركون برسول الله ؟ قال : بينا النبي (ص) يصلي في حجر السكبة ، إذ أقبل عليه عقبة ابن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديداً ، فاقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي (ص) وقال : (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) الآية . تابعه ابن اسحاق قال أخبرني يحيى بن عروة عن أبيه قال قلت لعبد الله بن عمرو . وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال قيل لعمر بن العاص . وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو ابن العاص . قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة . انفرد به البخاري . وقد رواه في أما كن من صحيحه وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة . وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق . حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة . قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله (ص) فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله (ص) فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا وشم أباهنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصرنا منه على أمر عظيم - أو كما قال - قال فبينما هم في ذلك طلع رسول الله (ص) فاقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله (ص) ، فغضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمنثلها ففرقها في وجهه فغضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمنثلها . فقال : « أسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح » ^(١) . فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنا على رأسه طاروق حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفوه حتى إنه ليقول انصرف أبا القاسم راشداً فإنا كنت بمجهول . فانصرف رسول الله (ص) حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بدأكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسول الله (ص) فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله (ص) : « نعم أنا الذي أقول ذلك » ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع رداءه ، وقام أبو بكر ينكي دونه ويقول : ويلكم (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه . فان ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط .

(١) في الحلبية : بالذبح مهلة وفي ابن هشام : بالذبح .

فَضْلُ اللَّهِ

في تأليب الملأ من قريش على رسول الله (ص) وأصحابه واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه اليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته .

قال الامام احمد حدثنا وكيع عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس . قال قال رسول الله (ص) : « لقد أوديت في الله وما يؤذى أحد ، وأخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أثت على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال » . وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال محمد بن اسحاق : وحذب على رسول الله (ص) عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله (ص) على أمر الله مظهرآ لدينه لا يردده عنه شيء ، فلما رأت قريش أن رسول الله (ص) لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبو طالب قد حذب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وأبوسفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبوالبختري - واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، والاسود بن المطب بن أسد بن عبد العزى ، وأبو جهل - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، ونبيه ومنبه ، ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة ابن سعيده بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ، والعاص بن وائل بن سعيده بن سهم .

قال ابن اسحاق أو من مشى منهم فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا وأما أن نخلى بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فكفيك ؟ فقال لهم أبو طالب : قولوا رفيقا ، وردم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله (ص) على ما هو عليه ، يظهر دين الله ويدعو اليه ، ثم سرى الامر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا . وأكثرت قريش ذكر رسول الله (ص) بينها فتذا مروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه ، ثم أنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى . فقالوا : يا أبا طالب ان لك سنا وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو تنازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا - ثم انصرفوا عنه فغظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله (ص) ولا خذلانه .

قال ابن اسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله (ص) فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له ، فأبى عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيع ، قال فظن رسول الله (ص) أنه قد بدا لعمه فيه بدو وانه خاذله ومسلمه ، وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال له رسول الله (ص) : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أوأهلك فيه ما تركته » قال ثم استعبر رسول الله (ص) فبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب : فقال : أقبل يا ابن أخي ، فأقبل عليه رسول الله (ص) . فقال : اذهب يا ابن أخي قتل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشيء أبداً . قال ابن اسحاق . ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله (ص) واسلامه واجتماعه لفرأقهم في ذلك وعداوته مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له — فيما بلغني — : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهدقني في قريش وأجمله ، نخذه فلك عقله ونصره ، واتخذ له ولداً فهو لك ؟ وأسلم اليك ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامنا فنقتله فانما هو رجل رجل ! قال : والله لبئس ما تسوموني ؟ أتعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيك ابنى فتقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ؟ فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على فاضح ما بدا لك — أو كما قال — فحقب الأمر ، وحيت الحرب ، وتنابد القوم ، ونادى بعضهم بعضاً . فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويند كراماً سألوه وما تباعد من أمرهم :

ألا قلّ لعمرو والوليد ومطعم	ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
من الخور حجاب كثير رغاؤه	يرش على الساقين من بولور قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق	إذ ما علا الفياء قيل له وبر
أرى أخويننا من أيننا وأمننا	إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لها أمر ولكن نخرجها	كما خرجت من رأس ذي علق الصخر
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً	هما فبذانا مثل ما بُذ الجمر
هما أغمزا للقوم في أخويهما	فقد أصبغا منيم أ كفتها صفر
هما أشركا في الجمر من لا أبالة	من الناس إلا أن رسّ له ذكر

وَتِيمٌ وَتَحْزِيمٌ وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُنِيَ النُّصْرُ
فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكُ مِنَّا عِدَاوَةٌ وَلَا مِنْكُمْ مَا دَامَ مِنْ نَسْلِنَا شَفَرُ
قال ابن هشام : وتركنا منها بيتين أقذع فيهما (١)

فَضْلُ اللَّهِ

في مبالغتهم في الاذية لاحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن اسحاق : ثم إن قريشا تدامروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله (ص) الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسول الله (ص) بعمه أبي طالب : وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله (ص) وإلقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله . فقال في ذلك يمدحهم ويحرضهم على ما وافقوه عليه من الحب والنصرة لرسول الله (ص) :

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمُفَخِّرٍ	فعبُدْ منافٍ سِرُّها وصمِيمُها
وإن حصلتْ أشرافُ عبدٍ منافعُها	ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإن نخرتْ يوماً فانَّ محمداً	هو المصطفى من سِرِّها وكرِيمِها
تداعتْ قريشٌ غُثَّها وصمِيمُها	علينا فلم تظفرْ وطاشتْ خلومُها
وكنا قديماً لا نُقَرُّ ظِلَامُها	أذ ما تَنَوَّا صُغَرَ الرقابِ نُقِيمُها
ونحبي جَهاها كلَّ يومٍ كَرِيمِها	وانضربْ عن أحجارِها من يرومُها
بنا انتعشَ العودُ الزَّوَاءُ وإنما	بأكنافِنا تَنَدَّى وتَنَمَّى أرومُها

فَضْلُ اللَّهِ

فما اعترض به المشركون على رسول الله (ص) ، وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى والرشاد . فلهمنا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولما اليه رغبوا ، لعم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم

(١) في هذه القطعة اختلاف بين الاصلين وبينهما مع ابن اسحاق وقد اجتهدنا أن يكون الاصل النسخة الحلبية الا ما كان خطأ فنعمد فيه على ابن اسحاق فالبيت الخامس منها أثبتناه كما في الاصلين وفي ابن اسحاق جرجها .

يعمّهون ، ولظلوا في غيهم وضلالهم يتردون . قال الله تعالى : (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) .

وقال تعالى : [إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم] . وقال تعالى : [وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً] . وقال تعالى [وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما رزمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً]

وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير والله الحمد . وقد روى يونس وزيد عن ابن اسحاق عن بعض أهل العلم — وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد — عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس . قال : اجتمع عليّة من أشرف قريش — وعدد أمهاتهم — بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه ، وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك ، فجاءهم رسول الله (ص) سريعاً وهو يظن أنه قد بداهم في أمره بدء ، وكان حريصاً يحب رشدكم ويعز عليه عنتم ، حتى جلس إليهم . فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لتعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك . لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفّهت الأحلام ، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ، وما بقي من قبيح إلا وقد جثته فيها بيننا وبينك . فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك — وكان يسمون التابع من الجن الرثى — فربما كان ذلك ؛ بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ؟ فقال رسول الله (ص) : « ما بي ما تقولون ، ما جئكم بما جئكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وانزل على كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فان قبلوا مني ما جئكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » — أو كما قال رسول الله (ص) — فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك

قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ، ولا أقل مالا ، ولا أشد عيشاً منا . فسل لنا
 ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، ولييسر لنا بلادنا ،
 وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيما يبعث لنا منهم
 قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً ففسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فان فعلت ما سألتك
 وصدقك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم رسول الله (ص)
 « ما بهذا بعثت إنما جئكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فان تقبلوه فهو
 حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوا علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا فان لم
 تفعل لنا هذا نخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتساله
 فيجعل لنا جنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويغنيك عما نراك تبغى فانك تقوم في الاسواق
 وتلتبس المعاش كما نلتسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم
 « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً
 فان تقبلوا ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله
 بيني وبينكم » . قالوا فاسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل
 فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا يا محمد ما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما
 سألتك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع
 في ذلك بنا إذا لم تقبل منك ما جئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليامة يقال له الرحمن ،
 وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى
 نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نريد الملائكة وهي بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك
 حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً . فلما قالوا ذلك قام رسول الله (ص) عنهم وقام معه عبد الله بن أبي
 أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب — فقال
 يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله . ثم سألوك لانفسهم أموراً ليمروا بها منزلتك من الله
 فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب : فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى
 السماء سداً ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيتها وتأتي معك بنفسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة
 يشهدون لك أنك كما تقول : وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لأصدقك . ثم انصرف عن رسول
 الله (ص) وانصرف رسول الله (ص) إلى أهله حزينا أسفا لما فاتته بما طمع فيه من قومه حين دعوه ،
 ولما رأى من مباعدهم إياه وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملائكة مجلس ظلم وعدوان وعناد ،
 ولهذا اقتضت الحكمة الالهية ، والرحمة الربانية ، الا يجابوا إلى ما سألوها لأن الله علم أنهم لا يؤمنون .

بذلك فيعاجلهم بالعذاب * كما قال الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الاعمش عن
 جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : سأل أهل مكة رسول الله (ص) أن يجعل
 لهم الصفا ذهباً ، وأن ينحى عنهم الجبال فيزدرعوا ، فقيل له إن شئت أن تستأني بهم ، وإن شئت
 أن تؤتيهم الذي سألو فأفكروا هلكوا كما أهلكك من قبلهم الامم . قال : « لا بل أستأني بهم »
 فانزل الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتيناهمود الناقة مبصرة
 فظلموا بها) الآية . وهكذا رواه النسائي من حديث جرير . وقال احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا
 سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس . قال قالت قريش للنبي (ص) : ادع
 لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك ، قال وتفعلا ؟ قالوا نعم . قال فدعا فأتاه جبريل فقال إن
 ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً . فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه
 عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة ، قال : « بل التوبة
 والرحمة » . وهذان اسنادان جيدان ، وقد جاء مرسلان عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير
 وقتادة وابن جريج وغير واحد . وروى الامام احمد والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك
 حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن ^(١) أبي أمامة عن النبي
 (ص) قال : « عرض على ربي عز وجل أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت لا يارب أشبع يوماً
 وأجوع يوماً — أو نحو ذلك — فإذا جعت تضرعت اليك وذكرتك ، وإذا شبعتم حمدتكم
 وشكرتكم » لفظ احمد . وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وعلى بن يزيد يضعف في الحديث .
 وقال محمد بن اسحاق : حدثني شيخ من أهل مصر — قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة — عن
 عكرمة عن ابن عباس . قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود
 بالمدينة ، فقالوا لهما سلوهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول ، وعندهم
 علم ما ليس عندنا من علم الانبياء . فخرجوا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله (ص) ،
 ووصفا لهم أمره وبعض قوله ، وقالوا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .
 قال فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل
 فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم ؟ فانه قد
 كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان [نبؤه] ، وسلوه
 عن الروح ما هي ؟ فان أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فانه رجل متقول فاصنعوا في
 (١) في الاصلين : القاسم بن أبي أمامة ، وإنما هو القاسم بن عبد الرحمن مولى بني أمية الدمشقي
 ولم يرو عن أحد من الصحابة غيره .

أمره ما بدا لكم . فاقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فاخبراهم بها ، فجاذا رسول الله (ص) فقالوا : يا محمد أخبرنا فسأله عما أمرهم به . فقال لهم رسول الله (ص) : « أخبركم غدا بما سألتكم عنه » ولم يستثن . فانصرفوا عنه ومكث رسول الله (ص) خمس عشرة ليلة لا يحدث له في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله (ص) مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم [وخبر] ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقال الله تعالى [ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا] . وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولا فمن أراد فعله بكشفه من هناك . ونزل قوله [أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا] ثم شرع في تفصيل أمرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقا لا تعليقاً في قوله [ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت] ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ، ثم ذى القرنين ثم قال (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً) ثم شرح أمره وحكى خبره . وقال في سورة سبحان (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) أي خلق عجيب من خلقه ، وأمر من أمره ، قال لها كوني فكانت . وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه ، وتصوير حقيقته في نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته ، ولهذا قال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وقد ثبت في الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسول الله (ص) بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية - فاما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جواباً - وإن كان نزولها متقدماً ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثنائها من سورة سبحان في قوله نظر ، والله أعلم . قال ابن اسحاق : ولما خشى أبو طالب دم العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعود فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم لرسول الله (ص) ، ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه . فقال :

ولما رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهمُ وقد قطعوا كلَّ العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأعوا أمرَ العدوِّ المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنةُ يعضون غيظاً خلفنا بالأامل
صبرتُ لهم نفسي بسمراءَ ممحجةٍ وأبيضَ غضبٍ من ترابِ المفاول
وأحضرتُ عند البيتِ رهطِي وأخوتي وأمسكتُ من أثوابه بالوصلائل

قياماً معاً مُستقبلين رِجَالَهُ
 وحيث يُنْبِخُ الْأَشْعُرُونَ رِجَالَهُمْ
 مَوْجَعَةُ الْأَعْضَادِ أَوْ قُصْرَاتِهَا
 تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا وَالرَّخَامَ وَزِينَةً
 أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
 وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَسْعَى لَنَا بِمُصِيبَةٍ
 وَتَوَرُّ وَمِنْ أَرْسَى قَبِيرًا مَكَانَهُ
 وَبِالْبَيْتِ حَقَّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ
 وَبِالْحَجَرِ الْمَسُودِ إِذْ يَمْسَحُونَهُ
 وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
 وَأَشْوَاطٍ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَى الصَّفَا
 وَمِنْ حَيْثُ بَيْتُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
 وَبِالشَّعْرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
 وَتَوَاقُفَهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً
 وَلَيْلَةً جَمْعٍ وَالْمَنَازِلُ مِنْ رَمَى
 وَجَمْعٍ إِذَا مَا الْمُقَرَّبَاتُ أَجَزَّتْهُ
 وَبِالْجَمْرِ الْكُبْرَى إِذَا صَلُّوا لَهَا
 وَكُنْدَةً إِذْ هُمْ بِالْحِصَابِ عَشِيَّةً
 حَلِيفَانِ شَدًّا عَقْدًا مَا اخْتَلَفَا لَهُ
 وَحُطْمَهُمْ مُمَرُّ الرِّيحِ وَسِرْحَهُ
 فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِنْ مَعَاذٍ لِمَائِدَةٍ
 يُطَاعُ بِنَا أَمْرُ الْعِدَا وَدَ أَنْتَا
 كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ فَتَرَكْتُمْ مَكَّةَ
 كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ فَبَنَيْتُمْ مَحْدَا
 وَنَسَلْتُمْ حَتَّى نَصَرَّحَ حَوْلَهُ
 وَيَنْهَضُ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ

وحتى نرى ذا الصَّغْنِ يركب رُدْعَه
 وإنا لعمرُ الله إن جدَّ ما أرى
 بكفِّي قَتَى مثل الشهابِ مُمِيعِ
 شهوَرًا وأيامًا وحولًا محزَمًا
 وما تركُ قومٍ - لا أبالك - سيدًا
 وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه
 يلودُ به الهلاكُ من آلِ هاشمٍ
 لعمري لقد أجرى أسيدٌ وبكره
 وعثمانٌ لم يربِّع علينا وفنقدَ
 أطاعا أيًّا وابنَ عبدٍ ينعونهم
 كما قد لقينا من سبيِّعٍ ونوفلٍ
 فان يلفينا أو يُمَكِّنَ اللهُ منهما
 وذلك أبو عمرو أُنِي غيرُ بُغضنا
 ينالجي بنا في كلِّ مَسَمَى ومصبحٍ
 ويؤلي لنا بالله ما أن يغشنا
 أضاقَ عليه بغضنا كلَّ تلمةٍ
 وسائلُ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْتُنَا
 وكنتَ امرئًا ممن يعلشُ برأيه
 فعتبةٌ لا تسمعُ بنا قولَ كاشحٍ
 ومرَّ أبو سفيانٍ عني معرُضا
 يفرُّ إلى نجدٍ وبردِ مياهه
 ويخبرنا فعلَ المناصحِ أنه
 أمطعُ لم أخذرك في يومِ نجدةٍ
 ولا يومٍ خصمٍ إذ أتوك ألدَّةٍ
 أمطعُ إن القومُ ساموك خطةً
 برى الله عنا عبدَ قُحسٍ ونوفلا
 بمرانٍ قسطٍ لا ينجسُ شعيبةً
 من الطَّمنِ فعلُ الأُنكبِ المتحامِلِ
 لتلتبسًا أسيافنا بالامائلِ
 أخِي ثقةٌ حامي الحقيقةِ باسلِ
 علينا وتأتي حجةٌ بعد قاتلِ
 يحوط الذمارُ غيرَ ذربِ مواكلِ
 نعالِ اليتامى عَصْمَةٍ للأرامِلِ
 فهمُ عنده في رحمةٍ وفواضلِ
 إلى بُغضنا وجزأنا لا كلِّ
 ولكنَّ أطلاعا أمرُ تلك القبائلِ
 ولم يرقبا فينا مقالةً قاتلِ
 وكلُّ تولى مُعرُضا لم يجاملِ
 نكلُّ لها صاعًا بصاعِ المكايِلِ
 ليظعننا في أهلِ شاءٍ وجاملِ
 فجاجِ أبا عمرو بنا ثم خاتلِ
 بلى قد تراه جهرةً غيرَ خاتلِ
 من الأرضِ بينَ أخشبٍ فجادلِ
 بسعيك فينا معرُضا كالحاتلِ
 ورحمته فينا ولست يجاملِ
 حُسدٍ كذوبٍ مبغضٍ ذى دغاولِ
 كما مرَّ قِيلٌ من عظامِ المَقاولِ
 ويزعمُ أُنِي لست عنكم بقاتلِ
 شقيقٌ ويخني عارماتِ الدواخلِ
 ولا معظِمٍ عندَ الأمورِ الجلائلِ
 أولي جلدٍ من الخِصومِ المساجلِ
 وإني متى أوكلُ فلستُ بوائِلِ
 عقوبةً شرًّا عاجلاً غيرَ آجلِ
 له شاهدٌ من نفسه غيرُ عاتلِ

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
 ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
 وسهم ومخزوم نملوا وألبوا
 فبذل مناف أنتم خير قومكم
 لعمرى لقد وهنت وعجزتم
 وكنتم حديثاً حطب قنر وأنتم
 لبين بني عبد مناف عقوقنا
 فان نك قوماً تثر ما صنعتم
 [(١) وسائط كانت في لؤي بن غالب
 ورهط نفيل شر من وطى الحصى
 فأبلغ قصياً أن سينشر أمرنا
 ولو طرقت ليلاً قصياً عظيمة
 ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم
 فكل صديق وابن اخت نعدّه
 سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة
 [(٢) وهنأهم حتى تبدد جمعهم
 وكان لنا حوض السقاية فيهم
 شباب من المطيبين وهاشم
 فما أدركوا ذحلاً ولا سفكوا دماً
 بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم
 بني أمة محبوبة هند كية
 ولكننا نسل كرام لسانه
 ونعم ابن أخت القوم غير مكذب
 اشم من الشم البهليل يفتني
 لعمرى لقد كلفت وجهاً باحد

بني خلف قيضاً بنا والنياطل
 وآل قصي في الخطوب الاوائل
 علينا العدى من كل طمل وخامل
 فلا تشركو في أمركم كل واغل
 وجنم بأمر مخطئ للمفاصل
 الآن أخطب أقدر ومراجل
 وخذلانا وتركنا في المعازل
 ونحتلبوها لقحة غير باهل
 فقام إلينا كل صقر حلال
 والأم حاف من معد وناغل
 وبشر قصياً بعدنا بالتخاذل
 إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
 لكننا أسمى عند النساء المطافل
 لعمرى وجدنا غبه غير طائل
 براء إلينا من معقة خاذل
 ونحسر عنا كل باغ وجاهل
 ونحن الكدى من غالب والكواهل
 كبيض السيوف بين أيدي الصياقل
 ولا حالوا إلا شرار القبائل
 ضواري أسود فوق لحم خراذل
 بني جمع عبيد قيس بن عاقل
 بهم نبي الاقوام عند البواطل
 زهير حساماً مفرداً من حائل
 إلى حسب في حومة المجد فاضل
 وإخوته داب المحب المواصل

(١) لم يرد هذان البيتان في الاصلين ، وزدناها من سيرة ابن هشام .

(٢) هذه الايات السبعة لم ترد في الاصلين ، وزدناها من سيرة ابن هشام .

فن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكماء عند التفاضل
 حلیم رشید عادل غیر طائش یوالی إلهاً ليس عنه بغافل
 کریم المساعي ماجد وابن ماجد له إرث مجد ثابت غیر فاضل
 وأئنه رب العباد بنصره وأظهر ديناً حقاً غیر زائل
 فوالله لولا أن أجيئ بسبب نجر على أشياخنا في المحافل
 لكننا تبعناه على كل حالة من الدهر جدّاً غير قول التهازل
 لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعني بقول الأباطل
 فاصبح فينا أحد في أرومة يقصر عنها سورة المتطاول
 حذبت بنفسي دونه وحيته ودافعت عنه بالذرى والكلا كل

قال ابن هشام : هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .
 قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع قولها إلا من نسبت إليه ، وهي أغل من
 المعلقات السبع ، وابلغ في تأدية المعنى فيها جميعها ، وقد أوردتها الاموي في مغازيه مطولة بزيادات
 اخر والله أعلم ^(١) .

فَضْلُهُ

قال ابن اسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله (ص) من أصحابه فوثبت كل
 قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويمدبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة
 . إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم
 ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم ، فكان بلال مولى أبي بكر لبعض بنى جمح مولداً من
 مولديهم وهو بلال بن رباح ، واسم امه حمامة ، وكان صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن
 خلف يخرج به إذا حمت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا
 (١) في سيرة ابن هشام زيادة على ما أوردته المؤلف من هذه القصيدة واختلاف في بعض الألفاظ
 وتقديم وتأخير ليس هنا محل بسطه ولهذا القصيدة نسخ مطبوعة على حديثها فليرجع إليها من أراد
 ذلك وزاد ابن هشام هذه الايات :

فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها وزينا لمن والاه رب المشاكل
 رجال كرام غير ميل نمام إلى الخير آباء كرام المحاصل
 فان تلك كعب من لوى صقية فلا بد يوماً مرة من تزايل

تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد (ص)، وتعبد اللات والعزى فيقول: - وهو في ذلك - أحد أحد. قال ابن اسحاق: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب لذلك وهو يقول أحد أحد، فيقول أحد أحد والله يابلل، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا.

قلت: قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي، وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول (يا أيها المدثر) فكيف يمر ورقة بابلل، وهو يعذب وفيه نظر. ثم ذكر ابن اسحاق مرور أبي بكر بابلل وهو يعذب، فاشتره من أمية بعبد له أسود فاعتقه وأراحه من العذاب وذكر مشتره لجماعة ممن أسلم من العبيد والاماء، منهم بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عيسى (١) التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها، والتهدية وابنتها اشتراها من بني عبد الدار بعثتهما سيدهما تطحنان لها فسمعها وهي تقول لها: والله لا أعتقكما أبداً فقال أبو بكر: حل يا أم فلان، فقالت حل أنت أفديتهما فاعتقهما، قال فيكم هما؟ قالت بكذا وكذا. قال قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليهما طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم رده إليها؟ قال: ذلك إن شئتما. واشترى جارية بني مؤمل - حى من بني عدى - كان عمر يضربها على الاسلام. قال ابن اسحاق: فحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله. قال قال أبو قحافة لابنه أبي بكر: يا بني إني أراك تعتق ضعافا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلا جلداء يمنعونك ويقومون دونك؟ قال فقال أبو بكر: يا أبة إني إنما أريد ما أريد. قال: فتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيسرهُ للسرى) إلى آخر السورة وقد تقدم ما رواه الامام احمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود. قال أول من أظهر الاسلام سبعة، رسول الله (ص)، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد فاما رسول الله (ص) فمنعه الله بعمة، وأبو بكر بمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فلبسهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد. ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلا.

قال ابن اسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت اسلام - إذا حمت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة. فيمر بهم رسول الله (ص)، فيقول - فيما بلغني - : (١) كذا في الاصلين. والصحيح أن الذي أصيب بصرها (زنيرة) وضبطها السهيلي بكسر الزاي وتشديد النون فكانها سقطت من الناسخ لأن ابن هشام ذكرها بعد أم عيسى.

« صبرا آل ياسر موعدكم الجنة » وقد روى البيهقي عن الحاكم عن ابراهيم بن عصمة العنبري حدثنا السري بن خزيمة حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام بن أبي عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر ان رسول الله (ص) مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال : « أبشروا آل عمار وآل ياسر فان موعدكم الجنة » فاما أمه فيقتلونها فتأبى الا الاسلام . وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد . قال أول شهيد كان في أول الاسلام استشهد أم عمار ممية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها . وهذا مرسل .

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش ، إن مع رجل قد أسلم له شرف ومنعة أئبه وخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفن حملك ، ولنفلن رأيك ، ولنضعن شرفك . وإن كان تاجراً قال والله لنكسبن تجارتك ، ولنهلكن مالك . وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به لعنه الله وقبحه . قال ابن اسحاق : وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله (ص) من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له اللات والعزى إلهان من دون الله فيقول نعم ! افتداه منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى [من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدره فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم] الآية فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته . وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الارت . قال : كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته اتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال فاني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك ؟ فانزل الله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) إلى قوله (ويأتينا فرداً) أخرجاه في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الاعمش به . وفي لفظ البخاري كنت قينا بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سيفاً فجئت اتقاضاه فذكر الحديث . وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا بنان واسماعيل . قالا : معناه قيسا يقول سمعت خبابا يقول : أثبت النبي (ص) وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت ألا تدعو الله ؟ فقام وهو محمر وجهه . فقال : « قد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما

يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل « زاد بنان » والذئب على غنمه « وفي رواية « ولكنكم تستعجلون » انفرد به البخاري دون مسلم . وقد روى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان وابن جعفر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن سعيد ابن وهب عن خباب . قال شكونا إلى النبي (ص) شدة الرمضاء فما أشكنا - يعني في الصلاة - وقال ابن جعفر : فلم يشكنا . وقال أيضا : حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت سعيد بن وهب يقول سمعت خبابا يقول : شكونا إلى رسول الله (ص) الرمضاء فلم يشكنا ، قال شعبة يعني في الظهيرة . ورواه مسلم والنسائي والبيهقي من حديث أبي اسحاق السبيعي عن سعيد بن وهب عن خباب . قال شكونا إلى رسول الله (ص) حر الرمضاء . - زاد البيهقي في وجوهنا واكفنا - فلم يشكنا . وفي رواية شكونا إلى رسول الله (ص) الصلاة في الرمضاء فلم يشكنا . ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع عن الاعمش عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب العبدى عن خباب . قال : شكونا إلى رسول الله (ص) حر الرمضاء فلم يشكنا . والذي يقع لي - والله أعلم - أن هذا الحديث مختصر من الأول وهو أنهم شكوا إليه (ص) ما يلتقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن اسحاق وغيره ، وسألوا منه (ص) أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم في الحالة الراهنة وأخبرهم عن كان قبلهم أنهم كانوا يلتقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ، ويبشرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلمه وينشره وينصره في الاقاليم والافات حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون . ولهذا قال شكونا إلى رسول الله (ص) حر الرمضاء في وجوهنا واكفنا فلم يشكنا ، أي لم يدع لنا في الساعة الراهنة ، فمن استدلل بهذا الحديث على عدم الإبراد أو على وجوب مباشرة المصل بالکف كما هو أحد قولی الشافعی ففيه نظر والله أعلم .

باب

مجادلة المشركين رسول الله (ص) وإقامة الحججة الدامغة عليهم واعترافهم في

أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

قال اسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس . أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله (ص) فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له فبلغ

ذلك أبا جهل فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال لم ؟ قال ليعطوكه فانك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ، قال قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا ، قال قل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له . قال وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيده منى ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذى يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لشمر اعلاه مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته . قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال قف عنى حتى أفكر فيه ، فلما فكر . قال : ان هذا الاسحر يؤثر يائره عن غيره قزلت (ذرنى ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً) الآيات هكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن محمد الصنعائى بمكة عن اسحاق به . وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسل . فيه أنه قرأ عليه [إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون] وقال البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير - أو عكرمة عن ابن عباس - أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر المواسم فقال ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضهم بعضاً ، ويرد قول بعضهم بعضاً . فقيل : يا أبا عبد شمس قل واقم لنا رأياً تقوم به ، فقال بل أنتم تقولوا وأنا اسمع . فقالوا نقول كاهن ؟ فقال ما هو بكاهن رأيت الكهان . فبأهو بزمنة الكهان . فقالوا نقول مجنون ؟ فقال ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بمجننه ولا تخالجه ولا وسوسته . فقال نقول شاعر ؟ فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقرضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر . قالوا فنقول هو ساحر ؟ قال ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرم فما هو بنفته ولا بمقده . قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لمغدق ، وان فرعه لجنى فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الا عرف أنه باطل ، وان اقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر ، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم أحد لا حذروه اياه وذكروا لهم أمره وأنزل الله فى الوليد (ذرنى ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً) الآيات وفى أولئك نفر الذين جعلوا القرآن عضين (فور بك لنسألهم اجمعين عما كانوا يعملون) .

قلت : وفى ذلك قال الله تعالى اخباراً عن جهلهم وقلة عقلهم [بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليثبتنا بأية كما أرسل الاولون] فخاروا ماذا يقولون فيه فكل شئ يقولونه باطل ، لأن

من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ . قال الله تعالى : (أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلا) . وقال الامام عبد بن حميد في مسنده حدثني أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي ابن مسهر عن الاجلح هو ابن عبد الله الكندي عن الزيال بن حرمة الاسدي عن جابر بن عبد الله . قال : اجتمع قريش يوما فقالوا أنظروا أهلكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا لرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فاتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله (ص) . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله (ص) . قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وان كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة ^(١) قط اشأم على قومه منك فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا ، وان في قريش كاهنا . والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى : أيها الرجل إن كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا . فقال رسول الله (ص) : « فرغت ؟ » قال نعم ! فقال رسول الله (ص) : [بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عرييا لقوم يعلمون] الى ان بلغ [فان أعرضوا قفل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود] . فقال عتبة : حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال لا ! فرجع الى قريش فقالوا ما وراك ؟ قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه الا كلمته . قالوا : فمـل أجابك ؟ فقال نعم ! ثم قال لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويليك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة . وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم عن الاصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الاجلح به . وفيه كلام ، وزاد : وان كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسا ما بقيت وعنده أنه لما قال : (فان أعرضوا قفل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ، ولم يخرج الى أهله واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : والله يامعشر قريش ما نرى عتبة الا صبأ الى محمد واعجبه طامه ، وما ذاك الا من حاجة اصابته ، انطلقوا بنا اليه فاتوه . فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا الا أنك صبت الى محمد وأعجبك أمره ، فان كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد . فغضب واقسم بالله لا يكلم محمدا ابدا . وقال : لقد علمت أني

(١) كذا في الاصلين . وفي النهاية السخل : المولود المحجب الى أبويه .

من أكثر قریش مالا، ولكنى أتيتُه وقص عليهم القصة فاجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم) حتى بلغ (فإن اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد ونمود) فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، تخفت أن ينزل عليكم العذاب. ثم قال البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً حليماً. قال - ذات يوم وهو جالس في نادى قریش، ورسول الله (ص) جالس وحده في المسجد - يا معشر قریش ألا أقوم إلى هذا فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا. قالوا: بلى يا أبا الوليد! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله (ص) فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض على رسول الله (ص) من المال والملك وغير ذلك. وقال زياد بن إسحاق فقال: عتبة يا معشر قریش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله (ص) يزيدون ويكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد! فقم إليه وكله. فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله (ص) فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة والمكان في النسب، وأنت قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم، وسفحت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم. فاصمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال فقال له رسول الله (ص): «يا أبا الوليد اسمع». قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً نراه لا تستطيع ردد عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتدأوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة. قال له النبي (ص): «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال نعم! قال اسمع مني، قال افعل! فقال رسول الله (ص): (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآننا عريباً لقوم يعلمون) ففضى رسول الله (ص) يقرأها فلما سمع بها عتبة انصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله (ص) إلى السجدة فسجدها ثم قال: «سمعت يا أبا الوليد؟» قال سمعت. قال: «فانت وذاك» ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نخلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الرجة الذي ذهب به. فلما جلسوا إليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قریش

أطيعوني واجملوها بي . خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي لكم فاضنعوا ما بدا لكم . ثم ذكر يونس عن ابن اسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الادمي بمكة حدثنا أبو أيوب احمد بن بشر الطيالسي حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا المثنى بن زرعة عن محمد بن اسحاق عن نافع عن ابن عمر . قال : لما قرأ رسول الله (ص) على عتبة بن ربيعة (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم ، وأعصوني فيما بعده ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت اذ نأى كلاماً مثله ، وما دريت ما أرد عليه وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن اسحاق حدثني الزهري . قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله (ص) وهو يصلي بالليل في بيته ، فآخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه : وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رأيتم بعض سفهائكم لا وقعت في نفسه شيئاً . ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ثم انصرفوا . فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا لا نبرح حتى تتعاهد أن لا تعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا : فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء اعرفها واعرف ما يراد بها فقال الاخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى اذا تجاثبنا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فتي ندرك هذه ؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه . فقام عنه الاخنس بن شريق ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس حدثنا احمد حدثنا يونس عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبه . قال : إن أول يوم عرفت رسول الله (ص) أتى امشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله (ص) .

قال رسول الله ﷺ: لأبي جهل: «يا أبا الحكم، هلم إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله». فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منتقم من سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لا تبعثك. فانصرف رسول الله ﷺ. وأقبل على فقال: والله أني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن [يمنعني] شيء. إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا نعم، ثم قالوا فينا السقاية، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا الندوة، فقلنا نعم. ثم قالوا فينا اللواء، فقلنا نعم. ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبي، والله لا أفعل.

وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثنا محمد بن خالد حدثنا أحمد بن خلف حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق. قال: مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان، وهما جالسان. فقال أبو جهل: هذا نبيكم يا بني عبد شمس. قال أبو سفيان: وتعجب أن يكون منا نبي؟ فالتبى يكون فيمن أقل منا وأذل. فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبيي، ورسول الله ﷺ يسمع. فأتاهما فقال: «أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت للأصل. وأما أنت يا أبا الحكم، فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيرا» فقال: بئسما تعدني يا ابن أخي من نبوتك. هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

وقول أبي جهل — لعنه الله — كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه [وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً، وهذا الذي بعث الله رسولا؟ إن كاد ليلضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها. وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا].

وقال الامام أحمد: حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال: كان إذا صلى بإصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به، قال فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) وهكذا رواه صاحبنا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حبة به.

وقال محمد بن إسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن — وهو يصلي — تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو، وهو يصلي، استرق السمع، دونهم فرقا منهم، فان رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذا هم فلم يستمع، فان خفض رسول الله ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً، فانزل الله تعالى (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك، لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع، فيفتنع به (وابتغ بين ذلك سبيلا)

باب

هجرة أصحاب رسول الله ، من مكة الى ارض الحبشة

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد . والاهانة البالغة . وكان الله عز وجل قد حجرهم عن رسوله (س) ، ومنعه بعه أبي طالب ، كما تقدم تفصيله والله الحمد والمنة . وروى الواقدي أن خروجهم اليها في رجب سنة خمس من البعثة ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماشر وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة . وهم عثمان بن عفان ، وامراته رقية بنت رسول الله (س) ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وامراته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العنزي ، وامراته ليلى بنت أبي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم ، وإيقل بل أبو [حاطب بن عمرو^(٢)] ، وسهيل بن بيضاء ، وعبد الله بن مسعود ، رضي الله عنهم أجمعين . قال ابن جرير وقال آخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً ، سوى نسلهم وابنائهم ، وعمار بن ياسر ، نثك . فان كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً .

وقال محمد بن اسحاق : فلما رأى رسول الله (س) ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ، ومن عه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعه مما هم فيه من البلاء . قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ؟ فان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق - حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (س) إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الاسلام فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان ، وزوجته رقية بنت رسول الله (س) . وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبري عن بشر بن موسى^(١) عن الحسن ابن زياد البرجي حدثنا قتادة . قال : أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه سمعت النضر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة - يعني أنس بن مالك - يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امراته رقية بنت رسول الله (س) إلى أرض الحبشة ، فابطأ على رسول الله (س) خبرها فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امراته . قال : « على أي حال رأيتهما ؟ »

(١) وفي ز : عن يونس بن عيسى . (٢) التصحيح عن ابن هشام والاصابه عن محمود الامام

قالت رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه البياضة ، وهو يسوقها ، فقال رسول الله (ص) : « صحبهما الله ، ان عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام » .

قال ابن اسحاق : وأبو حذيفة بن عتبة ، وزوجته سهيلة بنت سهيل بن عمرو - وولدت له بالجيشة محمد بن أبي حذيفة - والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة - وولدت له بها زينب - وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة - حليف آل الخطاب ، وهو من بني عترة بن وائل وامراته ليلى بنت أبي حنمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم العامري ، وامراته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو - ويقال أبو حاطب ابن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر - وهو أول من قدمها فيها قيل - وسهيل بن بيضاء . فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين الى أرض الحبشة فيما بلغني . قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن اسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس ، وولدت له بها عبد الله بن جعفر . وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الاولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله (ص) ، إلى الشعب ، وفي هذا نظر والله أعلم . وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية اليها . وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولاً ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا ، فلما قدموا مكة - وكان فيمن قسم عثمان بن مظعون - فلم يجذبوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة . وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وهي الهجرة الثانية - كما سيأتي بيانه . قال موسى بن عقبة : وكان جعفر ابن أبي طالب فيمن خرج ثانياً . وما ذكره ابن اسحاق من خروجه في الرعيل الاول أظهر كما سيأتي بيانه والله أعلم . لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولاً ، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره ، كما سنورده مبسوطاً . ثم إن ابن اسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضو الله عنهم . وهم عمرو بن سعيد بن العاص ، وامراته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرز بن شق الكنانى : وأخوه خالد ، وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعي . وولدت له بها سعيداً ، وأماً التي تزوجها بعد ذلك الزبير ، فولدت له عمرأً وخالداً . قال وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وأخوه عبيد الله ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وقيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمة ، وامراته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان ، ومعيقب بن أبي فاطمة : وهو من موالى سعيد بن العاص قال ابن هشام : وهو من دوس . قال وأبو موسى [الاشعري] عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن

ربيعة . وستكلم معه في هذا . وعتبة بن غزوان ، ويزيد بن زمة بن الاسود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد ، وسويبط بن سعد بن حرملة ، وجهم بن قيس العبدوي ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود بن خزيمة ، وولده عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر ابن الحارث بن كلدة ، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهري ، وامراته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة . وولدت بها عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمقداد بن الاسود ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وامراته ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تميم بن مرة ، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومي - قال وإنما سمى شماساً لحسنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان - وهبار بن سفيان بن عبد الاسود المخزومي ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة ابن المغيرة ، ومعتب بن عوف بن عامر - ويقال له عيهامة - وهو من حلفاء بني مخزوم . قال : وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت الجلال ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب ، وامراته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وامراته حسنة ، وابناه منها جابر وجنادة ، وابنها من غيره ، وهو شرحبيل بن عبد الله - أحد الغوث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذي يقال له شرحبيل ابن حسنة ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، وخنيس بن حذافة بن قيس ابن عدى ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل ابن سعيد ، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس ابن عدى ، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسيد ابناء الحارث ، وسعيد بن قيس ابن عدى لأمه وهو سعيد بن عمرو التيمي ، وعمير بن رقاب بن حذيفة بن مهشم - سعيد بن سهم ، وحليف لبني سهم : وهو محمية بن جزء الزبيدي ، ومعمر بن عبد الله العدوي ، وعروة بن عبد العزى ، وعدى بن فضلة بن عبد العزى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مخزومة العامري ، وعبد الله ابن سهيل بن عمرو ، وسليط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سودة بنت زمة ، ومالك بن ربيعة ، وامراته عمرة بنت السعدى ، وأبو حاطب بن عمرو العامري ، وحليفهم سعد بن خولة - وهو من اليمن ، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، وسهيل بن بيضاء - وهى أمه ، واسمها دعد بنت جحلم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال

ابن ضبة بن الحارث ، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ،
وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ، وعمرو بن الحارث بن زهير
ابن أبي شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير اخوات ، وسعيد بن عبد قيس بن لقيط ،
وأخوه الحارث الفهريون . (١)

قال ابن اسحاق : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى أبنائهم
الذين خرجوا بهم صفاراً وولدوا بها - ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .
قلت : وذكر ابن اسحاق أبا موسى الاشعري فيمن هاجر من مكة الى أرض الحبشة غريب
جداً . وقد قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبي اسحاق
عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود . قال : بعثنا رسول الله (ص) الى النجاشي ، ونحن نحواً من
ثمانين رجلاً ، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر ، وعبد الله بن عرفة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى
فاتوا النجاشي . وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد يهدية ، فلما دخلا على النجاشي
سجدوا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له : إن نفرأ من بني عننا نزلوا أرضك ورغبوا عنا
وعن ملتنا . قال فأين هم ؟ قالوا : في أرضك ، فابعث اليهم ، فبعث اليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم
اليوم فاتبعوه ، فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل
قال وما ذاك ؟ قال إن الله بعث النبي رسولاً ثم أمرنا إن لا نسجد لاحد إلا الله عز وجل وأمرنا بالصلاة
والزكاة . قال عمرو : فاتهم يخالفونك في عيسى بن مريم ، قال فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟ قال
نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول ، التي لم يسها بشر ، ولم يفرضا ولد . قال
فرجع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما يزيدون على الذي نقول
فيه ما سوى هذا ، مرحباً بكم وبين جثم من عنده ، أشهد أنه رسول الله (ص) . وأنه الذي نجد في
الإنجيل . وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من
الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه . وأمر يهدية الآخرين فردت اليهما ، ثم تعجل عبد الله
ابن مسعود حتى أدرك بدرأ . وزعم أن النبي (ص) استغفر له حين بلغه موته . وهذا إسناد جيد
قوي وسياق حسن . وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم
يكن ذكره مدرجا من بعض الرواة والله أعلم . وقد روى عن أبي اسحاق السبيعي من وجه آخر .

(١) وقع اختلاف بين الاصلين وبينهما وبين السيرة لابن هشام في اسماء المهاجرين وعددهم
وحيث المؤلف اسند النقل عن ابن اسحاق فما وافق احد الاصلين مع ابن هشام اعتمدناه .

فقال الحافظ أبو نعيم في الدلائل حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا
 عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل . وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا الحسن بن
 علوية القطان حدثنا عباد بن موسى الخثلي حدثنا اسماعيل بن جعفر حدثنا إسرائيل . وحدثنا أبو
 أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا اسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حدثنا
 عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى . قال : أمرنا رسول
 الله (ص) ، أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن
 العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية وقدموا على النجاشي فأتياه بالهدية ، فقبلها وسجدا له
 ثم قال عمرو بن العاص : إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك . قال لهم النجاشي في
 أرضي ؟ قالوا نعم ! فبعث اليها ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد . أنا خطيبكم اليوم ، فأنهينا
 إلى النجاشي ، وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعمارة عن يساره . والقسيسون
 جلوس سباطين . وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك . فلما انتهينا بدرنا من عنده من
 القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل . فلما انتهينا إلى
 النجاشي قال ما منعك أن تسجد ؟ قال لا نسجد إلا لله . فقال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال إن الله
 بعث فينا رسولا - وهو الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه
 أحمد ، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا
 عن المنكر . فاعجب النجاشي قوله ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص ، قال : أصلح الله الملك إنهم
 يخالفونك في عيسى بن مريم ، فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبكم في ابن مريم ؟ قال يقول فيه قول
 الله : هو روح الله وكلته أخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر ولم يفرضا ولد : فتناول
 النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول
 في ابن مريم ولا وزن هذه . مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فانا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي
 بشر به عيسى . ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه ، أمكثوا في أرضي ما شئتم ، وأمر
 لنا بطعام وكسوة . وقال ردوا على هذين هديتهما ، وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عمارة
 رجلاً جميلاً ، وكانا أقبلتا في البحر ، فشربا ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو مر امرأتك
 فلتقبلني . فقال له عمرو : ألا تستحي ؟ فاخذ عمارة عمراً فرمى به في البحر ، فجعل عمرو : يناشد عمارة
 حتى أدخله السفينة ، فحمد عليه عمرو في ذلك . فقال عمرو للنجاشي : إنك إذا خرجت خلفك عمارة
 بن أهلك ، فدعا النجاشي بعمارة فنفع في إحليله فطار مع الوحش . وهكذا رواه الحافظ البيهقي في
 لدلائل من طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكر بأسناده مثله إلى

قوله : فامر لنا بطعام وكسوة . قال وهذا اسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى : أنهم بلغهم مخرج رسول الله (ص) ، وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضعة وخمسين رجلا في سفينة ، فالتقهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم ، فامرهم جعفر بالاقامة ، فاقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله (ص) ، زمن خيبر . قال وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي ، فآخبر عنه . قال ولعل الراوى وهم في قوله : أمرنا رسول الله (ص) أن نطلق والله أعلم .

وهكذا رواه البخارى في باب هجرة الحبشة . حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى . قال : بلغنا مخرج النبي (ص) ونحن باليمن ، فركبنا سفينة فالتقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه فاقمنا معه حتى قدمنا فوافقنا النبي (ص) ، حين افتتح خيبر ، فقال النبي (ص) : « لكم أنتم أهل السفينة هجرتان » وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن برآد [بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى] كلاهما عن أبي أسامة به ، وروياه في مواضع أخر مطولا والله أعلم .

وأما قصة جعفر مع النجاشي فان الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية نفسه ، ومن رواية عمرو بن العاص . وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم . وأم سلمة كما سيأتى . فاما رواية جعفر فانها عزيزة جداً . رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندى عن أبي الحسين بن النقوم عن أبي طاهر الخلص عن أبي القاسم البغوى . قال حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفى عن عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا أسد بن عمرو البجلي عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن عبد الله بن جعفر عن أبيه . قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي . فقالوا له - ونحن عنده - : قد صار اليك ناس من سفلتنا وسفهائنا ، فادفعهم الينا ، قال لا حتى أسمع كلامهم . قال فبعث الينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال قلنا هؤلاء قوم يعبدون الاوثان ، وإن الله بعث الينا رسولا فآمننا به وصدقناه . فقال لهم النجاشي أعبيدهم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دين ؟ قالوا لا . قال فخلوا سبيلهم . قال فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول ، قال إن لم يقولوا في عيسى مثل قولى لم أدهم في أرضى ساعة من نهار . فارسل الينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الاولى ، قال ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم ؟ قلنا يقول : هو روح الله وكلته القاها إلى عذراء بتول ، قال فارسل فقال ادعوا لى فلان القس ، وفلان الراهب . فآناه ناس منهم فقال : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟

فقالوا أنت أعلمنا، فما تقول؟ قال النجاشي - وأخذ شيئاً من الأرض - قال ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا، ثم قال أيؤذيكم أحداً؟ قالوا نعم! فنادى مناد من آذى أحداً منهم فاغرموه أربعة دراهم ثم قال أيكفيكم؟ قلنا لا، فأضعفها. قال فلما هاجر رسول الله -ص- إلى المدينة وظهر بها قلناه إن رسول الله -ص- قد ظهر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه، فردنا. قال نعم! فحملنا وزودنا. ثم قال أخبر صاحبك بما صنعت اليكم، وهذا صاحبكم معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله. وقل له يستغفر لي. قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة فقلنا رسول الله -ص- واعتقني، ثم قال: «ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدم جعفر؟» ووافق ذلك فتح خيبر، ثم جلس فقال رسول النجاشي: هذا جعفر فساد ما صنع به صاحبنا؟ فقال نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. وقال لي قل له يستغفر لي. فقام رسول الله -ص- فتوضأ، ثم دعا ثلاث مرات «اللهم اغفر للنجاشي» فقال المسلمون آمين. ثم قال جعفر فقلت للرسول انطلق فان خبر صاحبك بما رأيت من رسول الله -ص-. ثم قال ابن عباس كره حسن غريب.

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام عن أم سلمة رضي الله عنها. أنها قالت: لما ضاقت مكة وأوذى أصحاب رسول الله -ص- وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله -ص- لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شيء مما يكره وبما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله -ص-: «إن بارض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فاحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه» فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها، فقتلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخش فيها ظمأ. فلما رأيت قريش أننا قد أصبنا داراً وأماناً، غاروا منا، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقه، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيئوا له هدية على حدة، وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم، ثم ادفعا إليه هداياهم فان استعظم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا. فقدموا عليه فلم يبق بطريق من بطارقه إلا قدموا إليه هديته، فكلموه فقالوا له: إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم. فبعثنا قومهم ليردوا الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فاشيروا عليه بأن يفعل فقالوا نفعل. ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم - وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرساً وجبة ديباج - فلما أدخلوا عليه هداياه. قالوا له: أيها

الملك : إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجللوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجئوا إلى بلادك ، وقد بعثنا اليك فيهم عشائرم ، أبائهم وأعمامهم وقومهم لتردم عليهم ، فانهم أعلا بهم عيناً ، فانهم لن يدخلوا في دينك فتمنهم لذلك . فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردم عليهم حتى أدعوم ، فأكلهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجئوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى فان كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعهم ولم أدخل بينهم وبينهم ، ولم أنم عينا - [وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردم اليهم . فقال : لا والله ! حتى اسمع كلامهم واعلم على أى شئ هم عليه ؟ فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له . فقال : أيها الزهط ألا تحدثونى مالكم لا تحبونى كما يحببني من أناس من قومكم ؟ فآخبرونى ماذا تقولون فى عيسى وما دينكم ؟ أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا . قال أفهروا أنتم ؟ قالوا : لا . قال : فلى دين قومكم ؟ قالوا : لا . قال فما دينكم ؟ قالوا الاسلام . قال وما الاسلام ؟ قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئاً . قال : من جاءكم بهذا ؟ قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله الينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وإداء الأمانة ، ونهانا أن نعبد الاوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق وكذبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الاوثان ، فقررنا اليك بديننا ودمائنا من قومنا . قال : والله إن هذا لمن المشكاة التى خرج منها أمر موسى . قال جعفر : وأما التحية فان رسول الله (ص) ، أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرنا بذلك لخينناك بالذى يحى بعضنا بعضاً . وأما عيسى ابن مريم فعبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول . فآخذ عوداً وقال : والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود . فقال عطاء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك . فقال : والله لا أقول فى عيسى غير هذا أبداً ، وما أطاع الله الناس فى حين رد على ملكى فاطع الناس فى دين الله . معاذ الله من ذلك . وقال يونس عن ابن اسحاق (١) [فأرسل اليهم النجاشي لجمعهم ولم يكن شئ ابغض لعمر وبن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم . فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا ماذا تقولون ؟ فقالوا وماذا تقول ، تقول والله ما نعرف . وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا (ص) . كائن من ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه . فقال له النجاشي : ما هذا الدين الذى أنتم عليه ؟ فارقم دين قومكم ولم تدخلوا فى يهودية ، ولا نصرانية . فقال له جعفر : أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الاوثان ونأكل الميتة ونسى الجوارى يستحل المحارم بعضنا من

(١) ما بين المربعين زيادة من النسخة المصرية .

بعض في سفك الدماء وغيرها ، لأنحل شيئاً ولا نحرمه . فبعث الله اليها نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وامانته فدعانا الى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الارحام ونحمي الجوار ونصلي لله عز وجل ، ونصوم له ، ولا نعبد غيره .

وقال زياد عن ابن اسحق : فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاثوان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قال - فعدوا عليه أمور الاسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبدا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئاً ، وحرمانا ما حرم علينا واحلالنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ويردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . قالت فقال النجاشي : هل معك شيء مما جاء به ؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله . فقال له جعفر ! نعم : قال هلم قاتل على مما جاء به ، فقرأ عليه صديراً من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم . ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين لا والله لا أردم عليكم ولا أنعمكم عينا . فخرجنا من عنده وكان أبقى الرجلين فينا عبد الله بن ربيعة . فقال عمرو بن العاص : والله لا آتينه غدا بما استأصل به خضراء هم ، ولا أخبرنه أنهم يزعمون أن إله الذي يعبد عيسى بن مريم عبد . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فانهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً . فقال : والله لافعلن ! فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فأرسل اليهم فسلمهم عنه . فبعث الله اليهم ولم ينزل بنا مثلها ، فقال بعضهم لبعض ماذا تقولون له في عيسى ان هو يسألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذي قاله الله فيه ، والذي أمرنا نبين ان قوله فيه فدخلوا عليه وعنده بطارقه فقال ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال له جعفر : قول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلته القاها الى مريم العذراء البتول . فبلى النجاشي يده الى الارض فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال : ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد . فتناخرت بطارقه . فقال : وان تناخرتم والله ! اذهبوا فانتم سيوم في الارض - السيوم الآمنون في الارض ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ثلثا ما أحب أن لي دبراً وإني آذيت رجلاً منكم - والدبر بلساتهم الذهب . وقال زياد عن ابن اسحاق ما أحب أن لي دبراً من ذهب . قال

ابن هشام : ويقال زبرا وهو الجبل بلغتهم . ثم ظل النجاشي : فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي ، ولا أطاع الناس في فاطيع الناس فيه . ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها . وأخرجنا من بلادى نخرجا مقبوحين مردودا عليهما ما جآ به . قالت : فاقنا مع خير جار في خير دار ، فلم نشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينارعه في ملكه ، فوالله ما علمنا حزنا حزنا قط هو أشد منه ، فرقا من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتى ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه ، فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشي نخرج اليه سائرا فقال أصحاب رسول الله (ص) بعضهم لبعض : من يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون ؟ وقال الزبير - وكان من أحدهم سنا - أنا ، فنفضوا له قربة فجعلها في صدره ، فجعل يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر الى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشي عليه . فجاءنا الزبير فجعل يلبح لنا بردائه ويقول ألا فابشروا ، فقد أظهر الله النجاشي . قلت : فوالله ما علمنا [أننا] فرحنا بشئ قط فرحنا بظهور النجاشي ثم اقنا عنده حتى خرج من خرج منا الى مكة ، وأقام من أقام .

قال الزهري : فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة . فقال عروة : أتدرى ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فأخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس في فاطيع الناس فيه ؟ فقلت لا ! ما حدثني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة . فقال عروة : فان عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لاب النجاشي ولد غير النجاشي فادارت الحبشة رأبها بينها فقالوا : لو انا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فان له اثنا عشر رجلا من صلبه فتوارثوا الملك ، لبقيت الحبشة عليهم دهرآ طويلا لا يكون بينهم اختلاف ، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه . فدخل النجاشي بعمه حتى غلب عليه فلا يدبر أمره غيره ، وكان لبيبا حازما من الرجال ، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرف أننا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً الا قتله ، فكلموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا ، فمشوا الى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا القى منك ، وقد عرفت أننا قتلنا أباه وجعلناك مكانه وانا لانأمن أن يملك علينا فيقتلنا ، فأما ان تقتله واما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالامس واقتله اليوم . بل اخرجته من بلادكم . فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه في سفينة بستمائة درهم أو بستمائة فانطلق به فلما كان العشي هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطر تحتها فصابته صاعقة فقتلته ففزعوا الى ولده فاذا هم محمقون ليس في أحد منهم خير فخرج على الحبشة أمرهم . فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ان ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعم الغداة ، فان كان لكم بأمر الحبشة

حاجة فادر كوه قبل أن يذهب ، فخرجوا في طلبه فادر كوه فردوه فمقدوا عليه تاجه واجلسوه على سريريه وملكوه ، فقال التاجر : ردوا على مالي كما أخذتم مني غلامي ، فقالوا : لا نعطيك . فقال : اذا والله لا كلمته ، فشى اليه فكلمه فقال أيها الملك اني ابتعت غلاماً فقبض مني الذي باعوه ثمنه ، ثم عدوا على غلامي فترعوه من يدي ولم يردوا على مالي ، فكان أول ماخبر به من صلاية حكمه وعدله ان قال : لتردن عليه ماله : أو لتجملن يد غلامه في يده فليذهبن به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيه ماله فاعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله مني الرشوة فأخذ الرشوة حين رد على ملكي ، وما أطاع الناس في فاطيع الناس فيه .

وقال موسى بن عقبة : كان أبو النجاشي ملك الحبشة ، مات والنجاشي غلام صغير فوصى الى أخيه أن اليك ملك قومك حتى يبلغ ابني ، فاذا بلغ فله الملك فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار فمات عمه من ليلته وقضى ، فردت الحبشة النجاشي حتى وضعوا التاج على رأسه هكذا ذكره مختصراً وسياق ابن اسحق أحسن وأبسط والله أعلم . والذي وقع في سياق ابن اسحاق انما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، والذي ذكره موسى بن عقبة والاموي وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله (ص) حين تضحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره (ص) وهو ساجد عند الكعبة . وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الاشعري . والمقصود انهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه وعمارة كان شاباً حسناً فاصطحبا في السفينة وكان عمارة طمع في امرأة عمرو ابن العاص ، فألقى عمراً في البحر ليهلكه فسيح حتى رجع اليها . فقال له عمارة : لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك ، ففقد عمرو وعليه فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي ، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشي فوشى به عمرو فأمر به النجاشي فسحر حتى ذهب عقله وساح في البرية مع الوحوش . — وقد ذكر الاموي — قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن أمانة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول أرسلني أرسلني والامت فلما لم يرسله مات من ساعته والله أعلم . وقد قيل أن قريشا بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الأول مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو ، وعبد الله بن أبي ربيعة . نص عليه أبو نعيم في الدلائل والله أعلم . وقد قيل : إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر قاله الزهري ، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يجبهم النجاشي رضى الله عنه وأرضاه إلى شيء مما سألوا فله أعلم .

وقد ذكر زياد عن ابن اسحاق : أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشي أبيتاً يحضه فيها على العدل وعلى الاحسان إلى من نزل عنده من قومه :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ فِي النَّأْيِ جَعْفَرُ وَعَمَرُو وَأَعْدَاءُ الْعَدُوِّ الْإِقَارِبُ
وَمَا نَالَتْ أَعْمَالُ النَّجَاشِيِّ جَعْفَرًا وَأَصْحَابَهُ أَوْ عَاقَ ذَلِكَ شَاغِبٌ
وَنَعْلَمُ، أَيُّتَ اللَّعْنِ أَنْكَ مَا جَدَّ كَرِيمٌ فَلَا يَشْقَى إِلَيْكَ الْمَجَانِبُ
وَنَعْلَمُ بَانَ اللَّهُ زَادَكَ بَسْطَةً وَأَسْبَابَ خَيْرٍ كُلُّهَا بِكَ لَا زِبْ

وقال يونس عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قال : إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والمشهور أن جعفرا هو المترجم رضي الله عنهم . وقال زياد البكائي عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها . قالت لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور ، ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق به لما مات النجاشي رضي الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقال زياد عن محمد بن اسحاق : حدثني جعفر بن محمد عن أبيه . قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه ، فارسل إلى جعفر وأصحابه فيها لهم سفنا . وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلته ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب اليمين وخرج إلى الحبشة وصفوا له . فقال : يا معشر الحبشة الست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف أنتم بسيرتي فيكم ؟ قالوا خير سيرة . قال : فما بكم ؟ قالوا فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبده ورسوله . قال : فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله . فقال النجاشي - ووضع يده على صدره على قبائه - : وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا ، وإنما يعني على ما كتب ، فرضوا وأنصرفوا . فبلغ رسول الله (ص) فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له . وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله (ص) نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصاف بهم وكبر أربع تكبيرات . وقال البخاري : موت النجاشي . حدثنا أبو الربيع حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر . قال قال رسول الله (ص) - حين مات النجاشي - مات اليوم رجل صالح قهقروا فصلوا على أخيك أصحمة . وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد وفي بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفي رواية مصحمة وهو أصحمة بن بجر^(١) وكان عبداً صالحاً لبياز كيا وكان عادلاً عالماً رضي الله عنه وأرضاه . وقال يونس عن ابن اسحاق اسم النجاشي مصحمة وفي نسخة صححها البيهقي اصحم وهو بالعربية عطية

(١) في الاصلين : اصحمة بن بجر والتصحيح عن القاموس نقلاً عن محمود الامام .

قال وإنما النجاشي اسم الملك : كقولك كسرى ، هرقل .

قلت : كذا ولعله يريد به قيصر فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم ، وكسرى علم على من ملك الفرس ، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية وتبع لمن ملك اليمن والشحر ، والنجاشي لمن ملك الحبشة وبطليموس لمن ملك اليونان وقيل الهند وخاقان لمن ملك الترك . وقال بعض العلماء إنما صلى عليه لأنه كان يكتُم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلماذا صلى عليه (س) . قالوا : فالغايب ان كان قد صلى عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ؟ ولهذا لم يصل النبي (ص) في غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلى على أحد منهم في غير البلدة التي صلى عليه فيها فإله أعلم .

قلت : وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاة على النجاشي ، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر ^(١) التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر ولهذا روى أن النبي (ص) قال : « والله ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدم جعفر بن أبي طالب » وقدموا معهم بهدايا ونحف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبي (ص) وصحبته أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم ، ومع جعفر وهدايا النجاشي ابن أخى النجاشي ذونختر أو ذونخمرأ أرسله ليعخدم النبي (ص) عوضا عن عمه رضي الله عنهما وأرضاهما . وقال السهيلي : توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة وفي هذا نظر والله أعلم . وقال البيهقي أنبأنا الفقيه أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء الرقي حدثنا أبي العلاء بن مدرك حدثنا أبو هلال بن العلاء عن أبيه عن أبي غالب عن أبي أمامة . قال قدم وفد النجاشي على رسول الله (ص) فقام يخدمهم ، فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « انهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن أكفيهم » . ثم قال وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أنبأنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبي حدثنا طلحة بن زيد عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي قتادة . قال : قدم وفد النجاشي على رسول الله (ص) فقام رسول الله (ص) يخدمهم فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكفيهم » . تفرد به طلحة بن زيد عن الاوزاعي . وقال البيهقي حدثنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا الحيدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو .

(١) كذا في الاصلين . ولعل العبارة (في السنة التي الخ) .

قال : لما قسم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج اليهم ، فقالوا : ما شأنه ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو ان اصحمة يزعم أن صاحبكم نبي .

قال ابن اسحاق : ولما قسم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله (ص) ، وردهم النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله (ص) وبجمرة حتى غاظوا قريشا فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه . قلت : وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب وقال زياد البكائي حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن ابراهيم . قال قال ابن مسعود : إن اسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قال ابن اسحاق : وكان اسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله (ص) إلى الحبشة . حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حنمة قالت : والله إنا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف على وهو على شركه ، فقالت وكنا نلقى منه أذى لنا وشدّة علينا قالت فقال إنه الانطلاق يا أم عبد الله ، قلت نعم ! والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ آذيتونا وقهرتمونا ؟ حتى يجعل الله لنا مخرجا . قالت فقال سبحانه الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آفئا ورقته وحزنه علينا قال : أطمعت في اسلامه قالت قلت نعم ! قال لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الاسلام . قلت : هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الاربعين من المسلمين فان المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ، اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين ويؤيد هذا ما ذكره ابن اسحاق ههنا في قصة اسلام عمر وحده رضى الله عنه ، وسيأتها فانه قال : وكان اسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد أسلمت واسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون باسلامهم من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من بني عدى قد أسلم أيضا مستخفيا باسلامه من قومه ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله (ص) ورهطا من أصحابه

فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله (ص)، عمه حمزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهم، في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله (ص)، بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة . فلقبه نعيم بن عبد الله فقال أين تريد يا عمر؟ قال أريد محمداً هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقتله . فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال : وأى أهل بيتي ، قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله أسلمنا وتابعا محمداً (ص)، على دينه ، فعليك بهما فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب بن الارت ٥٠ صحيفة فيها طه يقرها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها : فلما دخل قال ما هذه الهيئة التي سمعت ؟ قال له ما سمعت شيئاً . قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد . فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتسكفه عن زوجها فضرها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع وأرعوى ، وقال لاخنه أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرأون آفأ أنظر ما هذا الذي جاء به محمداً ؟ وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها ، قال لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها اليها ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت يا أخى إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرآ . قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه . فلما سمع ذلك خباب بن الارت خرج اليه فقال له : والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه (ص)، ، فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام - أو بعمر بن الخطاب - فإله الله يا عمر فقال عند ذلك : فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه ، فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله (ص)، وأصحابه فضرب عليهم الباب : فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله (ص)، فنظر من خلل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف فرجع إلى رسول الله (ص)، وهو فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشح بالسيف ، فقال حمزة فاذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله (ص)، « ائذن له » فاذن له الرجل ونهض إليه رسول الله (ص)، حتى لقيه في الحجرة فاخذ بمحجزته أو بمجمع رداءه ثم جذبه جذبة شديدة

قال ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر يا رسول الله جئتكم لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، قال فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فعرّف أهل البيت أن عمر قد أسلم، فنفروا أصحاب رسول الله (ص) من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله (ص)، وينتصفون بهما من عدوهم قال ابن اسحاق فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن اسلام عمر حين أسلم رضى الله عنه.

قال ابن اسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه عطاء ومجاهد وعن روى ذلك: أن اسلام عمر فيها تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للاسلام مباحداً وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة فخرجت ليلة أريد جلستى أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت لو أنى جئت فلانا الخمار لعلى أجد عنده خمرأ فاشرب منها، فخرجت فجمته فلم أجد له قال فقلت لو انى جئت الكعبة فطفت سبعا أو سبعين، قال فجمت المسجد فاذا رسول الله (ص) قائم يصلى، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الاسود والبيانى، قال فقلت حين رأيته والله لو انى استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول فقلت لأن دنوت منه لاستمع منه لاروعنه. فجمت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشى وريدا ورسول الله (ص) قائم يصلى يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبلة ما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبي وبكيت ودخلني الاسلام، فلم أزل في مكاني قائما حتى قضى رسول الله (ص) صلاته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين - وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية - قال عمر: فقبعت حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزره أدركته، فلما سمع عرفتني فظن أنى انما اتبعته لا وذيّه، فتهمنى^(١) ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟ قال قلت جئت لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عنده. قال فحمد الله رسول الله (ص). ثم قال: «قد هداك الله يا عمر» ثم مسح صدرى ودعاني بالثبات ثم انصرف ودخل رسول الله (ص) بيته. قال ابن اسحاق فوالله أعلم أى ذلك كان. قلت: وقد استقصيت كيفية اسلام عمر رضى الله عنه وما ورد في ذلك من الاحاديث والآثار مطولا في أول سيرته التي أفردتها على حدة والله الحمد والمنة.

قال ابن اسحاق وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر. قال: لما أسلم عمر قال: أى قريش انقل للحديث؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحي ففدا عليه، قال عبد الله وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلام أعقل كلما رأيت - حتى جاءه فقال له: اعلمت يا جميل انى أسلمت ودخلت في دين

محمد (ص) ؟ قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ باعلا صوته يا معشر قريش - وهم في انديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبا . قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني قد اسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وناروا اليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم . قال وطلح (١) فقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله ان لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم ؟ فقالوا صبا عمر ، قال فله ؟ رجل اختار لنفسه امراً فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل . قال فوالله لكأنما كانوا نوبا كشط عنه . قال فقلت لأبى بعد أن هاجر الى المدينة : يا ابة من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم اسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك أى بنى العاص بن وائل السهمي ، وهذا اسناد جيد قوى ، وهو يدل على تأخر اسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت احد فى سنة ثلاث من الهجرة وقد كان مميزاً يوم أسلم أبوه ، فيكون اسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين ، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم .

وقال البيهقي : حدثنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق . قال ثم قدم على رسول الله (ص) عشرون رجلاً وهو بمكة - أو قريب من ذلك - من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه في المجلس ، فكلّموه وسألوه ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله (ص) عما أرادوا ، دعاهم رسول الله (ص) الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال : خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تراءدون لهم فتأتونهم بخير الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبا أحق منكم - أو كما قال - قالوا لهم : لا نجاهلكم سلام عليكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيراً . فيقال إن النفر من نصارى نجران ، والله أعلم أى ذلك كان . ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات : (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) .

(١) وطلح : أى أعجب كذا في النهاية في تفسيره هذا الخبر .

قال البيهقي في الدلائل : باب ما جاء في كتاب النبي (ص) إلى النجاشي ، ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق . قال : هذا كتاب من رسول الله (ص) إلى النجاشي ^(١) الأصم عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فاسلم تسلم [يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون] فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك .

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة وفي ذكره ههنا نظر ، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه ، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشي . قال الزهري : كانت كتب النبي (ص) إليهم واحدة ، يعني نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران ، وهي مدنية بلا خلاف فإنه من صدر السورة ، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير والله الحمد والمنة . فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول ، وقوله فيه إلى النجاشي الأصم لعل الأصم مقحم من الراوى بحسب ما فهم والله أعلم .

وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقي أيضاً عن الحاكم عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه - بمر - حدثنا حماد بن أحمد حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق . قال : بعث رسول الله (ص) عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصم ملك الحبشة ، سلام عليك ، فإني أحمد اليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكنهه القماها إلى مزيم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالة على طاعته وأن تتبغى فتؤمن بي وبالنبي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جازوك فاقرم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي ،

(١) في المصرية : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى الخ وقوله الأصم كذا في الأصلين وتقدم في ص ٧٧ أنه أصحمة .

والسلام على من اتبع الهدى . فكتب النجاشي إلى رسول الله (ص) : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصم بن أبجر سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فو رب السماء والارض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقرينا ابن عمك وأصحابه فاشهد أنك رسول الله صادقاً ومصداقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله بارحماء من الأصم بن أبجر فاني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فملت يا رسول الله ، فاني أشهد أن ما تقول حق .

قصص

في ذكر مخالفة قبائل قريش بنى هاشم و بنى عبد المطلب في نصر رسول الله (ص) ، وتحالفهم فيما بينهم عليهم ، على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله (ص) ، وحصرهم إياهم في شعب أبي طالب مدة طويلة ، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة ، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصديق .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، وجعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله (ص) ، علانية . فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله (ص) ، شعبهم ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله . فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فنهض منهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً . فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله (ص) ، وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فاجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله (ص) ، للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً وموائيق لا يقبلوا من بنى هاشم صلحاً أبداً ولا يأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل . فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركو لهم طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه بريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (ص) ، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله (ص) ، فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكرّاً واغتيالاً له ، فإذا نام الناس أمرا أحد بنيه أو أخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله (ص) ، وأمر رسول الله (ص) ، أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه ، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا

بالحق ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الفدر والبراءة منه ، وبعث الله على صحتهم الارضة فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق . ويقال كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك اسم الله فيها إلا لحسته ، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم ، وأطلع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحتهم فذكر ذلك رسول الله (س) لابي طالب . فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبنى فانطلق يمشى بمصائبته من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوه عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فاتوم ليعطوهم رسول الله (س) . فتكلم أبو طالب فقال قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فاتوا بصحفتكم التي تعاهدتم عليها فعله أن يكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فاتوا بصحبتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله (س) مدفوعا اليهم فوضعوها بينهم . وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فأتوا قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم . فقالوا أبو طالب : إنما أتيتكم لا عطيتكم أمراً لكم فيه نصف ، إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - إن الله برئ من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحا كل اسم هوله فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم . فان كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فافيقوا فوالله لا نسله أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا ، وإن كان الذي قال باطلا دفعناه اليكم فقتلتهم أو استحييتهم . قالوا : فـ رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدق (س) . قد أخبر خبرها ، فلما رأوها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا والله إن كان هذا قط الاسحر من صاحبكم فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدة على رسول الله (س) . والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه . فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فانا نعلم إن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحبتكم وهي في أيديكم طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بنى تركه أفنحن السحرة أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النفر من بنى عبد مناف وبنى قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم منهم أبو البختری والمطعم بن عدى وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الاسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو من بنى عامر بن لؤى - في رجال من اشرافهم ووجوههم : نحن برءاء مما في هذه الصحيفة . فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمر قضى بليل وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحتهم ويمدح النفر الذين تبرؤا منها وتنصوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي .

قال البيهقي : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ - يعني من طريق ابن لهيعة عن أبي

الاسود عن عروة بن الزبير - يعني كسباق موسى بن عقبة رحمه الله - وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله (ص) لهم في ذلك فالله أعلم .

قلت : والاشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التي قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضا فذكرها هنا أنسب والله أعلم . ثم روى البيهقي من طريق يونس عن محمد بن اسحاق . قال : لما مضى رسول الله (ص) على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه ، وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لما قارفه من قومه . فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمد ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن لا يناكحوا ولا ينكحوا اليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة ، ثم عدوا على من أسلم فآذوهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديداً ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبياتهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة ، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرض فلم تدع فيها اسماً هو الله إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان فآخبر الله تعالى بذلك رسول الله (ص) ، فآخبر بذلك عمه أبو طالب ، ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم .

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن اسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله (ص) قد نزلوا بلداً أصابوا منه امناً وقراراً ، وأن النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله (ص) ، وأصحابه ، وجعل الاسلام يفسو في القبائل فاجتمعوا وأثتمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور ابن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . قال ابن هشام : ويقال للنضر ابن الحارث ، فدعا عليه رسول الله (ص) ففشل بعض أصابعه . وقال الواقدي : كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدوي .

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن اسحاق ، وهو الذي شلت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها : أنظروا إلى منصور بن عكرمة . قال الواقدي : وكانت الصحيفة

معلقة في جوف الكعبة . قال ابن اسحاق : فلما فعلت ذلك قريش انمازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهروهم . وحدثني حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة ابن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا . فقال : يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقتها وظاهر عليها ؟ قالت : نعم ! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنه كان يقول - في بعض ما يقول - يعدني محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فإذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يديه فيقول تبالكما لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فانزل الله تعالى (تبث يدا أبي لهب وتب) . قال ابن اسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب :

ألا أبلغنا عني على ذات بيننا	لؤيًّا وحُصًّا من لؤيِّ بني كعب
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً	نبياً كومي خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة	ولا خير ممن خصه الله بالحب ^(١)
وأن الذي الصقتموا من كتابكم	لكم كائن نحساً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى	ويصبح من لم يحن ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا	أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما	أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحماً	لعرءاء من عضر الزمان ولا كرب
ولما تبين منا ومنكم سوائف	وأيدئ أنرت بالقاسية الشهب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا	به والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كان ضحال الخيل في حجراته	ومعممة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره	وأوصى بنيه بالطمان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى نملنا	ولا نشكي ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفاظ والنهي	إذا طار أرواح الكماة من الرعب

قال ابن اسحاق : فقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سرّاً مسخفياً به من أراد صلتهم من قريش ، وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكر - لقي حكيم بن (١) قال السهيلي قوله : ولا خير البيت . هو مشكل جداً . وأشبه ما يقال في البيت أن خير مخفف من خير كهين وميت . وقوله ممن من متعلقة بمحذوف كأنه قال لا خير أخير من خصه الله الخ .

حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله (ص) في الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد. فقال: مالك وله. فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم فقال له أبو البختري طعام كان لعمته عنده بعثت به إليه أتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خل سبيل الرجل قال فابي أبو جهل لعنه الله حتى نال أحدهما من صاحبه فاخذ أبو البختري لحي بعير فضر به فشجه ووطئه ووطئا شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله (ص) وأصحابه فيشتتون بهم ورسول الله (ص) على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاً منادياً بأمر الله تعالى لا يتقى فيه أحداً من الناس. فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمة وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يهزونه ويستنزونه ويخاصونه وجعل القرآن ينزل في قريش باحدثهم وفيمن نصب لعداوته، منهم من سمى لنا ومنهم من نزل القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار. فذكر ابن اسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه، وأميه بن خلف ونزول قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) السورة بكاملها فيه. والعاص بن وائل ونزول قوله (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولداً) فيه. وقد تقدم شيء من ذلك. وأبا جهل بن هشام وقوله للنبي (ص) لتترك سب آل هنتا أو لنسب آل هنتك ونزول قول الله فيه (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) الآية. والنضر بن الحارث بن كعدة بن علقمة - ومنهم من يقول علقمة بن كعدة قاله السهيلي - وجلسه بعد النبي (ص) في مجالسه حيث يتلو القرآن ويدعو إلى الله، فيتلو عليهم النضر شيئاً من أخبار رستم واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب في زمن الفرس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبها كما اكتبها، فانزل الله تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهي تمل عليه بكرة وأصيلاً) وقوله (ويل لكل أفاك أثيم).

قال ابن اسحاق: وجلس رسول الله (ص) - فيما بلغنا - يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله (ص) فعرض له النضر، فكلمه رسول الله (ص) حتى أخفمه، ثم تلا عليه وعليهم [إنكم وما تعبون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون]. ثم قام رسول الله (ص) وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس. فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نميد من آل هنتا هذه حصب جهنم. فقال عبد الله بن الزبير: أما

والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمداً أكل من لعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود نعبد عزيراً والنصارى تعبد عيسى . فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبيري ورأوا أنه قد احتج وخاصم ^(١) فذكر ذلك لرسول الله (ص) . فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده في النار ، انهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته » فانزل الله تعالى : [إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون] أي عيسى وعزير ومن عبد من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى . ونزل فيما يذكر أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن وللاً سبحانه بل عباد مكرمون) والآيات بعدها . ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبيري [ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون] وهذا الجدل الذي سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن ما لما لا يعقل ، فقلوه : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الاحجار التي كانت صور أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عزيراً ، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى . فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) ثم قال (إن هو) أي عيسى (إلا عبد أنعمنا عليه) أي بنبوتنا (وجعلناه مثلاً لبنى اسرائيل) أي دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى كما قال في الآية الاخرى (ولنجعل له آية للناس) أي أمانة ودليلاً على قدرتنا الباهرة (ورحمة منا) نرحم بها من نشاء .

وذكر ابن اسحاق : الاخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه (ولا تطع كل حلاف مهين) الآيات ، وذكر الوليد بن المغيرة حيث . قال : أيتزل على محمد وأترك وأنا كبير قریش وسيدها ، وينترك أبو مسعود عمرو بن عمرو ^(٢) الثقي سيد ثقيف فنحن عظماء القريتين . ونزل قوله فيه (وقال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) والتي بعدها ، وذكر أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط : ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه وجهي من وجهك حرام إلا أن تتفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله ، فانزل الله [ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني في وجهه فعلت ذلك عدو الله عقبة لعنه الله]

(١) كذا في الاصلين وفي ابن هشام ، ولعل الصواب (وخصم) .

(٢) كذا في ح . وفي المصرية : عمرو بن عمرو . وفي ابن هشام : عمر بن عمير .

اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا [والتي بعدها . قال ومشي أبي بن خلف بعظم بال قد أرم . فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم فته بيده ثم نفخه في الریح نحو رسول الله (ص) . فقال : نعم ! أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار . وأنزل الله تعالى [وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحياها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم] إلى آخر السورة . قال واعترض رسول الله (ص) فيما بلغنى وهو يطوف عند باب الكعبة - الاسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأميمة بن خلف ، والماس بن وائل . فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت فى الأمر . فانزل الله فيهم (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) إلى آخرها . ولما سمع أبو جهل بشجرة الرقوم . قال : أتدرون ما الرقوم ؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال هلموا فلنترقم فانزل الله تعالى (إن شجرة الرقوم طعمم الاثيم) قال : ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله (ص) ورسول الله (ص) يكامه وقد طمع فى اسلامه فرب به ابن أم مكتوم - عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة - الاعمى فكلم رسول الله (ص) وجعل يستقر به القرآن ، فشق ذلك عليه حتى أضجره وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من اسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عباسا ، وتركه فانزل الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) إلى قوله (مرفوعة مطهرة) وقد قيل إن الذى كان يحدث رسول الله (ص) حين جاءه ابن أم مكتوم أميمة بن خلف فأنزل الله أعلم .

ثم ذكر ابن اسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم اسلام أهل مكة وكان القتل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت فى الصحيح وغيره أن رسول الله (ص) جلس يوما مع المشركين ، وأنزل الله عليه (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم) يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد . فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والانس ، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى [وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم] وذكروا قصة الغرائق وقد أحبيننا الاضراب عن ذكرها صفحا لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها ، إلا أن أصل القصة فى الصحيح . قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . قال : سجد النبي (ص) بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انفرد به البخارى دون مسلم . وقال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت الاسود عن عبد الله . قال : قرأ النبي (ص) والنجم بمكة ، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصا - أو تراب - فرفعه إلى جبهته وقال : يكفينى هذا ، فرأيت بعد قتل كافرا

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث شعبة . وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة عن أبيه . قال قرأ رسول الله (ص) بمكة سورة النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعت رأسى وأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب . فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه . وقد رواه النسائي عن عبد الملك بن عبد الحميد عن احمد بن حنبل به . وقد يجمع بين هذا والذي قبله بان هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذى استناده ابن مسعود لم يسجد بالكلية والله أعلم . والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله (ص) اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم : فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك فاقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل فذكر ابن اسحاق اسماء من رجع منهم : عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله (ص) ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وامراته سهيل بنت سهيل ، وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وعتبة بن غزوان ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وسويبط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبوسلمة بن عبد الاسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية ابن المغيرة ، وشماس بن عثمان ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة - وقد حبس بمكة حتى مضت بدرأ واحداً والخندق - وعمار بن ياسر - وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة أم لا . ومعتب ابن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأخيراً قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخنيس بن حذافة ، وهشام بن العاص بن وائل - وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق - وعامر بن ربيعة ، وامراته ليلى بنت أبي حثمة . وعبد الله بن مخزومة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو - وقد حبس حتى كان يوم بدر فأنجاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرأ - وأبوسبرة بن أبي رهم ، وامراته أم كلثوم بنت سهيل ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامراته سودة بنت زمعة - وقد مات بمكة قبل الهجرة وخلف على امراته رسول الله (ص) - وسعد بن خولة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمر بن الخطاب بن زهير وسهيل بن بيضاء ، وعمر بن أبي سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلاً رضى الله عنهم . وقال البخارى وقالت عائشة قال رسول الله (ص) : « أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة . فيه عن أبي موسى واسماء رضى الله عنهما عن النبي (ص) . وقد تقدم حديث أبي موسى وهو فى الصحيحين ، وسيأتى حديث اسماء بنت عيسى بعد فتح خيبر حين قدم من كل تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله وبه الثقة . وقال بخارى حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله . قال

كنا نسلم على النبي (س)، وهو يصلي فبرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا، قتلنا: يا رسول الله إنا كنا نسلم عليك فترد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي لم ترد علينا؟ قال إن في الصلاة شغلا» وقد روى البخاري أيضا ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق آخر عن سليمان بن مهران عن الأعمش به، وهو يقوى تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. على أن المراد جنس الصحابة فإن زيدا أنصاري مدني، وتحريم الكلام في الصلاة ثبت بمكة، فتعين الحمل على ما تقدم. وأما ذكره الآية وهي مدنية فمشكل ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك وإنما كان المحرم له غيرها معها والله أعلم.

قال ابن اسحاق: وكان ممن دخل معهم بجوار عمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد في جوار خاله أبي طالب فإن أمه برة بنت عبد المطلب. فاما عمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عن حدثه عن عمان. قال: لما رأى عمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله (س) من البلاء وهو يروح ويفندو في أمان من الوليد ابن المغيرة قال والله إن غدوي ورواحي في جوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلتقون من البلاء والاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كثير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وقت ذمتك وقد رددت إليك جوارك. قال لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي قال لا ولكنني أرضى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال فانطلق إلى المسجد فاردد على جوازي علانية كما أجرتك علانية. قال فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد بن المغيرة: هذا عمان قد جاء برد على جوازي. قال صدق قد وجدته وفيما كريم الجوار ولكنني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عمان رضى الله عنه ووليده بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلس من قریش ينشد لهم، فجلس معهم عمان فقال لبيد:

• ألا كل شيء ما خلا الله باطل •

فقال عمان: صدقت. فقال لبيد:

• وكل نعيم لا محالة زائل •

فقال عمان: كذبت نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قریش والله ما كان يؤذى جليسمك فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عمان حتى شرى أمرها فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فغضرها والوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ عمان. فقال: والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، ولقد

كنت في ذمة منيعة . قال يقول عثمان : بل والله ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله واني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي الى جوارك فعد . قال : لا ا .

قال ابن اسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الاسد فحدثني أبي اسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن أبي سلمة أنه حدثه أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى اليه رجل من بني مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال إنه استجار بي وهو ابن اختي وإن أنا لم أمنع ابن اختي لم أمنع ابن أخي . فقام أبو لهب . فقال : يا معشر قريش والله لقد أكرهتم على هذا الشيخ ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتفتنن أو لتقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . قالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة . وكان لهم ولياً وناصرأ على رسول الله (س) ، فابقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله (س) ، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله (س) :

إن امرأاً أبو^(١) عَتِيبَةَ عُمُهُ
أقول له، وَأَيْنَ منه نصيحتي
ولا تقبلن الدهرَ ما عشتَ خطَّةً
وولك سبيلَ العجزِ غيرك منهم
وحارب فان الحربَ نُصِفَ ولن ترى
وكيفَ ولم يجنوا عليك عظميَّةً
جزى الله عنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً
بتفريقهم من بعدِ ودمٍ وألفه
كذبتم وبيتَ الله نيزى^(٢) محمداً
قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

عزم الصديق على الهجرة الى الحبشة

قال ابن اسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدثني محمد بن مسلم الزهري عن

(١) كذا في الاصل وفي ابن هشام : (أبو عتيبة) . وبه يتزن البيت .

(٢) كذا في الاصل : وكنتيه (أبو عتبة) (٣) قال ابن هشام : نيزى ؛ نسلب .

عروة عن عائشة حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الازدي ورأى من تظاهر قريش على رسول الله (ص) وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله (ص) في الهجرة فاذن له ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً - أو يومين - لقيه ابن الدغنة أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الاحابيش . قال الواقدي : اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر من عبد مناة بن كنانة . وقال السهيلي : اسمه مالك . فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي . قال ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النواصب ، وتفعل المعروف وتكسب الممدوم . أرجع فانك في جوارى . فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال : يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد الا بخير . قال : فكفوا عنه . قالت : وكان لابي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكي قالت فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته ، قال فشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة . فقالوا : يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق وكانت له هيئة ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فاتهم فره بان يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء . قالت : فشى ابن الدغنة اليه فقال : يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومي . وقد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بينك فاصنع فيه ما أحببت . قال : أو أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله . قال فاردد علي جوارى . قال قد رددته عليك . قال فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد علي جوارى فشأنكم بصاحبكم . وقد روى الامام البخاري هذا الحديث متفرداً به وفيه زيادة حسنة . فقال حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن هشام فاخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي (ص) . قالت : لم أعقل ابواى قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله (ص) طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد ، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الارض فاعبد ربى . فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله ، إنك تكسب الممدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك . فرجع وأرتحل معه ابن الدغنة ، وطاف ابن الدغنة عشية في اشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أخرجون رجلاً يكسب الممدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مرابا بكر فليعبد ربه في داره . ويصل فيها وليقرأ

ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا . فقال ابن الدغنة ذلك لابي بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره . ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، فكان ^(١) نساء المشركين وأبناءؤهم يعجبون منه وينظرون اليه . وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا إلى ابن الدغنة يقدم عليهم . فقالوا : إنا كنا أجربنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فاعلن في الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فانه فان أحب على ان يقتصر ان يعبد ربه في داره فعل ، وأن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله ان يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال قد علمت الذى قد عاقدت عليه قريش ^(٢) فاما ان تقتصر على ذلك وأما ان ترد إلى ذمتى فأتى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت في رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فأتى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل . ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتى مبسوطا .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال : لقيه - يعنى أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة - سفيه من سفهاء قريش وهو عائد إلى الكعبة فحشا على رأسه ترابا ، فمر بابي بكر الوليد بن المغيرة - أو العاص بن وائل - فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول أى رب ما أحلك . أى رب ما أحلك ، أى رب ما أحلك .

فَقَضَى النَّكاحَ

كل هذه القصص ذكرها ابن اسحاق معترضا بها بين تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم بإمام في الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهي أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعي رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على ابن اسحاق .

نقض الصحيفة

قال ابن اسحاق : هذا وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزله الذى تعاقدت فيه قريش عليهم

(١) في النسخة المصرية : فيتقذف نساء المشركين الخ .

(٢) في المصرية : قد عاقدتك عليه .

في الصحيفة التي كتبوها ، ثم إنه قام في نقض الصحيفة نفر من قريش ، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخي فضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه ، وكان هشام لبني هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني - يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً قد أوقره طعاماً ، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك ، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب . فقال : يا زهير أقدر رضى أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؟ أما إنني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعائك اليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها . قال قد وجدت رجلاً ، قال من هو ؟ قال أنا قال له زهير أبغنا ثالثاً ، فذهب إلى المطعم بن عدى فقال له يا مطعم أقدر رضى أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموم من هذه لتجدنهم اليها منكم سرعاً ، قال ويحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد ، قال قد وجدت لك ثانياً . قال من ؟ قال أنا ، قال أبغنا ثالثاً قال قد فعلت . قال من هو ؟ قال زهير بن أبي أمية . قال أبغنا رابعاً ، فذهب إلى أبي البختری بن هشام فقال نحوما قال للمطم بن عدى ، فقال وهل تجد أحداً يعين على هذا ؟ قال نعم قال من هو ؟ قال زهير بن أبي أمية والمطم بن عدى وأنا معك . قال أبغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال نعم ثم سمى القوم . فاعمدوا حطم الحجون ليلاً بأعلام مكة فاجتمعوا هنالك وأجمعوا أمرهم وعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها . وقال زهير . أنا أبدوكم ما كون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعاً ثم أقبل على الناس . فقال : يا أهل مكة أنا كل الطعام وتلبس الثياب وبنو هاشم هلكت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطمة الظالمة . قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد - والله لا تشق . قال : زمعة بن الأسود أنت والله أكنب ، ما رضينا كتابها حين كتبت . قال أبو البختری : صدق زمعة لا ترضى ما كتب فيها ولا تقر به . قال المطعم بن عدى : صدقنا وكنب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها . قال هشام بن عمرو ونحواً من ذلك . قال أبو جهل : هذا أمر قد قضى بليل تشور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد

وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرض قد أكلتها إلا باسمك اللهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يرعون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله (س) قال لأبي طالب : « يا عم إن الله قد سلط الأرض على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان » . فقال أربك أخبرك بهذا ؟ قال « نعم » ! قال فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش إن ابن أخى قد أخبرني بكذا وكذا فهل صحيفتكم فإن كانت كما قال فانهبوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخى . فقال القوم : قد رضينا فتعاقبوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله (س) فزادهم ذلك شراً فمعد ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن اسحاق : فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة بمدحهم :

ألا هل أتى بحرینا ^(١) صنّع ربنا	على نأبهم والله بالناس أروء
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت	وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر جمع	ولم يلف سحراً آخر الدهر يصعد
قداعى لها من ليس فيها بقرقر	فطاروها في رأسها يتردد
وكانت كفاه وقعة بائسة	ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظعن أهل المسكنين فيهربوا	فرائضهم من خشية الشرر رعبو
ويترك حراث يقلب أمره	أيهم فيها عند ذاك ويُسجد
[وتصعد بين الأخشين كتيبة	لها حدج سهم وقوس ومرهد]
فمن ينش من ضار مكة عزة	فمزتنا في بطن مكة أتله
نشأنا بها والناس فيها قلائل	فلم تنفكك نرداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم	إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد
جزى الله رهطاً بالحجون تجمعوا	على ملأه يهدي لحزم وبرشد
قموداً لذي حطم الحجون كأنهم	مقاولة بل هم أعز وأجد
أعلن عليها كل صقر كأنه	إذا ما مشى في رفرق الدرع أحرده

(١) قال السهيلي : بحرینا يعنى الذين بارض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . وشرح

الالفاظ الغريبة لهذه القصيدة وقد قابلناها على شرح غريب السيرة للخشني .

جريّ على جبل الخطوب كأنه
من الأكرمين من لؤي بن غالب
طويل النجاد خارج نصف ساقه
عظيم الرماد سيد وابن سيد
ويبني لأبناء العشيرة صالحاً
الظّ بهذا الصلح كل مبرأ
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا
هم رجعوا سهل بن يضاء راضياً
متى شرك الأقوام في حل أمرنا
وكنّا قديماً لا نُقرّ ظلاماً
فيا قصي هل لكم في نفوسكم
فاني وإياكم كما قال قائل

شهاب بكفي قابس يتوقد
إذا سيم خسفاً وجهه يتردد
على وجهه يسقي الغمام ويسعد
يخصّ على مقرى الضيوف ويحشد
إذا نحن طُفنا في البلاد ويمد
عظيم اللوام أمره ثم يحمد
على مهل وسائر الناس رقد
وسرّ أبو بكر بها ومحمد
وكنّا قديماً قبلها تتودد
وندرك ماشئنا ولا نتشدد
وهل لكم فيما يجي به غد
لديك البيان لو تكلمت أسود

[(١) قال السهيلي : أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول لديك البيان لو تكلمت أسود ، أي يا أسود لو تكلمت لابت لنا عن قتله] .

ثم ذكر ابن اسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدى وهشام بن عمرو لقيامهما في نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الفاشمة . وقد ذكر الاموى هنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن اسحاق . وقال الواقدي : سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالوا : في السنة العاشرة - يعني من البعثة - قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفي هذه السنة بعد خروجهم توفي أبو طالب عم رسول الله (ص) ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

فصل في بيان

وقد ذكر محمد بن اسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصاً كثيرة تتضمن نصب عداوة قریش لرسول الله (ص) ، وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيبنا لهم فيما يرمونه من البنى والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقول ، والله

غالب على أمره . فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسي مرسله ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دوس ، وكان قد قدم مكة فاجتمع به اشراف قريش وحذروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه ، قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكله ، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً ^(١) فرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن اسمعه . قال فغدوت إلى المسجد فاذا رسول الله (ص) قائم يصلي عند الكعبة ، قال فقممت منه قريباً فابى الله إلا أن يسمعي بعض قوله ، قال فسمعت كلاماً حسناً ، قال فقلت في نفسي وائسكل أمي والله أتى رجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته . قال : فكشيت حتى انصرف رسول الله (ص) إلى بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا — الذي قالوا — قال فوالله ما برحوا بي يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعي قولك فسمعت قولاً حسناً ، فاعرض علي أمرك : قال فعرض علي رسول الله (ص) الاسلام وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه . قال فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي ، وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الاسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أَدْعُوهم اليه . قال فقال : « اللهم اجعل له آية » قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعي على الحاضر ، وقع بين عيني نور مثل المصباح . قال فقلت : اللهم في غير وجهي فاني اخشى أن يظنوا بها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم ، قال فتحول فوق في رأس سوطي قال فجعل الحاضرون يترآون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أتبهط عليهم من الثنية حتى جثتهم فاصبحت فيهم ، فلما نزلت أتاني أبي — وكان شيخاً كبيراً — فقلت : إليك عني — يا أبا فلست منك ولست مني ، قال ولم يا بني ؟ قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد (ص) ... قال : أي بني فدينك ديني . فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم آتني حتى أعلمك مما علمت . قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ، قال ثم آتني صاحبتي فقلت إليك عني فلست منك ولست مني . قالت : ولم ؟ بأبي أنت وأمي . قال قلت فرق بيني وبينك الاسلام ، وتابعت دين محمد (ص) ... قالت فديني دينك . قال : فقلت فاذهبي إلى حمي ذي الشرى فتطهري منه ، وكان ذو الشرى صنماً لدوس وكان الحمي حمي حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل . قالت : بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً ؟ قلت لا ، أنا ضامن لذلك . قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فاسلمت ، ثم دعوت دوساً إلى الاسلام فابطؤا علي ، ثم جئت رسول

الله (س) بمكة . قلت : يا رسول الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم . قال : « اللهم أهد دوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » . قال فلم أزل بارض دوس أدعوم إلى الاسلام حتى هاجر رسول الله (س) إلى المدينة ومضى بدر واحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله (س) بن أسلم معي من قومي ورسول الله (س) بخير حتى نزلت المدينة بسبعين - أو ثمانين بيتاً - من دوس فلحقنا رسول الله (س) بخير فاسهم لنا مع المسلمين . ثم لم أزل مع رسول الله (س) حتى فتح الله عليه مكة . قلت : يا رسول الله ابشئني إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه . قال ابن اسحاق : فخرج اليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أقسم من ميلادك

• إني خشوت النار في فؤادك •

قال ثم رجع رسول الله (س) فكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله (س) فلما أرتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى البجامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى البجامة فقال لأصحابه إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة فدخلتني في فرجها وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ثم رأيت حبس عني ؟ قالوا : خيرا قال : أما أنا والله فقد أولتها ، قالوا ماذا ؟ قال أما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج منه فروحي ، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالارض تحفر لي فاغيب فيها . وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابني . فقتل رحمه الله تعالى شهيداً بالبجامة وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله . هكذا ذكر محمد بن اسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا أسناد . وخبيره شاهد في الحديث الصحيح . قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة . قال : لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله (س) قال إن دوسا قد استعصت قال : « اللهم اهد دوسا واثت بهم » رواه البخاري عن أبي نعيم عن سفيان الثوري . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليها . قال أبو هريرة فرفع رسول الله (س) يديه قلت هلكت دوس . فقال : « اللهم اهد دوسا ، واثت بهم » اسناد جيد ولم يخرجوه . وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر . أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة ؟ قال حصن كان لدوس في الجاهلية - فإني ذلك

رسول الله (ص) للذي ذخر الله للانصار ، فلما هاجر النبي (ص) إلى المدينة هاجر اليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتوا المدينة فرض فجزع فاخذ مشاقص قطع بها براحه فشخت يدها فمارقاً الدم حتى مات . فرآه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئة حسنة ، ورآه مغطياً يديه . قال له : ما صنع ربك بك فقال غفر لي بهجرتي إلى نبيه (ص) . قال فما لي أراك مغطياً يديك ؟ قال قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت . قال فقصها الطفيل على رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) : « اللهم وليديه فاغفر » . رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم كلاهما عن سليمان ابن حرب به . فان قيل فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق الحسن عن جنبد قال قال رسول الله (ص) : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فاخذ سكيناً فحزبها يده فمارقاً الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل عبدي بادرني بنفسه فحزمت عليه الجنة » . فالجواب من وجوه ؛ أحدها أنه قد يكون ذاك مشركاً وهذا مؤمن ، ويكون قد جعل هذا الصنيع سبباً مستقلاً في دخوله النار وإن كان شركه مستقلاً إلا أنه نبه على هذا لتعبر أمته . الثاني قد يكون هذا عالماً بالتحريم وهذا غير عالم لحدائث عهده بالاسلام . الثالث قد يكون ذاك فعله مستحلاً له وهذا لم يكن مستحلاً بل مخطئاً . الرابع قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك . الخامس قد يكون هذا قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار ، وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يلج النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه (ص) . ولكن بقي الشين في يده فقط وحسنت هيئة سائر غطى الشين منه فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطياً يديه قال له مالك ؟ قال قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت فلما قصها الطفيل على رسول الله (ص) دعا له فقال : « اللهم وليديه فاغفر » أي فاصلح منها ما كان فاسداً . والمحقق أن الله استجاب لرسول الله (ص) فم صاحب الطفيل بن عمرو .

قصة أعشى بن قيس

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل عن أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله (ص) يريد الاسلام ، فقال يمدح النبي (ص) :

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدت وبت كما بات السليم مسهداً
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهتداً
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن إذا أصلحت كفاي عاد فافسداً

كهولاً وشباناً قدت ونزوة
 وما زلت أبني المال مذأنا يافع
 وأبتذل العيس المراقيل تعلي
 ألا أبعث السائلين أين يبعث
 فان تسألني عني فيارب سائل
 أجدت برجليها النجاد وراجعت
 وفيها إذا ما هجرت عجرفة
 وآليت لا آوي لها من كلاله
 متى ما تناخي عند باب ابن هاشم
 نبي برى مالا ترون وذكرة
 له صدقات ما تغب وثائل
 أجذك لم تسمع وصاة محمد
 إذا أنت لم ترحل بزاد من التقي
 ندمت على أن لا تكون كئله
 فإياك والميتات لا تقربها
 وذا النصب المنسوب لا تشككه
 ولا تقربن جارة^(١) كان سرها
 وذا الرجم القربى فلا تقطعه
 وسبح على حين العشة والضحي
 ولا تسخرن من بئس ذي ضرارة
 فله هذا الدهر كيف ترددا
 وليداً وكهلاً حين شئت وأمردا
 مسافة ما بين النجير فصرخدا
 فان لها في أهل يثرب موعدا
 حتى عن الأعشى به حيث أصعدا
 يداها خناً لينا غير أحردا
 إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا
 ولا من حتى حتى تلاقى محمدا
 تراحي وتلقي من فواضله ندى
 أغار لعمري في البلاد وأنجدا
 فليس عطاء اليوم مانعة غدا
 نبي الآله حيث أوصى وأشهدا
 ولايت بعد الموت من قد تزودا
 فترصد للأمر الذي كان أرصدا
 ولا تأخذن سهماً حديدا لتقصدا
 ولا تعبد الاونان والله فاعبدا
 عليك حراماً فانكحزن أو تأبدا
 لعاقبة ولا الأسير المقيدا
 ولا محمد الشيطان والله فاحمدا
 ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

قال ابن هشام : فلما كان بمكة - أو قريب منها - اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله
 عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله (ص) ليسلم . فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزنا . فقال :
 الاعشى والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب . فقال : يا أبا بصير إنه يحرم الخمر . فقال الاعشى :
 أما هذه فوالله إن فى نفسى منها العلالات ولكنى منصرف فاتروى منها عامى هذا ، ثم آتاه فاسلم
 فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد إلى النبي (ص) . هكذا أورد ابن هشام هذه القصة ههنا وهو
 كثير المؤاخذات لمحمد بن اسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤخذ به ابن هشام رحمه الله ، فان الخمر

(١) فى المصرية وابن هشام (حرة) وفى ح : مكان سرها (أمرها) .

إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير كما سيأتي بيانه فالظاهر أن عزم الاعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة وفي شعره ما يدل على ذلك وهو قوله :

ألا أيها ذا السائل أئين يمت فان لها في أهل يثرب موعدا

وكان الانسب والاليق بابن هشام أن يخر ذكرك هذه القصة الى ما بعد الهجرة ولا يوردها هاهنا والله أعلم . قال السهيلي : وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فان الناس مجمعون على ان الحرم ينزل تحريمها إلا في المدينة بعد أحد . وقد قال : وقيل إن القائل للاعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة بن ربيعة . وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله (ص) قال وقوله . ثم آتاه فاسلم - لا يخرج عن كفره بلا خلاف والله أعلم . ثم ذكر ابن اسحاق هاهنا قصة الاراشي وكيف استعدي إلى رسول الله (ص) من أبي جهل في نمن الجمل الذي ابتاعه منه ، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة وقد قدمنا ذلك في ابتداء الوحي وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصّة فصرعة ركانة

وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلت (ص) .

قال ابن اسحاق : وحدثني أبي اسحاق بن يسار قال وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريشا ، فخلا يوما برسول الله (ص) في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله (ص) : ياركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه قال إني لو أعلم أن الذي تقول حق لا تبعثك فقال له رسول الله : « أفرايت إن صرعتك أعلم أن ما أقول حق ؟ » . قال نعم ! قال : « فقم حتى أصارعك » . قال فقام ركانة اليه فصارعه فلما بطش به رسول الله (ص) أضجمه لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه . فقال يا محمد والله إن هذا للعجب ، أتصرعني ؟ قال : « وأعجب من ذلك أن شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري » . قال وما هو ؟ قال : « أدعوك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني » . قال : فادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله (ص) . فقال لها : ارجعي الى مكانك فرجعت الى مكانها قال فذهب ركانة الى قومه فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الارض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع . هكذا روى ابن اسحاق هذه القصة مرسله بهذا البيان . وقد روى أبو داود والترمذي من حديث أبي الحسن العسكري عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه . أن ركانة صارع النبي (ص) فصرعه النبي (ص) ، ثم قال الترمذي غريب ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبي (ص) فصصره النبي (ص) ثلاث مرات ، كل مرة على مائة من الغنم فلما كان في الثالثة قال يا محمد ما وضع ظهري الى الارض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض الى منك . وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنت رسول الله فقام عنه رسول الله (ص) ورد عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فاقبلت فسيأتي في كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة في مرات متعددة ان شاء الله وبه الثقة . وقد تقدم عن أبي الأشدّين أنه صارع النبي (ص) فصصره رسول الله (ص) . ثم ذكر ابن اسحاق قصة قدوم النصاري من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً الى مكة فاسلموا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشي والله الحمد والمثنة .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) اذا جلس في المسجد يجلس اليه المستضعفون من أصحابه خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة ، ويسار مولى صفوان بن أمية ، وصهيب ، واشباههم من المسلمين . هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء اليه وما خصهم الله به دوننا . فانزل الله عز وجل فيهم : [ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاركين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم] . قال وكان رسول الله (ص) كثيراً ما يجلس عند المروة الى مبيعة غلام^(١) نصراني يقال له جبر ، عبد لبني الحضرمي وكانوا يقولون والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به الاجبر ، فانزل الله تعالى في ذلك من قولهم [انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجبي وهذا لسان عربي مبين] . ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله (ص) إنه ابتر أي لا عقب له فاذا مات انقطع ذكره . فقال الله تعالى : (إن شئت لك هو الابتر) أي المقطوع الذكر بعده ، ولو خلف الوفا من النسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الاولاد والانسال والعقب ، وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسير والله الحمد . وقد روى عن أبي جعفر الباقر : أن العاص بن وائل انما قال ذلك حين مات القاسم بن النبي (ص) ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجبية . ثم ذكر نزول قوله : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا

(١) في الاصلين : بيعة وفي ابن هشام والسهيل : مبيعة (وزان مفعلة) وقوله : عبد لبني الحضرمي الذي في ابن هشام عبد لابن الحضرمي .

ملكاً لقضى الأمر) وذلك بسبب قول أبي بن خلف وزمة بن الاسود والعاص بن وائل والنضر ابن الحارث ؛ لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك .

قال ابن اسحاق : ومرو رسول الله (ص) فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل ابن هشام فهمزوه واستهزؤا به ؛ فغاضه ذلك فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم (ولقد استهزئ برسلى من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) .

قلت : وقال الله تعالى [ولقد استهزئ برسلى من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبال المرسلين] وقال تعالى (انا كفيناك المستهزئين) . قال سفيان عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : المستهزؤن الوليد بن المغيرة ، والاسود بن عبد يغوث الزهرى ، والاسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل^(١) ، والعاص بن وائل السهمى . فأتاه جبريل فشكاه اليه رسول الله (ص) فراه الوليد فآشار جبريل الى أنمله وقال كفنيته ، ثم أراه الاسود بن المطلب فلوأ الى عنقه وقال كفنيته ، ثم أراه الاسود بن عبد يغوث فلوأ الى رأسه وقال كفنيته ، ثم أراه الحارث بن عيطل فلوأ الى بطنه وقال كفنيته ، ومر به العاص بن وائل فلوأ الى أخمصه وقال كفنيته . فاما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يرش نبلا له فآصاب أنمله فقطعهما ؛ وأما الاسود بن عبد يغوث فخرج فى رأسه قروح فآت منها ، وأما الاسود ابن المطلب فعصى . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول : يا بنى ألا تدفون عنى قد قتلت فجعلوا يقولون ما نرى شيئا . وجعل يقول يا بنى ألا نمنعون عنى قد هلكت ، هاهو ذا الطعن بالشوك فى عيني . فجعلوا يقولون ما نرى شيئا . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الحارث بن عيطل فآخذ الماء الاصفر فى بطنه حتى خرج خروءه من فيه فآت منها . وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوما إذ دخل فى رأسه شبرقة حتى امتلأت منها فآت منها . وقال غيره فى هذا الحديث : فركب الى الطائف على حمير فرفض به على شبرقة - يعنى شوكة - فدخلت فى أخمص قدمه شوكة فقتلته . رواه البيهقى بنحو من هذا السياق .

وقال ابن اسحاق : وكان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم ؛ الاسود بن المطلب أبو زمعة دعا عليه رسول الله (ص) فقال : « اللهم أعم بصره وأنكبه ولده » . والاسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطلائطة . وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم [فاصدع بما تؤمر وأعرض (١) كذا فى الاصلين . وسيأتى انه ابن الطلائطة وابن الطلائل وهكذا فى ابن هشام والسيلى

وقد اختلف اصحاب السير فى ذلك ومنهم من حكى القولين معا

عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون [. وذكر أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت قدام رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فمر به الأسود ابن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعصى ، ومر به الأسود بن عبد يغوث فآشار إلى بطنه فاستقى بطنه فمات منه جناً . ومر به الوليد بن المغيرة فآشار إلى أنزجرح بأسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروزة رجل يرش نبلاً له من خزاعة فتعلق سهم بازارد فخذه خدشا يسيراً ، فانتقض بعد ذلك فمات . ومر به العاص بن وائل فآشار إلى اخمص رجله فخرج على حماره يريد الطائف فرمى به على شبرقة فدخلت في اخمص رجله شوكة فقتلته . ومر به الحارث بن الطلائل فآشار إلى رأسه فامتعض قيحا فقتله .

ثم ذكر ابن اسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أي بني أوصيكم بثلاث ، دعى في خزاعة فلا تطلوه ، والله إني لأعلم أنهم منه براء ولكني أخشى أن تسبوا به بعد اليوم . وربى في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقرى عند أبي أزيهر الدوسى فلا يفوتنكم به . وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان قد قبض عقرها منه . وهو صدأها . فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عقل الوليد ، وقالوا إنما قتله سهم صاحبكم ، فابت عليهم خزاعة ذلك حتى تناولوا أشعاراً وغلظ بينهم الأمر . ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل وإصطالحوا ونحاجزوا .

قال ابن اسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذى المجاز فقتله ، وكان شريفاً في قومه . وكانت ابنته تحت أبي سفيان . وذلك بعد بدر . فعمد يزيد بن أبي سفيان فجمع الناس لبنى مخزوم وكان أبوه غائباً ، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضر به وودى أبا أزيهر وقال لابنه : أعدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضاً في رجل من دوس ؟ وكتب حسان بن ثابت قصيدة له يحض أبا سفيان في دم أبي أزيهر ، فقال بئس ما ظن حسان أن يقتل بعضنا بعضاً وقد ذهب اشرافنا يوم بدر . ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ سأل في ربا أبيه من أهل الطائف ؟ .

قال ابن اسحاق : فذكر لى بعض أهل العلم إن هؤلاء الآيات نزلن في ذلك (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين) وما بعدها .

قال ابن اسحاق : ولم يكن في بني أزيهر ثار نعله حتى حجز الاسلام بين الناس ، إلا أن ضرار ابن الخطاب بن مرداس الاسلمى خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس فقتلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس ، فارادت دوس قتلهم بأبي

أزهر قامت دونه أم غيلان ونسوة كن معها حتى منعهم . قال السهيلي : يقال إنها أدخلته بين درعها وبدنها .

قال ابن هشام : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أخته أم غيلان وهي ترى أن ضراراً أخوه ، فقال لها عمر : لست بإخيه إلا في الاسلام ، وقد عرفت منك عليه فاعطاها على أنها بذت سبيل . قال ابن هشام : وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول : انج يا ابن الخطاب لا أقتلك فكان عمر يعرفها له بعد الاسلام رضى الله عنهما .

فَضْلُ النَّبِيِّ

وذكر البيهقي هاهنا دعاء النبي (ص) على قریش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف وأورد ما أخرجه في الصحيحين من طريق الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن مسعود . قال : خمس مضين ، الزام^(١) والروم ، والدخان ، والبطشة ، والقمر . وفي رواية عن ابن مسعود . قال : إن قریشاً ، لما استعصت على رسول الله (ص) وأبطئوا عن الاسلام . قال : « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف » قال فاصابهم سنة حتى فحمت كل شيء ، حتى أكلوا الجيف والميتة وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع . ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية (إنا كشفوا المذاب قليلاً إنكم عائدون) قال فمادوا فكفروا فاخروا إلى يوم القيامة — أو قال فاخروا إلى يوم بدر — قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) قال : يوم بدر . وفي رواية عنه . قال : لما رأى رسول الله (ص) من الناس ادباراً . قال : « اللهم سبع كسبع يوسف » فاخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والمظام . فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وأن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم . فدعا رسول الله (ص) فسقوا الفئث ، فاطبقت عليهم سبعاً فشكا الناس كثرة المطر . فقال : « اللهم حولينا ولا علينا » فأنجذب السحاب عن رأسه فسقى الناس حولهم ، قال لقد مضت آية الدخان — وهو الجوع الذي أصابهم — وذلك قوله (إنا كشفوا المذاب قليلاً إنكم عائدون) وآية الروم ، والبطشة الكبرى . وانشق القمر ، وذلك كله يوم بدر . قال البيهقي : يريد — والله أعلم — البطشة الكبرى والدخان وآية الزام كلها حصلت ببدر . قال وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . قال جاء : أبو سفيان إلى رسول الله (ص) يستغيث من الجوع لأنهم لم

(١) الزام : هو يوم بدر ذكر ذلك في النهاية .

يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن ، فانزل الله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) قال فمدنا رسول الله (ص) حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقي : وقد روى في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين والله أعلم .

فصل في أخبار بني النضير

ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) . ثم روى من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل اوثان ، فذكر ذلك المسلمون لابي بكر فذكره أبو بكر للنبي (ص) . فقال : « أما أنهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : إجعل بيننا وبينك أجلاً إن ظهر وا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فذكر ذلك أبو بكر للنبي (ص) . فقال : « ألا جعلته أداة » . قال دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك . وقد أوردنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المباحث - أي المراهن - لابي بكر أمية ابن خلف وأن الرهن كان على خمس قلايص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله (ص) وفي الرهن . وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر - أو كان يوم الحديبية - فالله أعلم . ثم روى من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابي أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه . قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق ، كل ذلك في خمس عشرة سنة .

فصل في أخبار بني النضير

الاسراء برسول الله (ص) من مكة الى بيت المقدس

ذكر ابن عساكر أحاديث الاسراء في أوائل البعثة ، وأما ابن اسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين ، وروى البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : أسرى برسول الله (ص) قبل خروجه إلى المدينة بسنة . قال : وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة . ثم روى الحاكم عن الاصبغ عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أسباط بن نصر عن اسماعيل السدي . أنه قال : فرض على رسول الله (ص) الخمس ببیت المقدس

ليلة أسرى به قبل مهاجرة ستة عشر شهراً ، فعلى قول السدي يكون الاسراء في شهر ذى القعدة ، وعلى قول الزهري وعروة يكون في ربيع الاول . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عثمان عن سعيد ابن مينا عن جابر وابن عباس . قالوا : ولد رسول الله (ص) عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول . وفيه بعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات . فيه انقطاع . وقد اختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسي في سيرته وقد أورد حديثاً لا يصح سنده ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الاسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم . ومن الناس من يزعم أن الاسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهي ليلة الرغائب التي أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم . وينشد بعضهم في ذلك :

ليلة الجمعة عَرَّجَ بالنبي ليلة الجمعة أول رجب

وهذا الشعر عليه ركازة وإنما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به . وقد ذكرنا الاحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) فلتكتب من هناك على ما هي عليه من الاسانيد والعزو ، والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية والله الحمد والمنة .

ولندكر ملخص كلام ابن اسحاق رحمه الله فانه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول : ثم أسرى برسول الله (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس من ايلياء - وقد فشا الاسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها . قال وكان من الحديث فيما بلغني عن مسراه (ص) عن ابن مسعود وأبي سعيد وعائشة ومعاوية وأم هانئ بنت أبي طالب رضى الله عنهم والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقناة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بمض ما ذكر لي من أمره وكان في مسراه (ص) وما ذكر لي منه بلاء . وتمحيص وأمر من أمر الله وقدرته وسلطانه فيه عبرة لأولى الالباب ، وهدي ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد . وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني يقول : أتى رسول الله (ص) بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الانبياء قبله ، تضع حافرها في موضع تنتهي طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والارض حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية من لبن وخر ، وماء . فذكر أنه شرب اياه اللبن ، فقال لي جبريل هديت وهديت أمتك . وذكر ابن اسحاق في سياق الحسن البصري مرسل أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فاركبه

البراق وهو دابة أبيض بين البغل والحمار وفي تخذيده جناحان يحفز بهما رجله يضع حافره في منتهى طرفه : ثم حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

قلت : وفي الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن اسحاق أن رسول الله (س) لما أراد ركوب البراق فمس به فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنع ، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه . قال فاستحي حتى أرفض عرقاً ثم قرحتي ركبتك . قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله (س) ومضى معه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء فأمرهم رسول الله (س) فصلى بهم ، ثم ذكر اختياره إناؤه اللين على إناؤه الخمر وقول جبريل له هديت وهديت أمتك ، وحرمت عليكم الخمر . قال ثم انصرف رسول الله (س) إلى مكة فأصبح يخبر قريشا بذلك فذكر أنه كذبه أكثر الناس وارتدت طائفة بعد إسلامها ، وبادر الصديق إلى التصديق وقال إني لا صدقه في خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدقه في بيت المقدس وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول الله (س) : قال فيومئذ معي أبو بكر الصديق . قال الحسن وأنزل الله في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) الآية . وذكر ابن اسحاق فيما بلغه عن أم هانئ : أنها قالت : ما أسرى برسول الله (س) إلا من يبقى نام عندي تلك الليلة بعد ما صلى العشاء الآخرة فلما كان قبيل الفجر أهبنا فلما كان الصبح وصلينا معه . قال : « يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة في هذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فقلت يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك . قال : « والله لأحدنهموه » فأخبرهم فكذبوه . فقال وآية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفرهم حس الدابة فندلهم بعير فدلتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بصحنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولم يأناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان . وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جل أورق عليه غرارقان أحدهما سوداء والآخرى براء . قال فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الذي وصف لهم ، وسألهم عن الاناء وعن البعير فأخبرهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه . وذكر يونس بن بكير عن اسباط عن اسماعيل السدي أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يقدم ذلك العير ، فدعا الله عز وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم . قال فلم تحتبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون . رواه البيهقي .

قال ابن اسحاق : وأخبرني من لا أنهم عن أبي سعيد قال سمعت رسول الله (س) يقول : « لما

فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه وهو الذي يد إليه منكم عينيه إذا حضر ، فاصعدني فيه صاحبي حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه يريد من الملائكة يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك ، قال يقول رسول الله (ص) ، إذا حدث بهذا الحديث (وما يعلم جنود ربك الا هو) . ثم ذكر بقية الحديث وهو مطول جداً وقد سقناه بإسناده ولفظه بكامله في التفسير وتكاملنا عليه فانه من غرائب الاحاديث وفي اسناده ضعف ، وكذا في سياق حديث أم هانئ فان الثابت في الصحيحين من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس أن الاسراء كان من المسجد من عند الحجر وفي سياقه غرابة أيضاً من وجود قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله : وذلك قبل أن يوحى اليه ، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى اليه فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل في ذلك ، وذلك قبل أن يوحى اليه بل جاءه بعد ما أوحى اليه فكان الاسراء قطعاً بعد الايماء إما بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون وهو الاظهر ، وغسل صدره تلك الليلة قبل الاسراء غسلانانيا - أو ثلثا - على قول أنه مطلوب إلى الملائكة الاعلى والحضرة الالهية ثم ركب البراق رفعة له وتمغياً وتكريماً فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الانبياء ثم دخل بيت المقدس فصلى في قبلته تحية المسجد . وأنكر حذيفة رضي الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه وهذا غريب ، والنص المثبت مقدم على النافي . ثم اختلفوا في اجتماعه بالانبياء وصلاته بهم أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سند كره على قولين فانه أعلم . وقيل إن صلته بالانبياء كانت في السماء ، وهكذا تخبره من الآنية اللبث والحجر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح والمقصود أنه (ص) لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة . فصعد من السماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة وكلما جاء سماء تلقته منها مرقبواها ومن فيها من أكابر الملائكة والانبياء وذكر أعيان من رآه من المسلمين كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية^(١) وإدريس في الرابعة ، وموسى في السادسة - على الصحيح - وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يتعبدون فيه صلاة وطوافاً ثم لا

(١) كذا في الاصلين ولم يذكر الثالثة ولا الخامسة . وفي ابن هشام : أنه رأى في الثالثة يوسف الصديق وفي الخامسة هارون .

يعودون اليه إلى يوم القيامة ، ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام ،
ورفعت لرسول الله (ص) سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها كقلال حجر ، وغشها عند
ذلك أمور عظيمة ألوان متعددة باهرة وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة وفراش من
ذهب وغشها من نور الرب جل جلاله ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل
جناحين كما بين السماء والأرض وهو الذي يقول الله تعالى [ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى] أى ما زاغ يمينا ولا شمالا ولا
ارتفع عن المكان الذى حد له النظر اليه . وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكريم وهذه الرؤيا
الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة
وأبو ذر وعائشة رضى الله عنهم أجمعين . والاولى هى قوله تعالى [علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى
وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى] وكان ذلك
بالابطح ، تدلى جبريل على رسول الله (ص) ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض حتى كان بينه
وبينه قاب قوسين أو أدنى ، هذا هو الصحيح فى التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم
ذكرهم رضى الله عنهم . فاما قول شريك عن أنس فى حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة
فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقد يكون من فهم الراوى فاقحمه فى الحديث والله أعلم . وإن كان
محفوظا فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شئ آخر غير ما دلت عليه الآية الكريمة والله أعلم .
وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد (ص) وعلى أمته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاة فى كل يوم
وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب جل جلاله وله الحمد والمنة
إلى خمس . وقال هى خمس وهى خمسون الحسنة بعشر أمثالها ، فحصل له التكليم من الرب عز وجل
ليلتئذ ، وأئمة السنة كالمطبقين على هذا ، واختلفوا فى الرؤية فقال بعضهم رآه بفؤاده مرتين ، قاله
ابن عباس وطائفة ، وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد ، ومن أطلق الرؤية أبو
هريرة واحمد بن حنبل رضى الله عنهما ، وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين واختاره ابن جرير وبالمن
فيه وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين . ومن نص على الرؤية بعينى رأسه الشيخ أبو الحسن
الاشعري فيما نقله السهيلي عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووى فى فتاويه . وقالت طائفة لم يقع
ذلك لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم . قلت : يارسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نورانى أراد »
وفى رواية « رأيت نورا » . قالوا ولم يكن رؤية الباقى بالعين الفانية ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما
روى فى بعض الكتب الإلهية يا موسى إنه لا يرانى حى إلا مات ، ولا يابى إلا تدهده والخلاف
فى هذه المسئلة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم : ثم هبط رسول الله (ص) إلى بيت المقدس

والظاهر أن الانبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة كما هي عادة الوافدين لا يجتمعون باحد قبل الذي طلبوا اليه ، ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل - عند ما يتقدم ذاك للسلام عليه - هذا فلان فسلم عليه ، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرف بهم مرة ثانية . ومما يدل على ذلك أنه قال فلما حانت الصلاة : أمتهم . ولم يمن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إماماً بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل ، فاستفاد بعضهم من هذا أن الامام الأعظم يقدم في الامامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلهم ودار اقامتهم ، ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فاصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار . وقد عاين في تلك الليلة من الآيات والامور التي لوارآها - أو بعضها - غيره لاصبح مندهشا أو طائش العقل ، ولكنه (س) ، أصبح واجماً - أي ساكناً - يخشى إن بدأ فآخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه ، فتلفظ بأخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة وذلك أن أبا جهل لعنه الله - رأى رسول الله (س) ، في المسجد الحرام وهو جالس واجم . فقال له : هل من خبر ؟ فقال نعم ! فقال : وما هو ؟ فقال اني أسرى في الليلة إلى بيت المقدس . قال إلى بيت المقدس ؟ قال نعم ! قال أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم بما أخبرهم بما أخبرني به ؟ قال نعم ! فآراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وآراد رسول الله (س) ، جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم . فقال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديةهم فقال أخبر قومك بما أخبرني به ، قص عليهم رسول الله (س) ، خبر ما رأى وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه ، فمن بين مصفق وبين مصفر تكذيباً له واستبعاداً لخبره وطار الخبر بمكة وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فآخبروه أن محمداً (س) ، يقول كذا وكذا . فقال : انكم تكذبون عليه فقالوا والله إنه ليقوله . فقال : ان كان قاله فلقد صدق . ثم جاء إلى رسول الله (س) ، وحوله مشركي قريش فسأله عن ذلك فآخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به . وفي الصحيح : أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله (س) ، عن ذلك . قال : فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس على بعض الشيء ، فحلى الله لي بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعمته لهم . فقال : أما الصفة فقد أصاب .

وذكر ابن اسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه ما منهم ، فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة ، فأمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه . كما قال الله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) أي اختباراً لهم وامتحاناً . قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله (س) ، وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الاسراء كان ببذنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه

وصعوده في المعراج وغير ذلك . ولهذا قال فقال : [سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه] والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد والعبء عبارة عنهما وأيضاً فلو كان مناماً لما بادر كفار قريش إلى التأكيد به والاستبعاد له إذ ليس في ذلك كبير أمر ، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسرى به يقظة لا مناماً . وقوله في حديث شريك عن أنس : ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر معدود في غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهب رسول الله (ص) الطائف فكذبوه ، قال فرجعت مهموما فلم استفق إلا بقرن الثعالب ، وفي حديث أبي أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله (ص) ليحنكه فوضعه على نخذ رسول الله (ص) واشتغل رسول الله (ص) بالحديث مع الناس فرجع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله (ص) فلم يجد الصبي فسأل عنه فقالوا رفع فسماه المنذر . وهذا الحل أحسن من التغليب والله أعلم . وقد حكى ابن اسحاق فقال حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله (ص) . ولكن الله أسرى بروحه . قال وحدثني يعقوب بن عتبة : أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله (ص) قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابن اسحاق : فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) وكما قال إبراهيم عليه السلام (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) وفي الحديث : « تنام عيني وقلبي يقظان » .

قال ابن اسحاق : فالله أعلم أي ذلك كان . قد جاءه وعاب فيه ما عاب من أمر الله تعالى على أي حاله كان نائماً أو يقظاناً كل ذلك حق وصديق .

قلت : وقد توقف ابن اسحاق في ذلك وجوز كلياً من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذي لا يشك فيه ولا يمارى أنه كان يقظاناً لا محالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده (ص) ما فقد وإنما كان الاسراء بروحه أن يكون مناماً كما فهمه ابن اسحاق ، بل قد يكون وقع الاسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاب ما عاب حقيقة ويقظة لا مناماً . لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ومراد من تابعها على ذلك . لا ما فهمه ابن اسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم .

تنبيه : ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الاسراء طبق ما وقع بعد ذلك ، فانه (ص) كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناماً قبله ليكون ذلك من باب الارهاص والتوطئة والتثبيت والايناس والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء في أن الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أو كل في ليلة على حدة ، فمنهم من يزعم أن الاسراء في اليقظة ، والمعراج في المنام . وقد حكى المهلب بن أبي صفرة في شرحه البخاري عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الاسراء مرتين ؛ مرة بروحه مناما ، ومرة ببدنه وروحه يقظة وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه . قال السهيلي : وهذا القول يجمع الاحاديث فان في حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وقال في آخره : ثم استيقظت فاذا أنا في الحجر وهذا منام . ودل غيره على اليقظة ، ومنهم من يدعى تعدد الاسراء في اليقظة أيضا حتى قال بعضهم : إنها أربع اسراءات ، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع في روايات حديث الاسراء بالجمع المتعدد فجعل ثلاث اسراءات ، مرة من مكة إلى البيت المقدس فقط على البراق ، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضا لحديث حذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات .

ف نقول : ان كان انما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصيا في كتابنا التفسير عند قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) وان كان انما حمله أن التقسيم انحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات فلا يلزم من الحصر العقلي والوقوع كذلك في الخارج الا بدليل والله أعلم . والعجب أن الامام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الاسراء بعد ذكره موت أبي طالب فوافق ابن اسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر ، وخالفه في ذكره بعد موت أبي طالب ، وابن اسحاق أخر ذكر موت أبي طالب على الاسراء ، والله أعلم أي ذلك كان . والمقصود أن البخاري فرق بين الاسراء وبين المعراج فبوب لكل واحد منهما بابا على حدة فقال : باب حديث الاسراء وقول الله سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله (ص) يقول : « لما كذبتني قريش كنت في الحجر فحلبني الله إلى بيت المقدس فطفقت أحدثهم عن آياته وأنا أنظر إليه » . وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر به . ورواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . ثم قال البخاري باب حديث المعراج : حدثنا هذبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبي (ص) حدثهم عن ليلة أسرى به . قال : « بينما أنا في الحطيم — وربما قال في الحجر — مضجعا

اذ أناني آت « قال ومحمته يقول : « فشق ما بين هذه الى هذه » فقلت للجارود وهو الى جنبي
 ما يعني به . قال من فقرة فقرة الى شعرته ومحمته يقول من قصه الى شعرته . « فاستخرج قلبي ثم أتيت
 بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشيت ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار
 أبيض « فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : أنس نعم ! : « يضع خطوه عند أقصى طرفه .
 فحملت عليه فانطلق بي جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل
 ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما
 خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن
 الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي الى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن
 معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه [قال نعم !] قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت
 اذا بجي وعيسى وهما ابنا خالة : قال هذا بجي وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قال : مرحبا
 بالاخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال
 جبرائيل قال ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ،
 ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح
 والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قال ومن
 معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت اذا
 ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ، ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح .
 ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد
 قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت اذا هارون قال هذا
 هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى
 أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل
 اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه ،
 فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح . فلما تجاوزت بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟
 قال : أبكي لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي . ثم صعد بي
 الى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل
 وقد بعث اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت اذا ابراهيم قال هذا أبوك
 ابراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم رفعت
 الى سدة المنتهى وإذا أربعة أنهار : نهران ظهران ، ونهران باطنان . فقلت : ما هذا يا جبرائيل ؟

قال : أما الباطنان قهيران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ، ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم أتيت إتياء من خر وإتياء من لبن وإتياء من عسل ، فأخذت اللبن قال : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك . ثم فرض على الصلوات خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فررت على موسى فقال بما أمرت ؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشرا . فرجعت إلى موسى فقال مثله فارجع فوضع عني عشرا . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك . قال : سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم . قال فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي . هكذا روى البخاري هذا الحديث هنا . وقد رواه في مواضع أخر من صحيحه ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة . ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبي بن كعب . ومن حديث أنس عن أبي ذر . ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبي (ص) . وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه في التفسير ، ولم يقع في هذا السياق ذكر بيت المقدس ، وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به ، أو ينسأه أو يذكرها هو الأهم عنده ، أو يبسط نارة فيسوقه كله ، ونارة يحذف عن مخاطبه بما هو الاتقع عنده . ومن جعل كل رواية اسرأد على حدة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعد جدا . وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء ، وفي كل منها يعرفهم بهم ، وفي كلها يفرض عليه الصلوات . فكيف يمكن أن يدعى تعدد ذلك ؟ هذا في غاية البعد والاستحالة والله أعلم . ثم قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن عمرو بن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) . قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله (ص) ليلة أسرى به إلى بيت المقدس ، والشجرة الملعونة في القرآن . قال : هي شجرة الزقوم .

فَضْلُ الرُّؤْيَا

ولما أصبح رسول الله (ص) من صبيحة ليلة الأسرى جاءه جبرائيل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها ، وأمر رسول الله (ص) أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد

والمسلمون يأتون بالنبي (س)، وهو يقتدى بجبرائيل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر: «أمنى جبرائيل عند البيت مرتين». فبين له الوقتين الأول والآخر، فهما وما بينهما الوقت الموسع، ولم يذكر توسعة في وقت المغرب. وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبريدة وعبدالله بن عمرو وكلها في صحيح مسلم. وموضع بسط ذلك في كتابنا الأحكام والله الحمد. فأما ما ثبت في صحيح البخاري عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. وكذا رواه الأوزاعي عن الزهري، ورواه الشعبي عن مسروق عنها وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تتم الصلاة في السفر، وكذا عثمان بن عفان وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى: [وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن ختم أن يفتنكم الذين كفروا]. قال البيهقي: وقد ذهب الحسن البصري إلى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً كما ذكره مرسل من صلواته عليه السلام صبيحة الاسراء الظهر أربعاً، والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً يجرى في الأوليين، والعشاء أربعاً يجرى في الأوليين. والصبح ركعتين يجرى فيهما. قلت: فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الاسراء تكون ركعتين ركعتين ثم لما فرضت الخمس فرضت حضراً على ما هي عليه، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً وعلى هذا لا يبقى أشكال بالكلية والله أعلم.

فصل في انشقاق القمر

انشقاق القمر في زمان النبي (س).

وجعل الله له آية على صدق رسول الله (س)، فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت اشارته الكريمة، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: [أقربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام. وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها. ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. وقد تفحصنا ذلك في كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والألفاظ محررة، ونحن نشير هنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته. وذلك مروى عن أنس بن مالك، وجبير بن مطعم، وحذيفة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

أما أنس فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال:

سأل أهل مكة النبي (ص) ، آية ، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال (اقتربت الساعة وانشق القمر)
ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وهذا من مراسلات الصحابة ، والظاهر أنه تلقاه عن
الجم الغفير من الصحابة ، أو عن النبي (ص) ، أو عن الجميع وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث
من طريق شيبان . زاد البخاري وسعيد بن أبي عروبة وزاد مسلم وشعبة ثلاثهم عن قتادة عن
أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله (ص) أن يريهم آية فاراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما
لفظ البخاري

وأما جبير بن مطعم فقال الامام احمد حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين
ابن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم [عن أبيه] . قال انشق القمر على عهد رسول الله (ص)
فصار فرقتين ، فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحرنا محمد ، فقالوا إن كان
سحرنا فانه لا يستطيع أن يبحر الناس كلهم . تفرد به احمد . وهكذا رواه ابن جرير من حديث
محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . وقد رواه البيهقي من طريق ابراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما
عن حصين بن عبد الرحمن عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلا
في الاسناد .

وأما حذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم في الدلائل من طريق عن عطاء بن السائب عن أبي
عبد الرحمن السلمي . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمداين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (اقتربت
الساعة وانشق القمر) ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد
أذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق . فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبي إلى
الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد : ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة . فلما كنا في الطريق قلت لأبي
ما يعني بقوله - غداً السباق . قال من سبق إلى الجنة .

وأما ابن عباس فقال البخاري حدثنا يحيى بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك
عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس . قال : إن القمر انشق في زمان النبي (ص) .
ورواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث بكر - وهو ابن نصر - عن جعفر قوله : (اقتربت الساعة
وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) . قال : قد مضى ذلك كان قبل الهجرة
انشق القمر حتى رأوا شقيه . وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو من مراسلاته .
وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الغني بن سعيد حدثنا
موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن
عباس في قوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله

(س) منهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والاسود ابن عبد يافث ، والاسود بن المطلب ، وزمعة بن الاسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم . فقالوا للنبي (س) : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قبيعان : فقال لهم النبي (س) : « إن فعلت تؤمنوا ؟ » قالوا نعم ! وكانت ليلة بدر - فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا ، فامسى القمر قد سلب نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قبيعان ، ورسول الله (س) ينادى يا أبا سلمة بن عبد الأسد والارقم بن الارقم اشهدوا . ثم قال أبو نعيم وحدثنا سليمان بن احمد حدثنا الحسن بن العباس الرازي عن الهيثم بن العمان حدثنا اسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . قال : انتهى أهل مكة إلى رسول الله (س) ، فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبرائيل فقال يا محمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية إن انتفعوا بها . فاخبرهم رسول الله (س) بمقالة جبرائيل فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة ، فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فنظروا ، ثم قالوا بأبصارهم فسحوها ، ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا . فقالوا : يا محمد ما هذا إلا سحر واهب فانزل الله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) . ثم روى الضحاك عن ابن عباس . قال : جاءت أخبار اليهود إلى رسول الله (س) فقالوا : أرنا آية حتى تؤمن بها ، فسأل ربه فاراهم القمر قد انشق يجزئين ؛ أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، قدر ما بين المصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب . فقالوا : هذا سحر مفترى . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا احمد بن عمرو الرزاز حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد ابن بكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس . قال : كسف القمر على عهد رسول الله (س) فقالوا صحر القمر فنزلت : (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) . وهذا اسناد جيد وفيه أنه كسف تلك الليلة فلمله حصل له انشقاق في ليلة كسوفه ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الارض ومع هذا قد شوهد ذلك في كثير من بقاع الارض ويقال : إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند ، وبني بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر .

وأما ابن عمر فقال الحافظ البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر احمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد به . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (س) ، شقتين حتى نظروا اليه ، فقال

رسول الله (ص)، اشهدوا . وهكذا أخرجه من حديث سفيان - وهو بن عيينة - به . ومن حديث
الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن ممرة عن ابن مسعود قال : انشق القمر ونحن مع
رسول الله (ص)، بنى ، فقال النبي (ص) : « اشهدوا » وذهبت فرقة نحو الجبل . لفظ البخارى ثم
قال البخارى وقال أبو الضحاك عن مسروق عن عبد الله بمكة - وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضى الله عنه . وقد أسند أبو داود الطيالسى حديث أبي
الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص)، ، قالت
قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة . فقالوا : أنظروا ما يأتيكم به السفار ؟ فان محمدا لا يستطيع أن
يسحر الناس كلهم . قال فجاء السفار فقالوا ذلك . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو
العباس حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن أبي
الضحى عن مسروق عن عبد الله . قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين . فقال كفار قريش
لأهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، أنظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق
وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به . قال فسئل السفار قال - وقدموا من كل وجهة -
فقالوا : رأينا وهكذا رواه أبو نعيم من حديث جابر عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن
عبد الله به . وقال الامام احمد حدثنا مؤمل حدثنا اسرائيل عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن
عبد الله - وهو ابن مسعود - . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص)، حتى رأيت الجبل بين
فرجتي القمر . وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سماك به . وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا
أبو بكر الطلحي حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوادعى حدثنا يحيى الحماني حدثنا يزيد عن
عطاء عن سماك عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله . قال : كنا مع النبي (ص)، بنى وانشق القمر
حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل . فقال النبي (ص) : « إشهدوا ، إشهدوا » وقال أبو نعيم حدثنا
سليمان بن احمد حدثنا جعفر بن محمد القلانسى حدثنا آدم بن أبي إياس ثنا الليث بن سعد حدثنا
هشام بن سعد عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود . قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فلقد
رأيت أحد شقيه على الجبل الذى بنى ونحن بمكة . وحدثنا احمد بن اسحاق حدثنا أبو بكر بن أبي
عاصم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا معاوية بن عمرو عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله . قال :
انشق القمر بمكة فرأيت فرقتين . ثم روى من حديث علي بن سعيد بن مسروق حدثنا موسى بن
عمير عن منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود . قال : رأيت القمر والله
منشقا باثنتين بينهما حراء . وروى أبو نعيم من طريق السدى الصغير عن الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس . قال : انشق القمر فلقين . فلقه ذهب ، وفلقه بقيت . قال ابن مسعود : لقد رأيت

جبل حراء بين فلتى القمر ، فذهب فلقة . فتعجب أهل مكة من ذلك وقالوا هذا سحر مصنوع سيذهب . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص) ، فصار فرقتين : فقال النبي (ص) : « لا بى بكر : » فاشهد يا أبا بكر » وقال المشركون : سحر القمر حتى انشق ، فهذه طرق متعددة قوية الاسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها . وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الارض حتى دخل في كم النبي (ص) ، وخرج من السكم الآخر فلا أصل له ، وهو كذب مفترى ليس بصحيح . والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار إليه النبي (ص) انشق عن اشارته فصار فرقتين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك . وما وقع في رواية أنس في مسند احمد : فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتين والله أعلم .

فضيلة

وفاة أبي طالب عم رسول الله (ص)

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله (ص) ورضى الله عنها . وقيل بل هي توفيت قبله والمشهور الاول . وهذان المشققان ؛ هذا في الظاهر وهذا في الباطن ، هناك كفر وهذه مؤمنة صديقة رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن اسحاق : ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله (ص) المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الابتلاء " بسكن اليها ، وبهالك عم أبي طالب وكان له عضداً وحرزاً في أمره ، ومنعة وفاصراً على قومه . وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب ، قالت قريش من رسول الله (ص) من الاذى ما لم تمكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً . فحدثني هشام بن عروة عن أبيه . قال : فدخل رسول الله (ص) بيته والتراب على رأسه فقامت اليه إحدى بناته تغسله وتبكي ، ورسول الله (ص) يقول : « لا تبكى يا بنيت فان الله مانع أبابك » ويقول بين ذلك : « ما نالتى قريش شيئاً كرهه حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن اسحاق قبل ذلك : أن أحدم ربما طرح الاذى في برمته إذا نصبت له . قال فكان إذا فعلوا ذلك كما حدثني عمر بن عبد الله عن عروة بن مخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول : يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق .

(١) في ابن هشام : على الاسلام يشكو اليها .

قال ابن اسحاق : ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا نقله قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا ، فاما والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا . قال ابن اسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبي طالب وكلوه - وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأميمة بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجل من أشرافهم - . فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ماترى ونخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه نخذ لنا منه وخذله منا ليكف عنا ولكف عنه ، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه . فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال : يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليعطوك وليأخذوا منك . قال فقال رسول الله ﷺ : « يا عم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » . فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات . قال : « تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه » . فصفقوا بأيديهم . ثم قالوا : يا محمد أتريد أن نجعل الكلمة إلهاً واحداً ؟ إن أمرك لعجب . قال ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيك شيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا . قال فقال أبو طالب : والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا . قال فطمع رسول الله ﷺ فيه فجعل يقول له : « أى عم فانت قلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة » فلما رأى حرص رسول الله ﷺ . قال : يا ابن أخى والله لولا مخافة السببة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه بحرك شفقيه فاصفى إليه بآذنه . قال فقال : يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها . قال فقال رسول الله ﷺ : « لم أسمع » قال وأنزل الله تعالى فى أولئك الرهط (ص) والقرآن ذى الذکر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) الآيات . وقد تسكلمنا على ذلك فى التفسير والله الحمد والمنة .

وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلما بقول العباس هذا الحديث ؛ يا ابن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها - يعنى لا إله إلا الله - والجواب عن هذا من وجوه . أحدها أن فى السند مبهما لا يعرف حاله وهو قوله عن بعض أهله وهذا إبهام فى الاسم والحال ، ومثله يتوقف فيه لو انفرد . وقد روى الامام احمد والنسائى وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبى أسامة عن الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر قول العباس . ورواه الثورى أيضا عن الاعمش عن يحيى بن عمارة الكوفى عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس . ورواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن جرير أيضا . ولفظ الحديث من سياق البيهقى فيما رواه من طريق الثورى عن الاعمش عن يحيى بن عمارة عن سميد بن جبير عن ابن عباس . قال : مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي (ص) عند رأس أبي طالب ، فجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه ذاك . وشكوه إلى أبي طالب . فقال : يا ابن أخى ما تريد من قومك ؟ فقال : « يا عم إنما أريد منهم كلمة تذلل لهم بها العرب ، وتؤدى إليهم بها الجزية المعجم ، كلمة واحدة » . قال : ما هى ؟ قال : « لا إله إلا الله » . قال فقالوا أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب ! قال : ونزل فيهم (ص) والقرآن ذى الذكر (الآيات إلى قوله (إلا اختلاق) ثم قد عارضه — أعنى سياق ابن اسحاق — ما هو أصح منه ، وهو ما رواه البخارى قائلا حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه رضى الله عنه . أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي (ص) وعنده أبو جهل . فقال : « أى عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزلوا يكلمه حتى قال آخر ما كلمهم به : على ملة عبد المطلب . فقال النبي (ص) : « لا ستغفر لك ما لم أنه عنك » فنزلت (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) ونزلت (إنك لا تهدي من أحببت) ورواه مسلم عن اسحاق بن إبراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق . وأخرجه أيضا من حديث الزهري عن سميد بن المسيب عن أبيه بنحوه وقال فيه : فلم يزل رسول الله (ص) يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال : على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبي (ص) : « أما لاستغفرون لك ما لم أنه عنك » فانزل الله — يعنى بعد ذلك — (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) ونزل في أبي طالب (إنك لا تهدي من أحببت) ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا روى الامام احمد ومسلم والترمذى والنسائى من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله (ص) . فقال : « يا عمته قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن تميرنى قريش يقولون ما حملته عليه الا فزع الموت لا قررت بها عينك ، ولا أقولها الا لا قربها عينك . فانزل الله عز وجل (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله (ص) : أن يقول لا إله الا الله فابى أن يقولها ، وقال : هو على ملة الاشياخ وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب . ويؤكد هذا كله ما قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن

سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثني عبد الله بن الحارث قال حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال قلت للنبي (ص): ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويفضبك لك؟ قال: «[هو] في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل» ورواه مسلم في صحيحه من طرق عن عبد الملك ابن عمير به أخرجه في الصحيحين من حديث الليث حدثني ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد أنه سمع النبي (ص) ذكر عنده عنه فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه» لفظ البخاري. وفي رواية «تغلي منه أم دماغه» وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، منتعل بتعليين من نار يغلي منهما دماغه» وفي مغازي يونس بن بكير «يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه» ذكره السهيلي وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا عمرو - هو ابن اسماعيل بن مجالد - حدثنا أبي عن مجالد عن الشعبي عن جابر. قال سئل رسول الله (ص) - أو قيل له - هل نفعت أبا طالب؟ قال: «أخرجته من النار إلى ضحضاح منها» تفرد به البزار. قال السهيلي: وإنما لم يقبل النبي (ص) شهادة العباس أخيه أنه قال السكامة وقال: «لم أجمع» لأن العباس كان إذ ذاك كافراً غير مقبول الشهادة.

قلت: وعندي أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم. ومما يدل على ذلك أنه سأل النبي (ص) بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدم، وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الفرغة حين لا ينفع نفساً إيمانها والله أعلم.

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت فاجية بن كعب يقول سمعت علياً يقول: لما توفي أبي أتيت رسول الله (ص) فقلت إن عمك قد توفي. فقال: «أذهب فواره» فقلت إنه مات مشركاً، فقال: «أذهب فواره ولا تحمدن شيئا حتى تأتي» ففعلت فأتيتها، فامرني أن أغتسل ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة. ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان عن أبي اسحاق عن فاجية عن علي: لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه؟ قال: «أذهب فوار أباك ولا تحمدن شيئا حتى تأتيني» فأتيتها فامرني فاغتسلت، ثم دعاني بدعوات ما يسرني أن لي بهن ما على الأرض من شيء. وقال الحافظ البيهقي أخبرنا أبو سعد الماليني حدثنا أبو أحمد بن عدي حدثنا محمد بن هارون بن حميد حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة حدثنا الفضل عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس: أن النبي (ص) عاد من جنازة أبي طالب فقال: «وصلتك رحم» وجزيت خيراً يا عم. قال وروى عن أبي الهيثم الهوزني عن النبي (ص) مرسلًا وزاد، ولم يقم على قبره. قال: وإبراهيم بن

عبد الرحمن هذا هو الخوارزمي تكلموا فيه .

قلت : قد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السيناني ومحمد بن سلام البيكندی ، ومع هذا قال ابن عدی ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة . وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمناجاة والمناجاة عن رسول الله (س) ، والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من المادح والثناء ، وما أظهره له ولاصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلوبة التي لا تداني ولا تسامى ، ولا يمكن عريباً مقاربتها ولا معارضتها ، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله (س) صادق بار راشد ، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه . وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري ، وشاهد ذلك قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى في قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يافرون مشبوراً) وقول بعض السلف في قوله تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله (س) ، وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق . فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مخيمرة ، وحبيب ابن أبي ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر والله أعلم . والأظهر والله أعلم الرواية الأخرى عن ابن عباس ، وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد . وهو اختيار ابن جرير . وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتأم ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضاً به . ولهذا قال (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) وهذا اللفظ وهو قوله (وهم) يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون في سياق الكلام وقوله (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) يدل على تمام الذم . وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله (س) ، وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال . ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة ، والخدمة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهاها الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه .

موت خديجة بنت خويلد

وذكر شئ من فضائلها ومناقبها رضى الله عنه وأرضاها، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومثواها . وقد فعل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

قال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب . قال قال عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة . ثم روى من وجه آخر عن الزهري أنه قال : توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله (ص) إلى المدينة ، وقبل أن تفرض الصلاة . وقال محمد بن اسحاق : ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد . وقال البيهقي : بلغني أن خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام . ذكره عبد الله بن منده في كتاب المعرفة ، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ . قال البيهقي : وزعم الواقدي أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب ، وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة .

قلت : مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء ، وكان الانسب بنا أن نذكر وفاة أبي طالب وخديجة قبل الاسراء كما ذكره البيهقي وغير واحد ، ولكن أخرنا ذلك عن الاسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك فان الكلام به ينتظم ويتسق الباب كما تقف على ذلك إن شاء الله . وقال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة . قال : أتى جبرائيل إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام - أو طعام أو شراب - فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به . وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن اسماعيل . قال قلت لعبد الله بن أبي أوفى : بشر النبي (ص) خديجة ؟ قال نعم ! بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب . ورواه البخاري أيضا ومسلم من طرق عن اسماعيل بن أبي خالد به .

قال السهيلي : وإنما بشرها ببيت في الجنة من قصب - يعني قصب اللؤلؤ - لأنها حازت قصب السبق الى الايمان ، لا صخب فيه ولا نصب لأنها لم ترفع صوتها على النبي (ص) ، ولم تتبعه يوما من الدهر فلم تصخب عليه يوما ولا آذته أبدا . وأخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما غرت على امرأة للنبي (ص) ما غرت على خديجة .

وهلكت قبل أن يتزوجني - لما كنت اسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب . وإن كان ليدبح الشاة فيهدى في خلائها منها ما يسمن . لفظ البخاري ، وفي لفظ عن عائشة ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله (ص) ، إياها . وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه - أوجبرائيل - أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب . وفي لفظ له قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي (ص) ما غرت على خديجة - وما رأيتهما - ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة . فربما قلت كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : « إنها كانت وكانت » ، وكان لي منها ولد » ثم قال البخاري حدثنا إسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله (ص) ، فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال : « اللهم هالة » . فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قریش حمراء الشدين هلكت في الدهر أبدلك الله خيراً منها . وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به . وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلاً وإما عشرة . إذا لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله ولكن قال الامام احمد حدثنا مؤمل أبو عبد الرحمن حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الملك - هو ابن عمير - عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت : ذكر رسول الله (ص) يوماً خديجة فاطنبت في الثناء عليها ، فادركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فقلت لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قریش حمراء الشدين . قال فتغير وجه رسول الله (ص) ، تغيراً لم أره تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند الخيلة حتى يعلم رحمة أو عذاباً . وكذا رواه عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير به . وزاد بعد قوله حمراء الشدين ؛ هلكت في الدهر الاول . قال قال فتغير وجهه ثم ما كنت أريد إلا عند نزول الوحي أو عند الخيلة حتى ينظر رحمة أو عذاباً . تفرد به احمد . وهذا اسناد جيد . وقال الامام احمد أيضاً عن ابن اسحاق أخبرنا مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة . قالت : كان النبي (ص) إذا ذكر خديجة أثني عليها باحسن الثناء . قالت فغرت يوماً فقلت : ما أكرما تذكرها حمراء الشدين قد أبدلك الله خيراً منها . قال « ما أبدلني الله خيراً منها » ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني ، وآستقني بما آلتها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » تفرد به احمد أيضاً . وإسناده لا بأس به ومجالد روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم . ولعل هنا أعنى قوله : وزرقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء . كان قبل أن يولد إبراهيم بن النبي (ص) ، من مارية ، وقبل مقدمها بالكاكية وهذا معين . فان جميع أولاد النبي (ص) كما تقدم وكما سيأتي من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية

المصرية رضى الله عنها . وقد استدلل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنها وأرضاها ، وتكلم آخرون فى اسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيراً عشرة وهو محتمل أو ظاهر . وسببه أن عائشة نمت بشبابها وحسنها وجميل عشرينها ، وليس مرادها بقولها قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكى نفسها وتفضلها على خديجة ، فإن هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما قال (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) وقال تعالى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء) الآية وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديماً وحديثاً وبجانبها طرقات يقتصر عليها أهل الشيع وغيرهم لا يمدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الرب عليها ، وكون ولد النبي (ص) جميعهم - إلا إبراهيم - منها . وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت ! كراماً لها ، وتقدير إسلامها ، وكونها من الصديقات ولها مقام صدق فى أول البعثة . وبذلت نفسها ومالها لرسول الله (ص) . وأما أهل السنة ففهم من يفلو أيضاً ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق ، ولكونها أعلم من خديجة فانه لم يكن فى الامم مثل عائشة فى حفظها وعلمها وفصاحتها وحفظها ، ولم يكن الرسول يحب أحداً من نسائه كحبه إياها ونزلت براءتها من فوق سبع سموات وروت بعده عنه عليه السلام علماً جماً كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطر دينكم عن الحيراء » والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهرة وحيه ، والاحسن التوقف فى ذلك إلى الله عز وجل . ومن ظهر له دليل يقطع به ، أو يغلب على ظنه فى هذا الباب فذاك الذى يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف فى هذه المسألة أو فى غيرها فالطريق الاقوم والمسالك الاسلام أن يقول الله أعلم . وقد روى الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال قال رسول الله (ص) : « خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد » أى خير زمانهما . وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن اياس رضى الله عنه . قال قال رسول (ص) : « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث ؛ مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد . وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » رواه ابن مردويه فى تفسيره . وهذا اسناد صحيح إلى شعبة وبعده . قالوا والقدر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كملت نبيا مرسلأ وأحسنن الصحبة فى كفالتها وصدقته . فأسية ربت موسى وأحسنن اليه وصدقته حين بعث ، ومريم كملت ولدها أئمة كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل . وخديجة رغبت فى تزويج رسول الله (ص) بها وبذلت فى ذلك أموالها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل . وقوله

« وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت في الصحيحين من طريق شعبة أيضا عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب الهمداني عن أبي موسى الأشعري . قال قال رسول الله (ص) : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون . ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز واللحم جميعا وهو أغزر طعام العرب كما قال بعض الشعراء :

إذا ما الخبز تأداه بلحم فذاك ، أمانة الله ، الثريد

ويحمل قوله « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوظا فيعم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عاما فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف يحتمل التسوية بينهما فيحتاج من رجع واحدة مذهب على غيرها إلى دليل من خارج والله أعلم .

فَضْلُ عَائِشَةَ

في تزويجه (ص) بعد خديجة

والصحيح أن عائشة تزوجها أولا كما سيأتي . قال البخاري في باب تزويج عائشة * حدثنا علي بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي (ص) قال لها : « أريتك في المنام مرتين ، أرى أنك في سرقة من حرير ، ويقول هذه امرأتك . فأكشف عنها فإذا هي أنت ، فاقول إن كان هذا من عند الله يمضه » قال البخاري باب نكاح الابكار . وقال ابن أبي مليكة قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبي (ص) بكرا غيرك * حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثني أخى عن سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قلت يا رسول الله : أرايت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال : « في التي لم ترتع منها » تعنى أن النبي (ص) لم يتزوج بكرا غيرها . انفرد به البخاري ثم قال حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قال لي رسول الله (ص) : « أريتك في المنام فيجئ بك الملك في سرقة من حرير فقال لي هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي ، فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه » ^(١) وفي رواية « أريتك في المنام ثلاث ليل » وعند الترمذي أن جبريل جاءه بصورتها في خرقه من حرير خضراء فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة . وقال البخاري تزويج الصغار من الكبار حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث

(١) كذا بالأصل : ونص البخاري يخالف هذه الرواية .

بن يزيد عن عراك عن عروة أن رسول الله (ص) خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي لي حلال » هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل وهو عند البخارى والمحققين متصل لانه من حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها ، وهذا من افراد البخارى رحمه الله . وقال يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : تزوج رسول الله (ص) عائشة بعد خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبني بها وهي ابنة تسع . ومات رسول الله (ص) وعائشة ابنة ثمانية عشرة سنة . وهذا غريب . وقد روى البخارى عن عبيد ابن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : توفيت خديجة قبل خراج النبي (ص) بثلاث سنين ، فلبث سنتين - أو قريبا من ذلك - ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين ، وهذا الذى قاله عروة مرسل فى ظاهر السياق كما قدمنا ولكننا فى حكم المتصل فى نفس الامر . وقوله تزوجها وهي ابنة ست سنين وبني بها وهي ابنة تسع مالا خلاف فيه بين الناس - وقد ثبت فى الصحاح وغيرها - وكان بناؤه بها عليه السلام فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة . وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر . فان يعقوب بن سفيان الحافظ قال حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجنى رسول الله (ص) متوفى خديجة قبل محرجه من مكة وأنا ابنة سبع - أو ست - سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءنى نسوة وأنا ألب فى أرجوحة وأنا مجممة ، فبأتنى وصنعننى ثم أتبنى إلى رسول الله (ص) وأنا ابنة تسع سنين . فقوله فى هذا الحديث متوفى خديجة يقتضى أنه على أثر ذلك قريبا ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا يبنى ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم . وقال البخارى حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت تزوجنى النبي (ص) وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج . فوعكت فتمزق شعرى وقد وفدت لى جزيمة فاتتنى أمى أم رومان وإبنى لى أرجوحة ومعى صواحب لى فصرخت لى فأتينها ما أدرى ما تريد منى فاخذت ييدى حتى أوقفتنى على باب الدار وإبنى لأنهج حتى سكن بعض نفسى ثم أخذت شيئا من ماء فمست به وجهى ورأسى ، ثم أدخلتنى الدار قال فاذا نسوة من الانصار فى البيت قتلن على الخبير والبركة وعلى خير طائر ، فاسلمتنى اليهن فاصلحن من شأنى فلم يرعنى إلا رسول الله (ص) ضحى ، فاسلمتنى اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين . وقال الامام احمد فى مسند عائشة أم المؤمنين حدثنا محمد بن بشر حدثنا بشر حدثنا محمد بن عمرو أبو سلمة ويحيى . قال : لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال من ؟ قالت إن شئت بكرا ، وإن

شئت نبييا ، قال فمن البكر ؟ قالت أحب خلق الله اليك عائشة ابنة أبي بكر . قال ومن الثيب ؟ قالت
 سودة بنت زمعة . قد آمنت بك واتبعنك . قال فاذهي فاذكريهما على . فدخلت بيت أبي بكر
 فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول
 الله (س) . أخطب عليه عائشة ، قالت انظري أبا بكر حتى يأتي ، فجاء أبو بكر فقلت يا أبا بكر ماذا
 أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قال وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول الله (س) . أخطب عليه عائشة
 قال وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه ، فرجعت إلى رسول الله (س) . فذكرت ذلك له قال : « ارجعي
 اليه فتقولي له أنا أخوك وأنت أختي في الاسلام ، وابنتك تصلح لي » فرجعت فذكرت ذلك له قال
 انتظري ، وخرج . قالت أم رومان إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه ، والله ما وعد أبو بكر
 وعدا قط فآخلفه ، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبي . فقالت : يا ابن أبي
 قحافة لملك مصبي صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج اليك ؟ فقال أبو بكر للمطعم
 ابن عدى أقول هذه ؟ يقول إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من
 عدته التي وعده . فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله (س) . فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت
 ست سنين ، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت ما أدخل الله عليك من الخير والبركة
 قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول الله (س) . أخطبك اليه . قالت وددت ادخلي الى أبي بكر
 فاذكري ذلك له . وكان شيخا كبيرا قد أدركه السن قد تخلف عن الحج . فدخلت عليه فخيته
 بتحية الجاهلية ، فقال من هذه ؟ قالت خولة بنت حكيم . قال فما شأنك ؟ قالت أرسلني محمد بن
 عبد الله أخطب عليه سودة . فقال كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبك ؟ قال تحب ذلك . قال ادعها
 إلى فدعتها قال أي بنية إن هذه تزعم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل بخطبك وهو
 كفؤ كريم أنحبين أن أزوجه بك به ؟ قالت نعم . قال ادعها لي فجاء رسول الله (س) . فزوجها إياه . فجاء
 أخوها عبد بن زمعة من الحج فجاء يحثي على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرك إني لسفيه يوم
 أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله (س) . سودة بنت زمعة . قالت عائشة : فقدمنا المدينة
 فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنع . قالت فجاء رسول الله (س) . فدخل بيتنا واجتمع اليه
 رجال من الانصار ونساء ، فجاءني أمي وأنا لني أرجوحة بين عذقين يرجح بي فانزلتني من الأرجوحة
 ولى جحيمة ففرقتها ومسحت وجهي بشئ من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب واني
 لانهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فاذا رسول الله (س) . جالس على سرير في بيتنا وعنده
 رجال ونساء من الانصار ، فاجلسني في حجرة ثم قالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم ، وبارك
 لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبني رسول الله (س) في بيتنا ما نهجت على جزور ، ولا

ذبحت على شاة . حتى أرسل الينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله (س) ، اذا دار الى نسائه ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين . وهذا السياق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقي من طريق احمد بن عبد الجبار حدثنا عبد الله بن ادريس الازدي عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . قال قالت عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال ومن ؟ قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال من البكر ومن الثيب ؟ قالت أما البكر فابنة أحب خلق الله اليك ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك . قال فاذكريهما علي . وذكري تمام الحديث نحو ما تقدم . وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر الى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتي . وقال الامام احمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما كبرت سودة وهبت يومها لي ، فكان رسول الله (س) يقسم لي بيومها مع نسائه . قالت وكانت أول امرأة تزوجها بعدى . وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثني شهر حدثني عبد الله بن عباس أن رسول الله (س) خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصبية ، كان لها خمس صبية — أو ست — من بعلها مات . فقال رسول الله (س) : « ما يمنعك مني ؟ » قالت والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب البرية إلي ، ولكنني أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال فهل منعك مني غير ذلك ؟ قالت لا والله ، قال لها رسول الله (س) يرحمك الله ان خير نساء ركبنا اعجاز الابل ، صالح نساء قريش احناه على ولد في صغره ، وأرعاه على بعل بذات يده . قلت وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو وأخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضى الله عنه . هذه الميقات كلها دالة على أن للعقد على عائشة كان متقدماً على العقد بسودة وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل . ورواه يونس عن الزهري واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة وحكاه عن قتادة وأبي عبيد . قال ورواه عقيل عن الزهري .

فَضَّلَ اللَّهُ

قد تقدم ذكر موت أبي طالب عم رسول الله (س) ، وأنه كان فاصراً له وقائماً في صفه ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال ، فلما مات اجتراً سفهاء قريش على رسول الله (س) ، وقالوا منه ما لم يكونوا يصلون اليه ولا يقدرون عليه . كما قد رواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعاني حدثنا يوسف بن مهلول حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن

اسحاق عن حدثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر . قال : لما مات أبو طالب عرض
 لرسول الله (ص) سفينة من سفهاء قريش فالتقى عليه تراباً ، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح
 عن وجهه التراب وتبكي ، فجعل يقول : « أى بنية لا تبكين فان الله مانع أباك » ويقول ما بين ذلك
 « ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا » . قد رواه زياد البكائي عن محمد
 ابن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلًا والله أعلم . وروى البيهقي أيضاً عن الحاكم وغيره
 عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله
 (ص) قال : « ما زالت قريش كاعين ^(١) حتى مات أبو طالب » ثم رواه عن الحاكم عن الأصم
 عن عباس الدوري عن يحيى بن معين حدثنا عقبة المجدري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
 عن النبي (ص) قال : « ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب » وقد روى الحافظ أبو الفرج
 ابن الجوزي بسنده عن ثعلبة بن صعير وحكيم بن حزام أنهما . قالا : لما توفي أبو طالب وخديجة
 - وكان بينهما خمسة أيام - اجتمع على رسول الله (ص) مصيبتان ولزم بيته وأقل الخروج ، ونالت
 منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال : يا محمد امض لما أردت وما
 كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه ، لا واللوات لا يوصل اليك حتى أموت . وسب ابن
 الفيلة رسول الله (ص) فأقبل إليه أبو لهب فقال منه ، فولى يصيح يامعشر قريش صبا أبو عتبة .
 فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال : ما فارقت دين عبد المطلب ، ولكنى أمتنع ابن أخي
 أن يضام حتى يمضي لما يريد . فقالوا لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فكث رسول الله (ص)
 كذلك أياماً يأتي ويذهب لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب إذ جاء عقبة بن أبي معيط
 وأبو جهل إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فقال له أبو لهب يا محمد
 أين مدخل عبد المطلب ؟ قال مع قومه . فخرج إليهما فقال قد سألتهم فقال مع قومه . فقالا يزعم أنه في
 النار . فقال يا محمد أين مدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله (ص) ومن مات على ما مات عليه
 عبد المطلب دخل النار . فقال أبو لهب - لعنه الله - والله لا أبرحت لك إلا عدواً أبداً وأنت تزعم
 أن عبد المطلب في النار . واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه .

قال ابن اسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله (ص) في بيته أبو لهب ، والحكم بن أبي
 العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الأصداء الهذلي . وكانوا جيرانه لم
 يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص . وكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه رحم الشاة
 وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله (ص) حجراً يستتر

به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول :
يا بني عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه فى الطريق .

قلت : وعندى أن غالب ما روى مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلى كما
رواه ابن مسعود وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم ، ثم لما انصرف رسول
الله (ص) دعا على سبعة منهم كما تقدم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقه
له عليه السلام خنفاً شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلاً أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .
وكذلك عزم أبي جهل - لعنه الله - على أن يطأ على عنقه وهو يصلى فحبل بينه وبين ذلك ، ١٠٠
أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم . فذكرها هنا أنسب وأشبه .

فصل

في ذهابه (ص) إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله

قال ابن اسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الأذى ما لم تكن
تألفه منه فى حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله (ص) إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة
والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى ، فخرج اليهم وحده . فحدثني
يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي . قال : انتهى رسول الله (ص) إلى الطائف وعمد إلى
نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرفهم وهم أخوة ثلاثة : عبد ياليل ، ومعهود ، وحبيب بنو عمرو
ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى
جح ، فجلس اليهم فدعاهم إلى الله وكلهم لما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه
من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله
أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث والله لا أكلك أبداً لأن كنت رسولا من الله كما تقول لانت
أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لى أن أكلك
فقام رسول الله (ص) من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم - فيما ذكر لى - إن فعلتم
ما فعلتم فاكموا على وكره رسول الله (ص) : أن يبلغ قومه عنه فيذئروهم (١) ذلك عليه . فلم يفعلوا
وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعنة
ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يقيمه . فعمد إلى ظل

(١) قال ابن هشام : فيذئروهم يعنى يحرق بينهم ، وأورد فى ذلك شعرا .

حيلة^(١) من غيب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما يليق من سفهاء أهل الطائف ، وقد
لقي رسول الله (ص) ، فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جحج ، فقال لها ماذا لقينا من أمهاتك . فلما
اطمأن قال - فيما ذكر - « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وهو اتى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت
رب المستضعفين ، وأنت ربى الى من تكافى ، الى بعيد يتجهنى أم الى عدو ملكته أمرى . إن
لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك هي أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له
الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك لك العتبى
حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك » . قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي فحركت له رحمهما
فدعوا غلاما لهما نصرانياً يقال له عداس [وقالاه] خذ قطعاً من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق
ثم اذهب به الى ذلك الرجل قتل له يا كل منه . ففعل عداس ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي
رسول الله (ص) . ثم قال له كل ، فلما وضع رسول الله (ص) يده فيه قال : « بسم الله » ثم أكل ، ثم
نظر عداس فى وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد . فقال له رسول الله
(ص) : ومن أهل أى بلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ قال نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى . فقال
رسول الله (ص) : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن
متى ؟ فقال رسول الله (ص) : ذلك اخى كان نبيا وأنا نبى . فأكب عداس على رسول الله (ص) يقبل
رأسه ويديه وقدميه . قال يقول أبناء ربيعة احدهما لصاحبه اما غلامك قد افسده عليك . فلما جاء
عداس قال له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال يا سيدي ما فى
الارض شئ خير من هذا لقد اخبرنى بأمر ما يعلمه الانبى . قال له : ويحك يا عداس لا يصرفك
عن دينك فان دينك خير من دينه .

وقد ذكر موسى بن عقبة نحوه من هذا السياق الا انه لم يذكر الدعاء وزاد ، وقعد له اهل
الطائف صفيين على طريقته ، فلما امر جعلوا لا يرفع رجله ولا يضعهما الا رخصهما بالحجارة حتى
ادموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء فعمد الى ظل نخلة وهو مكروب وفى ذلك الخاطئ عتبة وشيبة
ابنا ربيعة ، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله . ثم ذكر قصة عداس النصرانى كمنحو ما تقدم .
وقد روى الامام احمد عن أبى بكر بن أبى شيبة حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عبد الله بن
عبد الرحمن الطائفى عن عبد الرحمن بن خالد بن أبى جبيل العدوانى عن أبيه أنه أبصر رسول الله
(ص) فى مشرق قفيف وهو قائم على قوس - أو عصى - حين أقام يبتغى عندهم النصر ، فسمعتة
يقول : « والسباء والطارق » حتى ختمها . قال فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها فى الاسلام
(١) فى النهاية : الحيلة الاصل أو القضيبة من شجر الاعناب . وزاد فى السهيلي والكرمة .

قال فدعني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش نحن أعلم بضاجتنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه. وثبت في الصحيحين من طريق عبد الله بن وهب^(١) أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله (ص)، هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: « ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملكاً. الجبال، لتأمره بما شئت فيهم. ثم ناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد قد بعثني الله إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك ربك لتأمرني ما شئت إن شئت تطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله (ص): « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً ».

فضيلة

وقد ذكر محمد بن إسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله (ص)، وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلى بأصحابه الصبح فاستمع الجن الذين صرفوا إليه قراءته هناك. قال ابن إسحاق وكانوا سبعة نفر، وأنزل الله تعالى فيهم قوله (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن).

قلت: وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير، وتقدم قطعة من ذلك والله أعلم. ثم دخل رسول الله (ص) مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي وازداد قومه عليه حنفاً وغيظاً وجرأة وتكدياً وعناداً والله المستعان وعليه التكلان.

وقد ذكر الاموي في مغازيه أن رسول الله (ص) بعث أريقط إلى الاخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة. فقال: إن حليف قريش لا يجير على صميمها. ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال: إن بني عامر بن لؤي لا يجير على بني كعب بن لؤي. فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره فقال نعم اقل له فليأت. فذهب إليه رسول الله (ص) فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج معه هو وبنيه ستة - أو سبعة - متقلدي السيوف جميعاً فدخلوا المسجد وقال رسول الله (ص): طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، فاقبل أبو سفيان إلى مطعم. فقال: أجبير أو تابع؟ قال لا بل يجير. قال إذا لا تخفر. فجلس معه حتى قضى رسول الله (ص) طوافه، فلما انصرف انصرفوا معه. وذهب أبو

(١) وفي السهيلي: عبد الله بن يوسف وهو خطأ. وإنما هو عبد الله بن وهب الفهري القرشي.

سفيان إلى مجلسه . قال فكث أياما ثم أذن له في الهجرة ، فلما هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة توفي مطعم بن عدى بعده بيسير فقال حسان بن ثابت والله لأرثينه فقال فيما قال (١) :

فلو كان مجد مخلدَ اليوم واحد من الناس نحى مجده اليومَ مُطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبادك ما لبى مُحِلٌّ وأحرما
فلو سئلت عنه مَعَدٌّ بأسرها وقحطان أو باقي بقية جُرْها
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره وذمته يوماً إذا ما تجشما
وما تطلع الشمس المنيرة فوقهم على مثله فيهم أعز وأكرما
إياه إذا يابى وألين شيعته وأنوم عن جارٍ إذا الليل أظلما

قلت ولهذا قال النبي (ص) : يوم أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدى حيا ثم سألتني في هؤلاء النقباء لو هبتم له » .

فَضْلُ النَّبِيِّ

في عرض رسول الله (ص) نفسه الكريمه على احياء العرب

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله (ص) مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسول الله (ص) يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن اسحاق : فحدثني من أصحابنا من لا أنهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدؤلى - ومن حدثه أبو الزناد عنه - وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة ابن عباد يحدثه أبي . قال : إني لفلان شاب مع أبي بنى ورسول الله (ص) يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : « يا بنى فلان إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلصوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به » . قال وخلفه رجل أحول وضى له غدیرتان عليه حلة عدنية ، فاذا فرغ رسول الله (ص) من قوله وما دعا اليه . قال ذلك الرجل : يا بنى فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تخلصوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة

فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . قال قلت لابي يا أبت من هذا الرجل الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب . وقد روى الامام احمد هذا الحديث عن ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه أخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الدئل - وكان جاهليا فأسلم - قال رأيت رسول الله (ص) في الجاهلية في سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضى الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب - يتبعه حيث ذهب - فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب . ورواه البيهقى من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدئل : رأيت رسول الله (ص) بسوق ذى المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوم الى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت من هذا ؟ قالوا هذا أبو لهب . وكذا رواه أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن أبي ذئب وسعيد ابن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه . ثم رواه البيهقى من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال : رأيت رسول الله (ص) بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يسنى عليه التراب فاذا هو أبو جهل وهو يقول : يا أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم قائما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى . كذا قال في هذا السياق أبو جهل . وقد يكون وهما ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا ، وتارة يكون ذا وأنهما كاتا يتناوبان على اذا الله (ص) .

قال ابن اسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى أنه عليه السلام أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليسح ، فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فابوا عليه : قال ابن اسحاق وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن حصين أنه أتى كلبا في منازلهم الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه حتى إنه ليقول : « يا بنى عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم » فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم . وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله (ص) أتى بنى حنيفة في منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم . وحدثنى الزهرى أنه أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له أرايت إن نحن تابعنك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيعون لنا الامر من بعدك ؟ قال : « الامر لله يضعه حيث يشاء » . قال فقال له أقمبف نحورنا للعرب دونك فاذا

أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك . فابوا عليه . فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم فقالوا : جاءنا قتي من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا قال فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلاف ؟ هل لذنا باباها من مطلب ؟ والذي نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيلي قط ، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : فكان رسول الله (ص) في تلك السنين يمرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول « لا أكره أحداً منكم على شيء » ، من رضى منكم بالذي أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أريد أن تحرزوني فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي ، وحتى يقضى الله لي ولبن صحبتي بما شاء . فلم يقبله أحد منهم ، وما يأت أحداً من تلك القبائل إلا قال : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه ؟ ! وكان ذلك مما ذخره الله للانصار وأكرههم به .

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموي كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن العباس . قال قال لي رسول الله (ص) : « لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجني إلى السوق غداً حتى تقرر في منازل قبائل الناس » وكانت تجمع العرب . قال فقلت هذه كندة ولها وهي أفضل من يحج البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة ، فاختار لنفسك ؟ قال فبدأ بكندة فاتاهم فقال ممن القوم ؟ قالوا من أهل اليمن . قال من أي اليمن ؟ قالوا من كندة . قال من أي كندة ؟ قالوا من بنى عمرو بن معاوية ، قال فهل لكم إلى خير ؟ قالوا وما هو ؟ قال « تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله » . قال عبد الله بن الأجلح : وحدثني أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له : إن ظفرت فجعل لنا الملك من بعدك ؟ فقال رسول الله (ص) : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » فقالوا لا حاجة لنا فيما جئتنا به . وقال الكلبي فقالوا : أجيئنا لتصدنا عن آلهتنا وننايذ العرب ، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك . فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال ممن القوم ؟ قالوا من بكر بن وائل . فقال من أي بكر بن وائل ؟ قالوا من بنى قيس بن ثعلبة . قال كيف العدد ؟ قالوا كثير مثل الثرى . قال فكيف المنعة ؟ قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمنع منهم ولا نجير عليهم . قال « فتجعلون الله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين ، وتحمده ثلاثاً وثلاثين ، وتكبروه أربعاً

وثلاثين » قالوا ومن أنت ؟ قال أنا رسول الله . ثم انطلق فلما ولي عنهم قال الكلبي : وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس لا تقبلوا قوله ، ثم مر أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل ؟ قال نعم هذا في الذروة منافع أي شأنه تسألون ؟ فاخبروه بما دعاهم اليه وقالوا زعم أنه رسول الله ، قال : ألا لا تعرفوا برأسه قولاً فإنه مجنون يهذي من أم رأسه . قالوا قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر .

قال الكلبي : فاخبرني عبد الرحمن المعافري عن اشيخ من قومه قالوا : أنا رسول الله (س) . ونحن بسوق عكاظ ، فقال ممن القوم ؟ قلنا من بني عامر بن صعصعة . قال من أي بني عامر بن صعصعة ؟ قالوا بنو كعب بن ربيعة . قال كيف المنعة ؟ قلنا لا يرأى ما قبلنا ، ولا يسطلى بنا رانا . قال فقال لهم « إني رسول الله وآتيكم لتنعموني حتى أبلغ رسالة ربي ولا أكره أحداً منكم على شيء » قالوا ومن أي قریش أنت ؟ قال من بني عبد المطلب . قالوا فأين أنت من عبد مناف ؟ قال من أول من كذبتني وطردني . قالوا ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك قال فنزل اليهم والقوم يتسوقون ، إذ أنامهم بحيرة بن فراس القشيري فقال من هذا الرجل أراه عندكم أنكروه ؟ قالوا محمد بن عبد الله القرشي . قال فما لكم وله ؟ قالوا زعم لنا أنه رسول الله (س) . فطلب اليها أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال ماذا ردديتم عليه ؟ قالوا بالترحيب والسعة ، فنخرجك الى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا . قال بحيرة : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشد من شيء ترجعون به بدءاً ثم لتنا بدوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به لو أنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به ، أتعبدون الى زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيتم . ثم أقبل على رسول الله (س) . فقال : قم فالحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك . قال فقام رسول الله (س) . الى ناقته فركبها ، فغمر الخبيث بحيرة شاكلتها فقمصت برسول الله (س) . فالفقه . وعند بني عامر يومئذ ضباغة ابنة عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله (س) بمكة جاءت زائرة الى بني عمار ، فقالت يا آل عامر — ولا عامر لي — أليصنع هذا رسول الله (س) بن أظهركم لا يمنعه أحد منكم ؟ فقام ثلاثة من بني عمار الى بحيرة واثنتين اعاناه ، فاخذ كل رجل منهم رجلاً فجلبه الى الأرض ، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطما ، فقال رسول الله (س) « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » قال فأسلم الثلاثة الذين نصره وقتلوا شهداء وهم : غطيف وغطفان ابنا سهل ، وعروة — أو عذرة — بن عبد الله بن سلمة رضي الله عنهم . وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه عن أبيه به . وهلك الآخرون وهم : بحيرة بن فراس ، وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عبادة أحد بني عقيل

لنهم الله لنا كثيراً . وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته والله أعلم .

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه في قصة عامر بن صعصعة وقبيح ردهم عليه . وأغرب من ذلك وأطول ما رواد أبو نعيم والحاكم والبيهقي - والسياق لابن نعيم رحمهم الله - من حديث ابان بن عبد الله البجلي عن ابان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس حدثني علي بن أبي طالب . قال : لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأما معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلم ، وكان أبو بكر مقدماً في كل خير ، وكان رجلاً نسابه فقال ممن القوم ؟ قالوا من ربيعة ، قال وأى ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها ؟ قالوا بل من هامها العظمى . قال أبو بكر فمن أى هامها العظمى . فقال ذهل الأكبر ، قال لهم أبو بكر : منكم عوف الذى كان يقال لأحر بوادى عوف ؟ قالوا لا قال فنكم بسطام بن قيس أبو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا لا . قال فنكم الخوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالبا أنفسها ؟ قالوا لا . قال فنكم جساس بن مرة بن ذهل حامى الذمار ومانع الجار ؟ قالوا لا . قال فنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا لا . قال فأنتم أحوال الملوك من كندة ؟ قالوا لا . قال فأنتم اصهار الملوك من نخم ؟ قالوا لا . قال لهم أبو بكر رضى الله عنه : فلستم بذهل الأكبر ، بل أنتم ذهل الأصغر . قال فوثب اليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الدهلي - حين بقل وجهه - فاخذ بزمام ناقة أبى بكر وهو يقول :

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَ وَالْعَبُّ لَا نَعْرِفُهُ أَوْ نَحْمِلَهُ

يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً ، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت ؟ قال رجل من قريش . فقال الغلام : بخ بخ أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديها فمن أنت من قريش ؟ فقال له رجل من بني تيم بن مرة . فقال له الغلام : أمكنت والله الراى من سواء الشفرة ؟ أفنكم قصي بن كلاب الذى قتل بمكة المتغلبين عليها واجلى بقيتهم وجفع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك مجعاً ، وفيه يقول الشاعر :

أَلَيْسَ أَبُوكُمْ كَانَ يُدْعَى مَجْعاً بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرٍ

فقال أبو بكر لا . قال فنكم عبد مناف الذى انتهت اليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر لا . قال فنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذى هشم الثريد لقومه ولأهل مكة ، وفيه يقول الشاعر :

عَمَرُوا الْمَلَأَ هَشْمَ الثَّرِيدِ لِقَوْمِهِ وَرَجُلُ مَكَّةَ مُسْتَفْتُونَ بِعَجَافٍ
سَنُّوا إِلَيْهِ الرَّحْلَيْنِ رَكْلَهُمَا عِنْدَ الشِّتَاءِ وَرَحْلَةَ الْأَصْيَافِ

كانت قريش بيضة فتفلت فالحج خالصة لعبد مناف
 الرايين وليس يعرف رايش والقائلين هلم للأضياف
 والضاربين الكبش يترق بيضه^(١) والمانعين البيض بالأسياف
 لله درك لو نزلت بدارهم منعوك من أزل^(٢) ومن إقرار

قال أبو بكر لا . قال فمستم عبد المطب شعبة الحمد ، وصاحب غير مكة ، ومطعم طير السماء
 والوحوش والسباع في الفلا الذي كان وجهه قمر يتلأ في الليلة الظلماء ؟ قال لا . قال أمن أهل
 الإفاضة أنت ؟ قال لا . قال أمن أهل الحجابة أنت ؟ قال لا . قال أمن أهل الندوة أنت ؟ قال لا .
 قال أمن أهل السقاية أنت ؟ قال لا قال أمن أهل الرفادة أنت ؟ قال لا . قال فمن المفيضين أنت ؟
 قال لا . ثم جذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته من يده ، فقال له الغلام :

صادف در السيل در يدفعه بهيضة جينا وحيناً يرفعه

ثم قال : أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش ولست من النوائب .
 قال فاقبل الينا رسول الله . يتبسم قال على : فقلت له يا أبا بكر لقد وقعت من الاعرابي على
 باقة . فقال أجعل يا أبا الحسن ، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلاء موكل بالقول . قال
 ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار وإذا مشايخ لهم اقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلم - قال
 على وكان أبو بكر مقدما في كل خير - فقال لهم أبو بكر ممن القوم ؟ قالوا من بنى شيبان بن ثعلبة ،
 فالتفت إلى رسول الله . فقال : بابي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم ، وفي رواية ليس
 وراء هؤلاء عندهم من قومهم ، وهؤلاء غرر في قومهم ، وهؤلاء غرر الناس . وكان في القوم مفروق
 ابن عمرو ، وهاني بن قبيصة ، والمنثني بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان أقرب القوم إلى أبي
 بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غديران
 تسقطان على صدره . فكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال
 له إنا لتزيد على الف ، ولن تغلب الف من قلة . فقال له : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال علينا الجهد
 ولكل قوم جد . فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق إنا أشد ما نكون
 لقاء حين لغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الاولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله .
 يديننا مرة ويديننا علينا . لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر إن كان بلغكم أنه رسول الله فما هو هذا
 فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله . فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه

(١) يريد ما كان خلال صوفه الابيض سواد .

(٢) الازل : الضيق والشدة ، والجذب . والاعراف التهم .

فقال (ص): « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله، وأن تؤدوني وتنصروني حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به، فان قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد ». قال له وإلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله (ص): [قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا] إلى قوله (ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) فقال له مفروق: وإلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الارض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله (ص): [إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون] فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال: وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانىء: قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش وصدقت قولك، وإنى أرى أن تركنا ديننا وأتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته اليينا ليس له أول ولا آخر لم تتفكر فى أمرك، وننظر فى عاقبة ما تدعو اليه زلة فى رأى، وطيشة فى العقل، وفلة نظر فى العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقدا. ولكن ترجع وارجع وتنظر وتنظر، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقاتلك واستحسنفت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به. والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته اليينا وإنا إنما نزلنا بين صريين أحدهما البيمة، والاخر السماوة. فقال له رسول الله (ص): وما هذان الصريان؟ فقال له أما أحدهما فظفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فارض فارس وأنها كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدنا، ولا تؤوى محدنا. ولعل هذا الأمر الذى تدعوننا اليه مما تكرهه الملوك، فاما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فان أردت أن تنصرك وتمنعك مما يلى العرب فعلنا. فقال رسول الله (ص): « ما أسأتم الرد إذ افصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه ». ثم قال رسول الله (ص): « أرايتم ان لم تلبثوا الا يسيرا حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه؟ » فقال له النعمان ابن شريك: اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش! فتلا رسول الله (ص): (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً) ثم نهض رسول الله (ص): قابضاً على يدي أبى بكر. قال

على ثم التفت اليه رسول الله (ص) قال : « يا علي أية (١) أخلاق للعرب كانت في الجاهلية - ما أشرفها - بها يتحاجزون في الحياة الدنيا » . قال ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فانهضنا حتى بايعوا النبي (ص) . قال علي : وكأنا صدقاء صبراء فسر رسول الله (ص) من معرفة أبي بكر رضى الله عنه بانسابهم . قال فلم يلبث رسول الله (ص) الا يسيراً حتى خرج الى أصحابه فقال لهم : « احمدا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبني نصرنا » . قال وكانت الوقعة بقرقر الى جنب ذى قار وفيها يقول الاعشى :

فدى لبني ذهل بن شيبان فاقني ورا كها عند اللقاء وقلت
مهما ضربوا بالخنزير جنود قراقرم مقدمة الهامرز حتى تولت
فلا عينا من رأى من فوارس (٢) كذهل بن شيبان بها حين ولت
فثاروا وثرنا والمودة بيننا وكانت علينا غمرة ففجئت

هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الاخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم قراقرم - مكان قريب من الفرات - جعلوا شعارهم اسم محمد (ص) فنصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك في الاسلام

وقال الواقدي : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسول الله (ص) في منازلنا بمى ونحن نازلون بأزاء الجرة الاولى التي تلى مسجد الخيف وهو على راحلته مردفا خلفه زيد بن حارثة ، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا ، قال وقد كنا سمعنا به وبدعائه في المواسم ، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له ، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي . فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي . فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ . فقال القوم دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به . وطمع رسول الله (ص) في ميسرة فكلمه فقال ميسرة : ما أحسن كلامك وأنوره ، ولكن قومي يخالفونني وإنما الرجل بقومه فاذا لم يعضوه فالعدى (٣) أبعد فانصرف رسول الله (ص) وخرج القوم صائدين إلى أهلهم .

(١) كذا في السهيلي وفي الاصل : أثبت أخلاق في الجاهلية ما أشرفها الخ .

(٢) هذا البيت والذي بعده لم نجدهما في ديوانه ولا في المراجع التي لدينا وكان في الاصل هكذا :

فيه عينا من رأى من فوارس كذهل بن شيبان حتى ولت محمود الامام

(٣) العدى بالكسر : الغرباء والاجانب والاعداء ، وبالضم : الاعداء خاصة . من النهاية .

فقال لهم ميسرة : ميلوا نأثي فذك فان بها يهوداً نسألهم عن هذا الرجل ، فقالوا إلى يهود فاخرجوا
سفرا لهم فوضعوهم ثم درسوا ذكر رسول الله (ص) النبي الأُمي العربي يركب الحمار ويحتزي بالكسرة
ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجعد ولا بالسبط ، في عينيه حمرة مشرق اللون . فان كان هو الذي
دعاكم فاجيبوه وادخلوا في ديننا فانما نحسد ولا نتبعه ، وإما [منه] في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى
أحد من العرب الا اتبعه والا قاتله فكونوا ممن يتبعه . فقال ميسرة : يا قوم ألا [إن] هذا الأمر
بين ، فقال القوم ترجع الى الموسم ونلقاه فرجعوا الى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم
فلما قدم رسول الله (ص) المدينة مهاجراً وحج حجة الوداع لقاه ميسرة فعرفه . فقال : يا رسول الله
والله ما زلت حريصاً على اتباعك من يوم أنحت بنا حتى كان ما كان وأبى الله الا ما ترى من تأخر
اسلامي ، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي فأين مدخلهم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله (ص) :
« كل من مات على غير دين الاسلام فهو في النار » قال : الحمد لله الذي أنقذني . فأسلم وحسن
إسلامه ، وكان له عند أبي بكر مكان . وقد استقصى الامام محمد بن عمر الواقدي قصص [خبر]
القبائل واحدة واحدة ، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر وغسان وبني فزارة وبني مرة
وبني حنيقة وبني سليم وبني عبس وبني نضر بن هوازن وبني ثعلبة بن عكابة وكندة وكتب وبني
الحارث بن كعب وبني عذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم . وسياق أخبارها مطولة وقد ذكرنا من ذلك
طرفاً صالحاً والله الحمد والمنة .

وقال الامام احمد حدثنا أسود بن عامر أنا اسرائيل عن عثمان - يعني ابن المغيرة - عن سالم
ابن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله . قال : كان النبي (ص) يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول
« هل من رجل يحملني الى قومه فان قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل ؟ » فأتاه رجل
من همدان فقال ممن أنت ؟ قال الرجل من همدان . قال فهل عند قومك من منعة ؟ قال نعم ! ثم
إن الرجل خشى أن يخفزه قومه فأثى رسول الله (ص) فقال آتيتهم فأخبرهم ثم آتيتك من عام قابل !
قال نعم ! فانطلق وجاء وفد الانصار في رجب . وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن
اسرائيل به ، وقال الترمذي حسن صحيح .



قدوم وفد الانصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله (ص) بيعة

بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول اليهم رسول الله (ص) الى المدينة .

حديث سويد بن صامت الانصارى

وهو سويد بن الصامت ^(١) بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس ، وأمه ليلي بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم . فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله (ص) .

قال محمد بن اسحاق بن يسار : وكان رسول الله (ص) على ذلك من أمره كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعوا القبائل إلى الله وإلى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ولا يسمع بقدام يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ما عنده . قال ابن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قسم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجاً - أو معتمراً - وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل للجلد وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذي يقول :

ألا رب من تدعو صديقاً ولوترى	مقاتله بالغيب ساء لك ما يفري
مقاتله كالشهد ما كان شاهداً	وبالغيب ما نور على نغرة الشجر
يسرك باديه ونحت أديمه	نيمه غش يتفري عقب الظم
تبين لك العينان ما هو كاتم	من الفل والبغضاء بالنظر الشر
فرشني بخير طالما قد برئتني	وخير الموالى من ريش ولا يبري

قال فتصدى له رسول الله (ص) حين سمع به فدعاه إلى الله والاسلام ، فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي . فقال له رسول الله (ص) : وما الذي معك ؟ قال مجلدة لقمان - يعني حكمة لقمان - فقال رسول الله (ص) : أعرضها علي ، فعرضها عليه فقال « إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله على هو هدى ونور » فتلا عليه رسول الله (ص) القرآن ودعاه إلى الاسلام . فلم يبعد منه وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج . فان كان رجال من قومه ليقولون إما لفراد قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل

(١) كذا في الاصل ، وفي السهيلي : سويد بن الصلت بن حوط .

بعث . وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق بأخصر من هذا .

اسلام اياس بن معاذ

قال ابن اسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد . قال : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله (ص) ، فاتاهم فجلس اليهم فقال : « هل لكم في خير مما جئتم له ؟ قالوا وما ذاك ؟ قال أنا رسول الله الى العباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل على الكتاب . ثم ذكر لهم الاحلام وتلا عليهم القرآن قال فقال : اياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - يا قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال : دعنا منك فلم يرد جثنا لغير هذا . قال فصمت اياس وقام رسول الله (ص) عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج . قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فاخبرني من حضرني من قومه أنهم لم يزالوا يسمعون بهلل الله ويكبره ويمجده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً ، لقد كان استشرع الاسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله (ص) ما سمع ، قلت : كان يوم بعث - وبعث موضع بالمدينة - كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من اشراف الاوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل . وقد روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن اسماعيل عن أبي أمامة عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت : كان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله ، قدم رسول الله (ص) إلى المدينة وقد افترق ملاؤهم ^(١) ، وقتل سرائهم .

باب

بدء اسلام الانصار رضي الله عنهم

قال ابن اسحاق : فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه . وانجاز مواعده له ، خرج رسول الله (ص) في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على قتائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً . فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله (ص) : قال لهم « من أنتم ؟ » قالوا نفر من الخزرج قال « أمن موالي يهود ؟ » قالوا نعم ! قال « أفلا تجلسون أكلهم ؟ » قالوا بلى . فجلسوا معه فدعاهم (١) الملا : اشراف الناس ورؤسائهم ومقدموهم الذين يرجع الي قولهم وجمعه املاء .

إلى الله وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال وكان مما صنع الله بهم في الاسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم . وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوه ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا إن نبيا مبعوث الآن قد أظلم زمانه نتبعه ، تقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول الله (ص) أولئك النفر ودعاهم إلى الله . قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يستبقنكم اليه ، فاجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

قال ابن اسحاق : وهم فيما ذكر لي ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار . قال أبو نعيم : وقد قيل إنه أول من أسلم من الانصار من الخزرج . ومن الاوس أبو الهيثم بن التيهان . وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء والله أعلم . وعوف بن الحارث بن رفاع بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار - وهو ابن عفراء - النجاريان ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن زريق الزرق وقطبة ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد ابن ساردة (١) بن يزيد بن جشم بن الخزرج السلمي ثم من بني سواد ، وعقبة بن عامر بن نابی بن زيد ابن حرام بن كعب بن سلمة السلمي أيضا ، ثم من بني حرام . وجابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان ابن سنان بن عبيد بن عيدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أيضا ، ثم من بني عبيد رضى الله عنهم . وهكذا روى عن الشعبي والزهرى وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة في راه عن الزهرى وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم : معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زرارة ، ورافع بن مالك ، وذكوان - وهو ابن عبد قيس - وعباد بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن ساعدة . فأسلموا وواعدوه الى قابل . فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الاسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله (ص) معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث الينا رجلا يفتقنا . فبعث اليهم مصعب بن عمير فقتل على أسعد بن زرارة وذكر تمام للقصة كما سيوردها ابن اسحاق ثم من سياق موسى بن عقبة والله أعلم .

(١) في الاصل : ساوة بن يزيد وهو خطأ ، وفي ابن هشام : ساردة بن يزيد .

قال ابن اسحاق : فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله (ص)، ودعواهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله (ص)، حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثني عشر رجلا وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارمة المتقدم ذكره، وعوف بن الحارث المتقدم، وأخوه معاذ وما ابنا عفراء، ورافع بن مالك المتقدم أيضا. وذكو ان ابن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقى. قال ابن هشام : وهو انصارى مهاجرى وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمية بن أصرم البلوى، والعباس بن عبادة ابن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني، وعقبة بن عامر بن نأبى المتقدم، وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم، فهؤلاء عشرة من الخزرج، ومن الاوس اثنان هما : عويم بن ساعدة. وأبو الهيثم مالك بن التيهان. قال ابن هشام التيهان يخفف ويثقل كيت وميت.

قال السهيلي : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس. قال وقيل إنه أراشي وقيل بلوى. وهذا لم ينسبه ابن اسحاق ولا ابن هشام. قال : والهيثم فرخ العقاب، وضرب من النبت، والمقصود أن هؤلاء الاثني عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ، وعزموا على الاجتماع برسول الله (ص)، فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي العقبة الاولى. وروى أبو نعيم أن رسول الله (ص) قرأ عليهم من قوله في سورة ابراهيم (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) الى آخرها. وقال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الرحمن ابن عسيلة الصنابحي عن عبادة - وهو ابن الصامت - قال : كنت ممن حضر العقبة الاولى وكنا اثني عشر رجلا. فبايعنا رسول الله (ص)، على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بهتان ففتره بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف. فان وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمرکم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء غفر. وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد ابن أبي حبيب به نحوه.

قال ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله أبي إدريس الخولاني أن عبادة بن الصامت حدثه. قال : بايعنا رسول الله (ص) : ليسلة العقبة الأولى أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بهتان ففتره بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فان

وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتهم من ذلك شيئاً فأخذتهم بحمد في الدنيا فهو كغفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهري به نحوه. وقوله علىبيعة النساء — يعني وفق على ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية — وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة. وليس هذا عجيب فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن كما بيناه في سيرته وفي التفسير، وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحى غير متلو فهو أظهر والله أعلم.

قال ابن اسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله (ص) معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويقبضهم في الدين. وقد روى البيهقي عن ابن اسحاق قال لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله (ص) إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم، وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدم، إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى.

قال البيهقي: وسياق ابن اسحاق أنهم وقال ابن اسحاق: فكان عبد الله بن أبي بكر يتولى: لا أدري ما العقبة الأولى. ثم يقول ابن اسحاق: بلى لعمري قد كانت عقبة وعقبة. قالوا كلهم: فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرئ، قال ابن اسحاق: لحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض رضى الله عنهم أجمعين.

قال ابن اسحاق: وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره فكنيت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الاذان بها صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة. قال فكث حيناً على ذلك لا يسمع لأذان الجمعة إلا صلى عليه واستغفر له. قال فقلت في نفسي والله إن هذا لي لعجز، ألا أسأله؟ فقلت يا أبت مالك إذا سمعت الاذان للجمعة صليت على أبي أمامة؟ فقال أي بني كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم التبيت من حرة بني يياضة في بقيع يقال له بقيع الخضات (١) قال قلت وكم أنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلاً. وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن اسحاق رحمه الله. وقد روى الدارقطني عن ابن عباس أن رسول الله (ص) كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة، وفي اسناده غرابة والله أعلم.

(١) كذا الاصل، وفي ابن هشام: بقيع بالنون. وأورده السهيلي بالياء والنون وذكر فيه روايات مختلفة.

قال ابن اسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الاشهل ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة قد دخل به حائطا من حوائط بني ظفر على أثر يقال له بث مرق فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيدا قومه من بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأسيده لا أبالك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، وانهما أن يأتيا دارنا فانه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما . قال فاخذ أسيد بن حضير حر بته ثم أقبل اليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكله . قال فوقف عليهما متشمتا فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بانفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة . فقال له غلام : أتيتنا في دارنا بهذا الرعيد الغريب الطريد ليتفنه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه قال ابن اسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فان رضيت أمر آقبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال أنصفت ، قال ثم ركز حر بته وجلس اليهما فكلما مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسفله ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن . سعد بن معاذ . ثم أخذ حر بته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في نادبهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا . قال . أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت ؟ قال قلت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا . وقد نهيتهما فقالا ففعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك ، قال فقام سعد بن معاذ مغضبا مبادرا مخوفا للذي ذكر له من بني حارثة وأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغثيت شيئا ، ثم خرج اليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشمتا ثم قال لا سعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، أتغشانا في دارنا بما نكره ؟ قال وقد قال أسعد لمصعب : جاءك الله سعد مني ، وإن يبعك لا يتخلف عنك منهم اثنتان . قال فقال

له مصعب : أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن . وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف . قال ففرنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقة وتساهله ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا تغتسل فتطهر وتطهر نوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال فقام فاغتسل وطهر نوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فاقبل عائداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن الحضير ، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأياً وأميننا نقيبة : قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال فوالله ما أمسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة ، ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوس وهم من الاوس بن حارثة وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الاسلت واسمه صيفي . وقال الزبير بن بكار : اسمه الحارث ، وقيل عبيد الله واسم أبيه الاسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الاوس . وكذا نسبه الكلبي أيضاً . وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الاسلام حتى كان بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الاسلت هذا ذكر له ابن اسحاق أشعاراً بائية حسنة تقرب من أشعار أمية بن الصلت النخعي .

قال ابن اسحاق فيما تقدم : ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحي من الاوس والخزرج ، وذلك لما كان يسمعون من أخبار يهود . فلما وقع أمره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الاسلت أخو بني واقف . قال السهيلي : هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى ابن النجار ، قال وهو الذي أنزل فيه وفي عمر (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) الآية . قال ابن اسحاق : وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهراً . كانت نمته أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي وكان يقيم عندهم السنين بأمراته . قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا فيها عن الحرب ويدكر فضلهم وأحلامهم ويدكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيدهم ويأمرهم بالكف

عن رسول الله (ص) :

أيا راكباً إما عرضت قبلن
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم
وقد كان عندي للهوم ومرس
نبيتكم شرجين ، كل قبيلة
أعيدكم بالله من شر صنيعكم
وإظهار أخلاق ونجوى سقيمة
فذكركم بالله أول وهلة
وقل لهم والله يحكم حكمه
منى تبعوها تبعوها ذميمة
تقطع أرحاماً وتهلك أمة
وتستبدلوا بالأتحمية بعدها
وبالمسك والكفور غيراً سوايناً
فاياكم والحرب لاتعلقنكم
تزيين للأقوام نم يرونها
تحمق لا تشوى ضعيفاً وتنتحي
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس
وكم ذا أصابت من شريف مسو
عظيم رماد النار بمحمد أمره
وماء هريق في الضلال كأنما
يخبركم عنها امرؤ حق عالم
فبيعوا الحراب لمحارب واذكروا
ولي امرئ فاختار ديناً فلا يكن
أقيموا لناديناً حنيفاً فأتتموا
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة

مغللة عني لؤي بن غالب
على النأي محزون بذلك ناصب
ولم اقض منها حاجتي ومآربي
لها أزل من بين مذكر وحاطب (١)
وشر تباعيك ودمس العقارب
كوخز الأثافي وقعها حق صائب
واحلال إحرام الظباء الشواذب
ذروا الحرب تذهب عنكم في المراجب
هي الغول للأقسين أو للأقارب
وتبري السديف من سنام وغارب
شليلاً وأصداء ثياب المحارب
كان قتيبرها عيون الجنادب
وحوضاً وخيم الماء مرة المشارب
بعاقبة إذ بيتت أم صاحب
ذوي العزم منكم بالحتوف الصوائب
فتعتبروا أو كان في حرب حاطب
طويل العاد ضيفه غير خائب
وذو شيمة تخض كريم المضارب
أذاعت به ريح الصبا والجنائب
بأيامها والعلم علم التجارب
حسابكم والله خير محاسب
عليكم رقيب غير رب الثواقب
لنا غاية قد يهتدى بالذوائب
تؤمنوا والاحلام غير عواذب

(١) قال السهيلي : نبيتكم شرجين أي فريقين مختلفين ، و [فيه] نبيتكم [بالهمز] وقال إنه

لفظ مشكل ، وقال فيه زحاف خرم وشرحها شرحاً حسناً .

وَأَنْتُمْ إِذَا مَا حَصَلَ النَّاسُ جَوْهَرُكُمْ سُرَّةُ الْبَطْحَاءِ ثُمَّ الْارَائِبِ
تَصُونُونَ أَنْسَاباً^(١) كِرَاماً عَتِيقَةً مَهْدَبَةُ الْأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَائِبِ
يَرَى طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوَ يَبُوتِكُمْ عَصَائِبَ هَلَكَى تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ سُرَاتِكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ أَهْلِ الْجَبَابِ^(٢)
وَأَفْضَلُهُ رَأْيًا وَأَعْلَاهُ سُنَّةٌ وَأَقُولُهُ لِلْحَقِّ وَسَطُ الْمَوَاقِبِ
قَتُمُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ وَمِصْقٌ غَدَاةُ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكُتَائِبِ
كَتَيْبَتُهُ بِالْهَيْلِ تَمْشِي وَرَجُلُهُ عَلَى الْقَافِظَاتِ فِي رِوَسِ الْمَنَاقِبِ
فَلَمَّا أَنَا كَمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّمِ جُنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ
فَوَلُّوا سِرَاعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يُؤْتِ إِلَى أَهْلِهِ وَلَمْ يُخْبَشْ غَيْرَ عَصَائِبِ
فَإِنْ تَهْلِكُوا تَهْلِكْ وَتَهْلِكْ مَوَاسِمُ يُعَاشُ بِهَا قَوْلُ امْرِئٍ غَيْرِ كَاذِبِ

وحرب داحس الذي ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة ، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد معمر بن المنذر وغيره : أن فرسا يقال له داحس كانت لقيس بن زهير بن جذيمة ابن رواحة الغطفاني ، أجراه مع فرس حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤبة الغطفاني أيضا يقال لها الغبراء ، فجاءت داحس سابقا فامر حذيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حمل بن بدر فلطم مالكا ، ثم إن أبا جنيد العنسي لقي عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكا فقتله ، فشبت الحرب بين بني عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل ابن بدر وجماعات آخرون ، وقالوا في ذلك أشعرا كثيرة يطول بسطها وذكرها .

قال ابن هشام : وأرسل قيس داحسا والغبراء وأرسل حذيفة الخطار والخنفاء ، والاول أصح . قال وأما حرب حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس . كان قتل يهوديا جارا للخزرج ، فخرج اليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن قسح في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الاوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الاوسي ، قتله المجذر بن زياد حليف بني عوف بن الخزرج ، ثم كانت بينهم حروب (١) وفي ابن هشام : تصونون أجسادا كراما عتيقة . (٢) قال السهيلي الجبابب منازل منى ، وقيل حفر بها ندم البدن .

يطول ذكرها أيضا . والمقصود أن أبا قيس بن الاسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مضعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الاسلام ، فأسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار - أى محلة - من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غير دار بني واقف قبيلة أبي قيس ثبطهم عن الاسلام وهو القائل أيضا :

أرب الناس أشياء المّت يلفّ الصعب منها بالذلّ
أرب الناس إمّا أن ضلّنا فيسّرنا لمعرف السبيل
قلّوا ربّنا كنّا يهوداً وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنّا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنّا خلّقنا إذ خلّقنا خفيّاً ديننا عن كل جيل
فسوق الهدى نرّف مدعّات مكشّفة المناكب في الجلول

وحاصل ما يقول أنه جأرفها وقع من الأمر الذي قد سمعه من بعثة رسول الله ﷺ فتوقف الواقفي في ذلك مع علمه ومعرفته . وكان الذي ثبطه عن الاسلام أولا عبد الله بن أبي بن سلول بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر يهود فثبته عن الاسلام .

قال ابن اسحاق : ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج ، وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم . وكذا الواقدي ، قال : كان عزم على الاسلام أول ما دعاه رسول الله ﷺ ، فلامه عبد الله بن أبي خلف لا يسلم إلى حول فمات في ذى القعدة . وقد ذكر غيره فيها حكاية ابن الأثير في كتابه [اسد] الغابة ، أنه لما حضره الموت دعاه النبي ﷺ ، إلى الاسلام فسمع يقول : لا إله إلا الله . وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من الانصار ، فقال « يا خال قل لا إله إلا الله » فقال : أخال أم عم ؟ قال بل خال قال : خير لي أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله ﷺ ، نعم ! تفرد به احمد رحمه الله وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفي أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت منمن بن عاصم ، فسألت رسول الله ﷺ ، في ذلك فانزل الله (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء) الآية .

وقال ابن اسحاق وسعيد بن يحيى الاموي في مغازيه : كان أبو قيس هذا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الاوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهر من الخائض من النساء ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فأنخذ مسجدا لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب . وقال : أعبد إله ابراهيم حين فارق الاوثان وكرها ، حتى قدم رسول الله ﷺ ، فأسلم فحسن اسلامه ، وكان شيخا كبيرا وكان قوالا بالحق مغلما لله في جاهليته يقول في ذلك أشعارا حسنا وهو الذي يقول :

يقول أبو قيس وأصبح عادياً
فأوصيكم بالله والبر والتقى
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم
وإن ناب غرم فادح فارقوهم
وإن أنتم أمةزتم فتعفوا
وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

وقال أبو قيس أيضاً :

سبحوا الله شرق كل صباح
عالم السر والبيان جميعاً
وله الطير تستزيد وتأوي
وله الوحش بالفلاة تراها
وله هودت يهود ودانت
وله شمس النصارى وقاموا
وله الراهب الحبس تراه
يا بني الارحام لا تقطعوا
واتقوا الله في ضعاف اليتامى
واعلموا أن لليتيم ولياً
نم مال اليتيم لا تأكلوه
يا بني التخوم لا تجزئوها
يا بني الأيام لا تأمنوها
واعلموا أن أمرها لنفاد
 واجمعوا أمركم على البر والتقى

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الاسلام ، وما خصهم

به من نزول رسول الله ﷺ عندهم .

نوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً موالياً
وسأني ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة .

قصة يبعة العقبة الثانية

قال ابن اسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الانصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله (ص) العقبة من أواسط أيام التشريق حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبية واعزاز الاسلام وأهله . فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الانصار - حدثه أن أباه كعباً حدثه - وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله (ص) بها - . قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وقفها ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرتنا وخرجنا من المدينة قال البراء : يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ؟ قلنا وما ذاك ؟ قال قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها قال فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا (ص) يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه . فقال : إني لمصل إليها ، قال فقلنا له لكننا لا نفعل . قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة . قال لي يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله (ص) حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا فانه قد وقع في نفسي منه شيء . لما رأيت من خلافكم إياي فيه . قال فخرجنا نسأل عن رسول الله (ص) - وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله (ص) قال هل تعرفانه ؟ قلنا لا ، فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال قلنا نعم ! وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً ، قال فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله (ص) جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله (ص) للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله (ص) الشاعر ؟ قال نعم ! فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا قد هداني الله تعالى للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها وقد خلفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى ؟ قال : « قد كنت على قبلة لو صبرت عليها » قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله (ص) فصلى معنا إلى الشام ، قال وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله (ص) العقبة من أواسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله (ص) فيها ومعنا عبد الله بن عمرو

ابن حرام أبو جابر سديد من ساداتنا أخذناه وكنا نكنتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقتلناه يا أبا جابر إنك سديد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله (س) ، إيانا العقبة قال فاسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا .

وقد روى البخارى حدثني ابراهيم حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال عطاء قال جابر : أما وأبي وخالي من أصحاب العقبة . قال عبد الله بن محمد قال ابن عيينة : أحدهم البراء بن معرور . حدثنا علي بن المديني حدثنا سفيان قال كان عمرو يقول سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بي خلاى العقبة .

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر . قال مكث رسول الله (س) بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم ، عكاظ ومجنة ، وفي المواسم يقول « من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال فيه - فيأتيه قومه وذوو رحمة فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمضى بين رحالهم وهم يشيرون اليه بالاصابع حتى بعثنا الله اليه من يثرب فأويناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون باسلامه حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام ، ثم اثتمروا جميعا فقلنا حتى متى نترك رسول الله (س) يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف ؟ فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا قتلنا يا رسول الله علام نبأيتك ؟ قال « تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة » فقمنا اليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو من أصغرهم - وفي رواية البيهقي - وهو أصغر السبعين - إلا أنا ، فقال رويداً يا أهل يثرب فاما لم نضرب اليه أ كباد الابل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن اخراجه اليوم مناواة للعرب كافة وقتل خياركم وتعضكم السيوف . فاما أنتم قوم تصبرون على ذلك نخذه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فندروه . فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله . قالوا أبط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلها أبداً . قال فقمنا اليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة . وقد رواه الامام احمد أيضا والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن العطار - زاد البيهقي عن الحاكم - بسنده إلى يحيى بن سليم كلاهما

عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي إدريس به نموه . وهذا اسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه . وقال البزار وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه . وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر . قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله - ﷺ . ورسول الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله - ﷺ : « أخذت وأعطي » وقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان - هو الثوري - عن جابر - يعني الجعفي - عن داود - وهو ابن أبي هند - عن الشعبي عن جابر - يعني ابن عبد الله - قال قال رسول الله - ﷺ : للقباء من الانصار : « تؤووني وتمنعوني ؟ » قالوا نعم قالوا فما لنا ؟ قال « الجنة » ثم قال : لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد عن جابر ، ثم قال ابن اسحاق عن معبد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك . قال فتمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله - ﷺ ، تنسلل تنسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وهذا امرأتان من نساءنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، واسماء ابنة عمرو بن عدى بن نافي إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع . وقد صرح ابن اسحاق في رواية يونس بن بكير عنه بأسمائهم وأنسابهم وما ورد في بعض الاحاديث أنهم كانوا سبعين ، والعرب كثيراً ما تحذف الكسر ، وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة : كانوا سبعين رجلاً وامرأة واحدة ، قال منهم أربعون من ذوى أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم قال وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله . قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا في الشعب تنتظر رسول الله - ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج - . قال وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزة من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أتى إلا الانحياز اليكم والالحوق بكم ، فان كنتم ترون أنفسكم وافون له بما دعوتموه اليه وما نعوذ ممن خالفه فانتم وما نحملم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنفسكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عزة ومنعة من قومه وبلده . قال قتلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله نخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، قال فتكلم رسول الله - ﷺ ، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الاسلام . قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم » قال فاخذ البراء بن معرور بيده [و] قال نعم ! فوالذي بعثك بالحق لنمنعنك مما تمنع منه أزدنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله ابناء الخروب ورثناها كابراً عن كابر . قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله - ﷺ .

أبو الهيثم بن التيهان قتال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبلا وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال فتبسم رسول الله (ص) ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم . أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتهم وأسلم من سالمهم » قال كعب وقد قال رسول الله (ص) : « أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم » فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس .

قال ابن اسحاق : وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس [بن عمرو بن امرئ القيس] ^(١) بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي ابن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ابن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لؤذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج . فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الاوس ثلاثة وهم ، أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل بن جشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس ، وسعد بن خيشمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس ، ورافعة بن عبد المنذر بن زهير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعه هذا ، وهو كذلك في رواية يونس عن ابن اسحاق . واختاره السهيلي وابن الاثير في الغابة . ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبي زيد الانصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر هذه الليلة - ليلة العقبة الثانية - حين قال :

أبلغُ أبيتاً أنه قال رأيه وحانَ غداةَ الشعبِ والحينِ واقع
أبي الله ما مَنَّكَ نفسك إنه بمِرصادِ أمرِ الناسِ رأيه وسامع

(١) ما بين المربعين زيادة من ابن هشام . وفي الاصابة : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ

القيس بن عمرو بن امرئ القيس الاغر بن ثعلبة الخ نقلا عن محمود الامام .

وأبلغ أبا سفيان أن قد بدلنا
فلا ترغبين في حشد أمر تريده
ودونك فاعلم أن نقض عهدنا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما
وسعد أباه الساعدي ومنذر
وما ابن ربيع إن تناولت عهده
وأيضاً فلا يعطيك ابن رواحة
وفاء به، والتوقي بن صامت
أبو هنيئ أيضاً وفي بمنلها
وما ابن حضير إن أردت بمطعم
وسعد أخو عمرو بن عوف فانه
أولئك نجوم لا يغبك منهم
بأحد نور من هدى الله ساطع
والب جمع كل ما أنت جامع
أباه عليك الرهط حين تبايعوا
وأسعد أباه عليك ورافع
لأنفك إن حاولت ذلك جادع
بمسلي لا يطمعن ثم طامع
وإخفاره من دونه السم نافع
بمندوحة غا تحاول يافع
وفاء بما أعطى من العهد خانع
فهل أنت عن أحوقه النفي نازع
ضروح لما حاولت ملامر مانع
عليك بنحس في دجى الليل طالع

قال ابن هشام : قد كرفيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذ كر رفاة .

قلت : وذ كر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة . وروى يعقوب بن سفيان
عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك . قال : كان الانصار ليلة العقبة سبعون رجلا ،
وكان نقباؤهم اثني عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس . وحدثني شيخ من الانصار أن
جبرائيل كان يشير الى رسول الله (ص) إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة وكان أسيد بن حضير أحد
النقباء تلك الليلة . رواه البيهقي . وقال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله
(ص) قال للنقباء : « أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل
على قومي » قالوا نعم ! وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله (ص) قال
العباس بن عباد بن نضلة الانصاري أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج هل تدرون علام
ببايعون هذا الرجل ؟ قالوا نعم ! قال إنكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس ، فان كنتم
ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي
الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتهم اليه على نهكة الاموال وقتل الأشراف
فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فاما نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الأشراف فما
لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال « الجنة » قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه . قال عاصم
ابن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عباد ذلك ليشد العقيد في أعناقهم وزعم عبد الله بن أبي

بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سيد الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم ، ف الله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن اسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زاررة كان أول من ضرب على يده . وبنو عبد الاشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن اسحاق : وحدثني معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسول الله (س) البراء بن معرور ، ثم بايع القوم . وقال ابن الاثير فى [اسد] الغابة : وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلئذ كعب بن مالك . وقد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه عن كعب بن مالك فى حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدت مع رسول الله (س) ليلة العقبة حين تواتق.

على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدرأ كثير فى الناس منها . وقال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال : انطلق رسول الله (س) مع العباس عمه إلى السبعين من الانصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : « ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فان عليكم من المشركين عينا ، وإن تعلموا بكم يفضحوكم » فقال قائلهم - وهو أبو أمامة - سل يا محمد لربك ما شئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت . ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك . قال : « أسألكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسألكم لنفسى وأصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم » قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال « لكم الجنة »

قالوا فلك ذلك . ثم رواه حنبل عن الامام احمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبي عن أبي مسعود الانصارى فذكره قال : وكان أبو مسعود أصغرهم . وقال احمد عن يحيى عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : فاصمع الشيب والشبان خطبة مثلها . وقال البيهقي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش أخبرنا محمد بن ابراهيم بن الفضل الفحام أخبرنا محمد بن يحيى الذهلى أخبرنا عمرو بن عثمان الرقى حدثنا زهير ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن اسماعيل بن عبيد الله بن رفاعه عن أبيه قال : قدمت روابا خرا ، فاماها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله (س)

على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنقطة فى السر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن نقول فى الله لا تأخذنا فيه لومة لائم ، وعلى أن تنصر رسول الله (س) . إذا قدم علينا يثرب مما تمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة . فهذه بيعة رسول الله (س) التى بايعنا عليها ، وهذا اسناد جيد قوى ولم يخرجوه . وقد روى يونس عن ابن اسحاق حدثني عبادة بن

الوليد بن عباد بن الصامت عن أبيه عن جده عباد بن الصامت . قال : يا لعنا رسول الله ﷺ ،
بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ، مفسطنا ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن لا تنازع
الامر أهله ، وأن تقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم .

قال ابن اسحاق في حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك . قال :
فلما يا لعنا رسول الله ﷺ ، صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت سمعته قط ؟ يا أهل الجباب
- والجباب المنازل - هل لكم في مذم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم . قال فقال رسول الله
ﷺ : « هذا أرب العقبة ، هذا ابن أرب » . قال ابن هشام : ويقال ابن أرب . « أسمع
أى عدو الله ؟ أما والله لا تفرغن لك . ثم قال رسول الله ﷺ : « ارفضوا الى رحالكم » قال فقال
العباس بن عباد بن نضلة : يا رسول الله والذي لعنك بالحق إن شئت لنمليان على أهل منى غدا بأسيا فانا
قال فقال رسول الله ﷺ : « لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم » . قال فرجعنا إلى
مضاجعنا فقمنا فيها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قر يش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا :
يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه
على حربنا . وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم
قال فانبعث من هناك من مشركى قومهنا يحلفون ما كان من هذا شئ وما علمناه ، قال وصدقوا لم
يعلموا ، قال وبعضنا ينظر إلى بعض . قال ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي
وعليه نعلان له جديدان ، قل قللت له كلمة - كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا - يا أبا جابر
أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قر يش ؟ قال فسمعها الحارث
فخلمها من رجليه ثم رمى بهما إلى . قال والله لتفتعلنهما ، قال يقول أبو جابر به أحفظت والله الفتى
فاردد اليه نعليه . قال قلت والله لا أردهما ، قال والله صالح ، لئن صدق الغال لاسلبنه .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا مثل
ما ذكر كعب من القول فقال لهم إن هذا الامر جسيم ما كان قومي ليتفرقوا ^(١) على مثل هذا وما علمته
كان . قال فانصرفوا عنه . قال ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبير فوجدوه قد كان ، فخرجوا في
طلب القوم فادركوا سعد بن عباد باذاخر والمندر بن عمرو وأخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج
وكلاهما كان نقيبا . فأما المندر فاعجز القوم ، وأما سعد بن عباد فاخذوه فربضوا يديه إلى عنقه بنسع
رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته - وكان ذا شعر كثير - . قال سعد :

(١) كذا في الاصلين . وفي ابن هشام ليتفوتوا على . وقوله فتنطس . قال السهيلي : التنطس

تدقيق النظر .

فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضئ أبيض شعشاع حلو من الرجال ، قتلت في نفسي إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا . فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة قتلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي رجل ممن معهم . قال : ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال قلت بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي . وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس : فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما ، قال : ففعلت وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن ليضرب بالابطح ليهتف بكما ، قالا ومن هو ؟ قال سعد بن عباد . قالا : صدق والله إن كان لجبير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده ، قال فجاء نخلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو . قال ابن هشام : وكان الذي أوى له أبو البختري بن هشام . وروى البيهقي بسنده عن عيسى بن أبي عيسى بن جبير قال سمعت قريشاً قائلين يقول في الليل على أبي قبيس :

فَإِنْ يُسَلِّمِ السَّعْدَانِ يَصْبِحُ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان ؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم ؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلين يقول :

أَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْاَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزْرَجِيِّنِ انْظَارِفِ
أُجْبِيَا إِلَى دَاعِي الْهَدْيِ وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مَنِيَّةً عَارِفِ
فَإِنَّ نَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهَدْيِ جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتُ رِفَافِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

فَضْرِبَةُ الْبَرْقِ

قال ابن اسحاق : فلما رجع الانصار الذين بايعوا رسول الله (ص) ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الاسلام بها . وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم عمرو بن الجوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجوح من سادات بني سلمة وأشرفهم ، وكان قد اتخذ صنما من خشب في داره يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون بتخذة إلهاء يعظمه ويظهره ، فلما أسلم فتيان بني سلمة ، ابنه معاذ . ومعاذ بن جبل كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عنبر الناس منكساً على رأسه ، فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عدا على إلهنا هذه

الليلة ؟ ثم يندو يلتصقه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطره ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه . فإذا أمسى ونام عمرو وعمدوا عليه ففعلوا مثل ذلك ، فيغدوا فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطيبه ويطهره ، ثم يمدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطره وطيبه . ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، هذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو وعمدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً قرونه به بحبل ثم القوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجوح فلم يجد في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكله من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وشط بئر في قرن
أفر للملك إلهاً مستدين الآن فقتلناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرتين

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية

ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان

فن الاوس أحد عشر رجلاً؛ أسيد بن حضير أحد النقباء ، وأبو الهيثم بن التيهان بدرى أيضاً ، وسلمة بن سلامة بن وقش بدرى ، وظهير بن رافع ، وأبو بردة بن دينار بدرى ، ونهير بن الهيثم بن نابت بن مجدعة بن حارثة ، وسعد بن خيشمة أحد النقباء بدرى وقتل بها شهيداً ، ورفاعة ابن عبد المنذر بن زهير قتيب بدرى ، وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بدرى ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة ، ومعن بن عدي بن الجسد بن عجلان بن الحارث بن ضبيعة البلوى حليف للاوس شهد بدرًا وما بعدها وقتل بالهامة شهيداً ، وعويم بن ساعدة شهد بدرًا وما بعدها . ومن الخزرج اثنان وستون رجلاً؛ أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدرًا وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً ، ومعاذ بن الحارث وأخوه عوف ومعوذ وهم بنو عفراء بدريون ، وعمارة بن حزم شهد بدرًا وما بعدها وقتل بالهامة ، وأسعد بن زرارة أبو أمامة أحد النقباء مات قبل بدر ، وسهل بن عتيك بدرى ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدرى ، وأبو طلحة زيد بن سهل بدرى ، وقيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميراً على

الساقية يوم بدر، وعمرو بن غزية، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدرًا وقتل يوم أحد، وخارجة ابن زيد شهد بدرًا وقتل يوم أحد، وعبد الله بن رواحة أحد النقباء شهد بدرًا وأحد والخندق، وقتل يوم مؤتة أميرا، وبشير بن سعد بدرى، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذى أرى النداء وهو بدرى، وخلاد بن سويد بدرى إحدى خندق وقتل يوم بئر قريظة شهيداً طرحت عليه رجلي فشدخته فيقال إن رسول الله (ص) قال: «إن له لأجر شهيدين» وأبو مسعود عقبة بن عمرو البدرى قال ابن اسحاق: وهو أحدث من شهد العقبة سناً ولم يشهد بدرًا، وزباد بن لبيد بدرى، وفروة بن عمرو بن ودقة، وخالد بن قيس بن مالك بدرى، ورافع بن مالك أحد النقباء، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، وهو الذى يقال له مهاجرى أنصارى لانه أقام عند رسول الله (ص) بمكة حتى هاجر منها وهو بدرى قتل يوم أحد، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد ابن عامر بن زريق بدرى، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدرى أيضا، والبراء بن معرور أحد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سلمة وقد مات قبل مقدم النبي (ص) المدينة وأوصى له بثلاث ماله فردّه رسول الله (ص) على ورثته، وابنه بشر بن البراء وقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومات بغير شهيداً من أكله مع رسول الله (ص) من تلك الشاة المسمومة رضى الله عنه، وسنان بن صفى بن صخر بدرى، والطفيل بن النعمان بن خنساء بدرى، وقتل يوم الخندق، ومقل بن المنذر بن سرح بدرى، وأخوه يزيد بن المنذر بدرى، ومسعود بن زيد بن سبيع، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدرى، ويزيد بن خدام بن سبيع، وجبار بن طاهر [بن أمية] بن خنساء بن سنان بن عبيد بدرى، والطفيل بن مالك بن خنساء بدرى، وكعب بن مالك، وسليم بن عامر بن حديفة بدرى وقطبة بن عامر بن حديفة بدرى، وأخوه أبو المنذر يزيد بدرى أيضا، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدرى، وصيفى بن سواد بن عباد، وثعلبة بن غنمة بن عدى بن نابت بدرى واستشهد بالخندق، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدى، وعيس بن عامر بن عدى بدرى، وخالد بن عمرو بن عدى بن نابت، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاة، وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدرى واستشهد يوم أحد، وابنه جابر بن عبد الله، ومعاذ بن عمرو بن الجوح بدرى ونابت بن الجندع بدرى وقتل شهيداً بالطائف، وعمر بن الحارث بن ثعلبة بدرى، وخديج بن سلامة حليف لهم من بلى، ومعاذ بن جبل شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعون عمواس فى خلافة عمر بن الخطاب، وعبادة ابن الصامت أحد النقباء شهد بدرًا وما بعدها، والعباس بن عبادة بن نضلة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها فكان يقال له مهاجرى أنصارى أيضا وقتل يوم أحد شهيداً، وأبو عبيد الرحمن يزيد ابن ثعلبة بن خزنة بن أصرم حليف لهم من بلى، وعمرو بن الحارث بن كندة، ورفاعة بن عمرو بن

زيد بدرى ، وعقبة بن وهب بن كلدة حليف لم بدرى وكان ممن خرج إلى مكة فاقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وسعد بن عباد بن دليم أحد الثقباء ، والمنذر بن عمرو نقيب بدرى احدى وقتل يوم بئر معونة أميراً وهو الذى يقال له أعتق لموت ، وأما المراتان فام عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية . قال ابن اسحاق : وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها خبيب وعبد الله ، وابنها خبيب هذا هو الذى قتله مسيلة الكذاب حين جعل يقول له أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول لا أسمع فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يديه لا يزيد على ذلك ، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلة ورجعت وبها اثني عشر جرحاً من بين طعنة وضربة رضى الله عنها ، والآخرى أم منيع أمماء ابنة عمرو بن عدى بن قابى بن عمرو بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة رضى الله عنها .

باب

الهجرة من مكة الى المدينة

قال الزهرى عن عروة عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين : « قد أريت دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين . رواه البخارى . وقال أبو موسى عن النبى ﷺ : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر ، فاذا همى المدينة يثرب » وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع آخر بطوله . ورواه مسلم كلاهما عن أبى كريب زاد مسلم وعبد الله بن مراد كلاهما عن أبى أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بزرة عن جده أبى بزرة عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشمرى عن النبى ﷺ . الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرو حدثنا إبراهيم بن هلال حدثنا على بن الحسن بن شقيق حدثنا عيسى بن عبيد السكندى عن غيلان بن عبد الله العامرى عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير أن النبى ﷺ . قال : « إن الله أوحى إلى أى هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فى دار هجرتك ، المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة إليها .

هذا حديث غريب جداً وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامعه منفرداً به عن أبى عمار الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامرى عن أبى زرعة بن عمر بن جرير عن جرير بن جابر قال قال رسول الله (س) : « إن الله أوحى إلى أى هؤلاء الثلاثة نزلت فى دار هجرتك ، المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات إلا أنه قال : روى عن أبى زرعة حديثاً منكراً فى الهجرة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : لما أذن الله تعالى فى الحرب بقله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الآية . فلما أذن الله فى الحرب وتابعه هذا الحى من الانصار على الاسلام والنصرة له ، ولبن اتبعه وأوى اليهم من المسلمين . أمر رسول الله (س) أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها والحق باخوانهم من الانصار وقال : « إن الله قد جعل لكم اخواناً وداراً تأمنون بها » فخرجوا إليها أرسلوا وأقام رسول الله (س) بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله (س) من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم ، أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم اخواناً فعزم إليها .

قال ابن اسحاق : فحدثني أبى عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة عن جدته أم سلمة قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وجعل معي ابني سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقودني بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا اليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرايت صاحبتنا هذه علام فتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت فترعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه ، قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبى سلمة وقالوا والله لا نترك ابناً عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، قالت ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي . قالت فكنت أخرج كل غداة فاجلس فى الابطح فما أزال أبكى حتى أمسى - سنة أو قريباً منها - حتى مر بي رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة فرأى ما بي فرحنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكنة ؟ فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت فقالوا لى الحق

بزوجك إن شئت . قالت فرد بنو عبد الاسد إلى عند ذلك ابني ، قالت فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني فوضعتة في حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، قالت وما معى أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بنى عبد الدارق قال الى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت أريد زوجى بالمدينة ، قال أو ما معك أحد ؟ قلت ما معى أحد إلا الله وبنى هذا ، فقال والله مالك من مترك فآخذ بخطام البعير فانطلق معى يهوى بى فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فخط عنه ثم قيده فى الشجر ثم تنحى الى شجرة فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عني وقال اركبى فاذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فآخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة فلما نظر إلى قرية بنى عمرو ابن عوف بقاء قال : زوجك فى هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخلها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، فكانت تقول : ما أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، أسلم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدى هذا بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً ، وقتل يوم أحد أبوه وأخوته ، والحارث وكلاب ومنافع ، وعمه عثمان بن أبى طلحة . ودفع اليه رسول الله (ص) يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة والد بنى شيبة مفاتيح الكعبة أقرها عليهم فى الاسلام كما كانت فى الجاهلية ، ونزل فى ذلك قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) الآية .

قال ابن اسحاق . ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة حليف بنى عدى ، معه امرأته ليلى بنت أبى حشمة العدوية ثم عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بنى أمية بن عبد شمس احتمل بأهله وبأخيه عبد أبى احمد ، اسمه عبد كما ذكره ابن اسحاق وقيل ثمامة . قال السهيلي : والاول أصح . وكان أبو احمد رجلاً ضرب البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أمه أمية بنت عبد المطلب بن هاشم . فنزلت دار بنى جحش هجرة ، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة فحقق أبوابها يبابا ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال :

وكل دار وإن طالَّت سلامتها يوماً ستدرُّكها النكبات والحوبُ

قال ابن هشام : وهذا البيت لابی دوداد الايادى فى قصيدة له . قال السهيلي : واسم أبى دوداد

حنظلة بن شريك وقيل حارثة . ثم قال عنبه : أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها . قال أبو جهل : وما تبكي عليه من فل بن فل ^(١) ثم قال - يعني للعباس - هذا من عمل ابن أخيك ، هذا فرق جماعتنا ، وشقت أمرنا ، وقطع بيننا .

قال ابن اسحاق : قتل أبو سلمة وعمر بن ربيعة وبنو جحش بقاء على مبشر بن عبد المنذر ثم قسم المهاجرون أرسالا قال وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة رجالهم ونسائهم وهم عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو احمد ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع ، وعقبة ابن اوهب ، وأربد بن حميرة ^(٢) ومنقذ بن نباتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن فضلة ، وزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمر بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وقف بن عمرو وربيعة بن أكرم . والزبير بن عبيدة ، وتلم بن عبيدة ، وسخبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت جحش ، وحمنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخبرة بنت نعيم . قال أبو احمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة :

ولما رأني أمُّ أحمد غادياً بدت من أخشى بغيب وأرهَب
تقول لما كنت لا بد فاعلاً فيتم بنا البلدان ولنأ يثرب
قلت لها ما يثرب بمظننم ^(٣) وما يشأ الرحمن فالعبد يركب
إلى الله وجهي والرسول ومن يُقيم إلى الله يوماً وجهه لا يُجيب
فكم قد تركنا من حبيب مناصح وما صحف تبكي بدمع وتندب
نرى أن نرأ قائماً عن بلادنا ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بني غنم لحقن دملهم وللحق لما لاح للناس ملجب
أجابوا بحمد الله لما دعاهم إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا
وكنا وأصحاباً لنا طارقوا الهدى أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين إما بينهما فوق على الحق مهدي وفوج معذب
طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم عن الحق ابليس نخابوا وخبيروا
ورعنا إلى قول النبي محمد فطلب ولاية الحق منا وطيبوا

(١) قال ابن هشام : القل الواحد . واستشهد بييت لبديع ربيعة :

كل بني حرة مصيرم قل وإن أكثر من العدد

(٢) قال ابن هشام : ويقال ابن حميرة . (٣) في ابن هشام : قلت لها بل يثرب اليوم وجهنا .

نَمَتْ بِأَرْحَامِ الْيَهُمِ قَرِيبَةٍ وَلَا قُرْبَ بِالْأَرْحَامِ إِذَا لَا تَقْرُبُ
فَأَيُّ ابْنِ أَخْتٍ بَعْدَنَا يَا مَتَنَكُمُ وَأَيَّةُ صَهْرٍ بَعْدَ صَهْرِي يَرْقُبُ
سَتَعْلَمُ يَوْمًا أَتَيْنَا إِذَا تَزَايَلُوا وَزَيَّلَ أَمْرُ النَّاسِ لِلْحَقِّ أَصُوبُ

قال ابن اسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة . فحدثني
نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه . قال : اتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي
ربيعة وهشام بن العاص ، التناضب من إضاعة بني غفار فوق سرف ، وقلنا أينما لم يصبح عندها فقد
حبس فليعض صاحباه ، قال فاصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وقتن فافتتن ، فلما
قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى
عياش - وكان ابن عمهما وأخاها لأمهما - حتى قدما المدينة ورسول الله (س) بمكة ، فكلماه وقالوا
له إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرق
لها فقلت له إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل
لا متشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . قال فقال : أبر قسم أمي ولي هنالك مال فأخذه
قال قلت والله إنك لتعلم أني لمن أكنز قريش مالا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما . قال فابي
على إلا أن يخرج معهما ، فلما أبي إلا ذلك قلت أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فانها ناقة
نجيبة ذلول فالزم ظهرها ، فان رابك من أمر القوم ريب فانج عليها . فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا
ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه
قال بلى . فاناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استولوا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطا ، ثم دخلا به
مكة وقتناه فافتتن . قال عمر : فكنا نقول لا يقبل الله ممن افتنن توبة . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم
حتى قدم رسول الله (س) المدينة وأنزل الله (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ، وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن
يأتكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتكم العذاب
بغفلة وأنتم لا تسمعون) قال عمر : وكتبتها وبثت بها إلى هشام بن العاص . قال هشام : فلما أتنى
جعلت أقرأها بندي طوى أصعد بها وأصوب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها ، فألقى الله في قلبي
أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ، ويقال فينا ، قال فرجعت إلى بعيري فجلست عليه
فلحقت برسول الله (س) بالمدينة . وذكر ابن هشام أن الذي قدم بهشام بن العاص ، وعياش
ابن أبي ربيعة إلى المدينة ، الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بها يحملهما على بعيره وهو ماش
معهما ، ففتر قدميت أصبعه فقال :

هل أنت إلا أصبغ دُميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبه أنبأنا أبو اسحاق مع البراء . قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، ثم قدم علينا عمار و بلال . وحدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت البراء بن عازب . قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس ، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نفرًا من أصحاب النبي (س) . ثم قدم النبي (س) . فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله (س) . حتى جعل الاماء يقلن : قدم رسول الله (س) . فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور من المفصل . ورواه مسلم في صحيحه من حديث اسراييل عن أبي اسحاق عن البراء ابن عازب بنحوه وفيه التصريح بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله (س) . المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهري أنه إنما هاجر بعد رسول الله (س) . والصواب ما تقدم .

قال ابن اسحاق : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد ابن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقه بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي زوج ابنته حفصة وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبد الله التميمي حليف لم وخولى بن أبي خولى ومالك بن أبي خولى حليفان لم من بنى عجل وبنو البكير إياس وخالد وعافل وعامر وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث ، فترلوا على رفاعه بن عبد المنذر بن زهير بن بنى عمرو بن عوف بقاء .

قال ابن اسحاق : ثم تتابع المهاجرون رضى الله عنهم فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب بن إسماعيل بن بلحارث بن الخزرج بالسنح . ويقال بل نزل طلحة على أسعد ابن زرارة .

قال ابن هشام : وذكر لي عن أبي عثمان النهدي أنه قال بلغني أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيراً فكفر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرايتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا نعم ! قال فاني قد جعلت لكم مالى . فبلغ ذلك رسول الله (س) . فقال : « ربح صهيب ، ربح صهيب » وقد قال البيهقي : حدثنا الحافظ أبو عبد الله - إمامه - أخبرنا أبو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أخبرنا عبدان الازهري حدثنا زيد بن الجريش حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا حصين بن حذيفة بن صفي بن صهيب حدثني أبي وعمومتى عن سعيد بن المسيب عن صهيب . قال قال رسول الله (س) : « أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرائى حرقين ، فاما أن تكون هجر أو تكون يثرب » قال وخرج رسول الله (س) . إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت

قد هممت معه بالخروج فصعدني فتيان من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا قد شغلنا الله عنكم ببطنه - ولم أكن شاكيا - فناموا . فخرجت ولحقني منهم فأس بعد ما سرت يريدوا ليردوني فقلت لهم إن أعطيتكم أواق من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي ففعلوا فتبعنهم إلى مكة فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان بها أواق ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين . وخرجت حتى قدمت على رسول الله (ص) ، بقباء قبل أن يتحول منها ، فلما رأيته قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » فقلت يا رسول الله ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام .

قال ابن اسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كنان بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفاه حمزة ، وأنسة وأبو كبشة مولا رسول الله (ص) ، على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وقيل على سعد بن خيشمة ، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة والله أعلم . قال ونزل عبيدة بن الحارث وأخوه الطفيل وحصين ومسطح بن أنانة وسويط بن سعد ابن حريمة أخو بنى عبد الدار وطليب بن عمير أخو بنى عبد بن قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخى بلعجلان بقباء ^(١) ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبي رم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار بنى جحجي ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولا على سلمة . قال ابن اسحاق وقال الاموى على خبيب بن اساف أخى بنى حارثة ، ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش في بنى عبد الاشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت في دار بنى النجار . قال ابن اسحاق : ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيشمة وذلك أنه كان عزبا والله أعلم أى ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثني احمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه . قال : قدمنا مكة فقتلنا العصبة ، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة . فكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة لانه كان أكثرهم قرآنا .

فَضْرُوءُ

في سبب هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة

قال الله تعالى (وقل ربى أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك

(١) كذا بالأصلين ، وفى ابن هشام : على عبد الله أخى بلحارث بن الخزرج فى دار بلحارث بن الخزرج

سلطاناً نصيراً) أرشده الله وألمه أن يدعو بهذا الدعاء [و] أن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً
ومخرجاً عاجلاً ، فاذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الانصار والاحباب ، فصارت له
داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال احمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان ^(١) عن أبيه عن
ابن عباس : كان رسول الله (س) بمكة ، فأمر بالهجرة وأنزل عليه (وقل رب أدخلني مدخل صدق
وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) وقال قتادة (أدخلني مدخل صدق)
المدينة (وأخرجني مخرج صدق) الهجرة من مكة (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) كتاب
الله وفرائضه وحدوده .

قال ابن اسحاق : وأظم رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة
ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أوقتن ، إلا على بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله
عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله (س) في الهجرة فيقول له « لا تعجل لعل الله يجعل
لك صاحباً » فيقطع أبو بكر أن يكونه . فلما رأت قريش أن رسول الله (س) قد صار له شيعة
وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً
وأصابوا منهم منعة ، فخذروا خروج رسول الله (س) اليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له
في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها يتشاورون فيها
يصنعون في أمر رسول الله (س) حين خافوه . قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن
عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر عن عبدالله بن عباس . وغيره ممن لا أتهم عن عبدالله بن
عباس . قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله
(س) ، غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم ابليس لعنه الله
في صورة شيخ جليل عليه بقة ^(٢) فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ ؟
قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه
رأياً ونصيحا . قالوا أجل فادخل ، فدخل معهم وقد اجتمع فيها اشراف قريش عتبة وشيبة وأبو سفيان
وطبيعة بن عدى وجبير بن مطعم بن عدى والحرث بن عامر بن نوفل والنضر بن الحارث وأبو
البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأبو جهل بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج
(١) كذا في المصرية وفي الحلبية : جبر عن قابوس بن أبي طهمان .

(٢) كذا في سيرة ابن هشام ، وفي ح : غييه (ولعلها عليه) تب له ، وفي المصرية : عليه تب

له وكل ذلك تصحيف .

وأمية بن خلف ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يعد من قریش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأيا ، قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم - قيل إنه أبو البختری بن هشام - احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنايفة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم : فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاتروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى . فتشاوروا ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يظأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أدبروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقتم عليه بعد . قالوا وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتي شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتي منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا . فرضوا منا بالعقل فمقلناه لهم ، قال يقول الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له . فأتى جبرائيل رسول الله . فقال له : لا تبث هذه الليلة على فراشك الذي كنت نبيت عليه . قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله . مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : « ثم على فراشي وتسج ببردى هذا الحضرمي الاخضر ، قم فيه فانك لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم » وكان رسول الله . ينام في برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التي ذكرها ابن اسحاق قد رواها الواقدي بأسانيد عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم .

قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي . قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال - وهم على بابه - إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الاردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح

ثم بعثهم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها . قال فخرج رسول الله (ص) ، فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك أنت أحدكم » وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونها فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات (يُس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ على صراط مستقيم) الى قوله (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه تراباً . ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا محمداً ، فقال خبيكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً الا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ! أفما ترون ما بكم ؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً بهرد رسول الله (ص) ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد فأثما عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا .

قال ابن اسحاق : فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى [وإذ يأمركم بالذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين] وقوله (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تر بصوا فاني معكم من المتر بصين) قال ابن اسحاق فاذن الله لنبيه (ص) عند ذلك بالهجرة .

باب

هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة من مكة الى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وذلك أول التاريخ الاسلامي كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العمريّة كما بيناه في سيرة عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين . قال البخاري حدثنا مطر بن الفضل ثنا روح ثنا هشام ثنا عكرمة عن ابن عباس . قال : بعث سبي (ص) لأربعين سنة ، فكث فيها ثلاث عشرة يوحى اليه ، ثم مر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقد كانت هجرته عليه السلام شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك في يوم الاثنين كما رواه الامام أحمد عن ابن عباس أنه قال : ولد نبيكم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ونبي يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين .

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله (ص) في الهجرة فقال له : لا تعجل بل الله أن يجعل لك صاحباً ، قد طمع بأن يكون رسول الله (ص) إنما يعني نفسه ، فابتاع راحلتين بهسهما في داره يعلمهما اعداداً لذلك . قال الواقدي : اشتراهما بثمانمائة درهم .

قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :
كان لا يخطي رسول الله (ص) أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة ، وإما عشية
حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله (ص) في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه
أنا رسول الله (ص) ، بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها ، قالت فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول
الله (ص) في هذه الساعة إلا لأمر حدث ! قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول
الله (ص) ، وليس عند رسول الله (ص) (١) أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله
(ص) : « أخرج عني من عندك » قال : يا رسول الله إنما هما ابنتاي ، وما ذاك فذاك أبي وأمي ؟
قال : « إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة » قالت فقال أبو بكر : الصعبة يا رسول الله ؟ قال :
« الصعبة » قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر
يومئذ يبكي . ثم قال : يا نبي الله إن هاتين راحلتين كنت أعدتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن
أرقم قال ابن هشام : ويقال عبد الله بن أريقط . رجلا من بني الدئل بن بكر ، وكانت أمه من
بني سهم بن عمرو ، وكان مشركاً يدلهما على الطريق ودفعهما إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاها لميعادهما
قال ابن اسحاق : ولم يعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله (ص) ، أحد حين خرج إلا علي بن أبي
طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر ، أما علي فان رسول الله (ص) أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن
رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله (ص) وليس بمكة أحد عنده شيء
يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته . قال ابن اسحاق : فلما أجمع رسول الله (ص)
[الخروج] أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته . وقد روى أبو نعيم
من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق . قال : بلغني أن رسول الله (ص) لما خرج من مكة
مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال : « الحمد لله الذي خلقني ولم أكن شيئاً ، اللهم أعني على هول الدنيا ،
وبوائق الدهر ، ومصائب الليالي والأيام . اللهم اصحبني في سفري . واخلفني في أهلي ، وبارك لي فيما
رزقتني ولك فذللتني . وعلى صالح خلقي قهومني ، واليك رب خيبتني ، وإلى الناس فلا تكلفني ، رب
المستضعفين وأنت ربّي أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض ، وكشفت به
الظلمات : وصلح عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تحمل علي غضبك ، وتنزل بي سخطك ، أعوذ
بك من زوال نعمتك ، ونجاة نعمتك ، وتحول عافيتك وجميع سخطك . لك العقبى عندي خير ما
استطعت ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

(١) كذا بالأصلين ، والذي في ابن هشام وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي ، وهذا ما يقتضيه
سياق الكلام .

قال ابن اسحاق : ثم عمدا إلى غار بثور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر . وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريهما عليهما إذا أمسى في الغار . فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قریش نهاره معهم يسمع ما يأتهمون به ، وما يقولون في شأن رسول الله (ص) ، وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا . فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعني عليه . وسيأتي في سياق البخاري ما يشهد لهذا وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله (ص) سبق الصديق في الذهاب إلى غار ثور ، وأمر عليا أن يدلّه على مسيره ليلحقه ، فلحقه في أثناء الطريق . وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً .

قال ابن اسحاق : وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتتهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما ، قالت أسماء : ولما خرج رسول الله (ص) وأبو بكر أناما نفر من قریش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم فقالوا أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت قلت لا أدري والله أين أبي . قالت فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمة طرح منها قرطى ثم انصرفوا . قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسول الله (ص) وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم - أو ستة آلاف درهم - فانطلق بها معه ، قالت فدخل علينا جدى أبو قحافة - وقد ذهب بصره - فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؟ قالت قلت كلا يا أبة إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، قالت وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت يا أبة ضع يدك على هذا المال . قالت فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن اسكن الشيخ بذلك .

وقال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبى الحسن البصرى . قال : انتهى رسول الله (ص) وأبو بكر إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر قبل رسول الله (ص) فلمس الغار لينظر أفيه سبع أوحية ، بقى رسول الله (ص) بنفسه . وهذا فيه انقطاع من طرفيه . وقد قال أبو القاسم البغوى حدثنا داود بن عمرو الضبي ثنا نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبى مليكة : أن النبي (ص) لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور ، فجعل أبو بكر يكون أمام النبي (ص) مرة ، وخلفه مرة . فسأله النبي (ص) عن

ذلك فقال : إذا كنت خلفك خشيت أن تؤذي من أمامك ، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤذي من خلفك . حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر : كما أنت حتى أدخل يدي فاحسه وأقصه فان كانت فيه دابة أصابتنى قبلك . قال نافع : فبلغني أنه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذي رسول الله (ص) ، وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصديق رضي الله عنه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق أنا موسى بن الحسن ثنا عباد ثنا عفان بن مسلم ثنا السري بن يحيى ثنا محمد بن سيرين . قال : ذكر رجال على عهد عمر فكانهم فضلو عمر على أبي بكر . فبلغ ذلك عمر فقال : والله ليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر . لقد خرج رسول الله (ص) ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن رسول الله (ص) . فقال : « يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي ؟ » فقال : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك . فقال : « يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني ؟ » قال نعم والذي بعثك بالحق . فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله ، فنزل . ثم قال عمر : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر . وقد رواه البيهقي من وجه آخر عن عمر وفيه : أن أبا بكر جعل يمشي بين يدي رسول الله (ص) نارة ، وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حفيت رجلاً رسول الله (ص) حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما دخل الغار سدّد تلك الأجرة كلها ، وبقي منها جحر واحد ، فألقمه كعبه فجعلت الأفاعي تنهشه ودموعه تسيل . فقال له رسول الله (ص) : « لا تحزن إن الله معنا » وفي هذا السياق غرابة ونكارة . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو . قالوا : ثنا أبو العباس الأصم ثنا عباس الدوري ثنا أسود بن عامر شاذان ثنا إسرائيل عن الأسود عن جندب بن عبد الله . قال : كان أبو بكر مع رسول الله (ص) في الغار ، فأصاب يده جحر فقال : **إِنْ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَحَ دُمَيْتٌ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتُ**

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوفاق ، يريدون النبي (ص) . وقال بعضهم بل اقتلوه . وقال بعضهم بل أخرجه . فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فبات على فراش

النبي (ص) تلك الليلة ، وخرج النبي (ص) حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً بحسبونه النبي (ص) . فلما أصبحوا ناروا عليه ، فلما رأوا علياً رد الله عليهم مكرهم . فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ فقال : لا أدري . فاقفوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل فرأوا بالغار ، فرأوا على بابهِ نسج العنكبوت ، فقالوا لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابهِ ، فكش فيه ثلاث ليال . وهذا اسناد حسن وهو من أجود ما روى في قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله (ص) .

[وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر حدثنا بشار الخفاف ثنا جعفر وسليمان ^(١) ثنا أبو عمران الجوني حدثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصري . قال : انطلق النبي (ص) وأبو بكر إلى الغار . وجاءت قريش يطلبون النبي (ص) ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل أحد ، وكان النبي (ص) قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي (ص) : هؤلاء قومك يطلبونك ، أما والله ما على نفسي أثل ^(٢) ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبي (ص) : « يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا » وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسن بحاله من الشاهد ، وفيه زيادة صلاة النبي (ص) في الغار . وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر صلى وروى هذا الرجل . — اعني أبو بكر أحمد بن علي القاضي — [عن عمرو الناقد عن خلف بن تميم عن موسى بن مطر عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يا بني إذا حدث في الناس حدث فأت الغار التي اختبأت فيه أنا ورسول الله (ص) فكن فيه فانه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشيا] ^(٣) .

وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول :

نَسَجَ دَاوُدَ مَا حَمَى صَاحِبَ الْغَارِ وَكَانَ الْفَخَّارُ لِلْعَنْكَبُوتِ

وقد ورد أن حامتين عشتا على بابهِ أيضاً ، وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول :

فَنَمَى عَلَيْهِ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهِ وَظَلَّ عَلَى الْبَابِ الْحَمَامُ يَبْيِضُ

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا عمرو بن علي ثنا عون بن عمرو والقيسى - ويلقب عون - حدثني أبو مصعب المكي . قال : أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك ، يذكرون أن النبي (ص) ليلة الغار أمر الله شجرة

(١) كذا في الاصل ، ولعله جعفر بن سليمان الضبعي من رجال الخلاصة .

(٢) أل المريض والحزين أن وحن ورفع صوته وصرخ عند المصيبة

(٣) ما بين المربعين زيادة في النسخة الحلبية . ولم نره في النسخة المصرية .

فخرجت في وجه النبي (ص)، تستره ، وأن الله بمثل العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله (ص)، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجل ، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله (ص)، قدر مائتي ذراع قال الدليل - وهو سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي - هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطئ منذ الليلة . حتى إذا أصبح قال : انظروا في الغار ، فاستبقتهم اليوم حتى إذا كانوا من النبي (ص)، قدر خمسين ذراعاً ، فإذا الحمامتان ترجع (١) فقالوا ما ردك أن تنظر في الغار ؟ قال رأيت حمامتين وحشيتين بقم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد . فسمعها النبي (ص)، فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما ، فسمت عليهما - أي برك عليهما - وأحدهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى . وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره عن عون بن عمرو - وهو الملقب بعوين - بإسناده مثله . وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين ، وفي هذا الحديث أن القائف الذي اقتفى لهم الائر سراقه بن مالك المدلجي وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه أن الذي اقتفى لهم الائر كرز بن علقمة .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الائر والله أعلم . وقد قال الله تعالى [إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا] فأنزل الله سكينة عليه وأيده بمجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم [يقول تعالى مؤثراً لمن يخلف عن الجهاد مع الرسول (إلا تنصروه) أنتم فإن الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره (إذ أخرجه الذين كفروا) من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر ليس غيره ولهذا قال (ثاني اثنين إذ هما في الغار) أي وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما ، وذلك لأن المشركين حين فقدوها كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل مذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن ردهما - أو أحدهما - مائة من الإبل ، واقتصوا آثارها حتى اختلط عليهم ، وكان الذي يقتص الائر لقريش سراقه بن مالك بن جعشم كما تقدم ، فصعدوا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمرّون على باب الغار ، فتحاذى أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما ، حفظا من الله لهما كما قال الامام احمد حدثنا عفان ثنا همام أنا ثابت عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه . قال قلت للنبي (ص) ونحن في الغار . لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا نحت قدميه ؟ فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث همام به وقد ذكر

بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبي (س) : « لو جاوزنا من ههنا لذهبنا من ههنا » فنظر الصديق إلى الفار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به ، وسفينة مشدودة إلى جانبه . وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوى ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صح أو حسن سندنا قلنا به والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الفضل بن سهل ثنا خلف بن تميم ثنا موسى بن مطير القرشي عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الفار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله (س) ، فكن فيه ، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية . ثم قال البزار : لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك ، وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه . وقد ذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن الصديق قال في دخولها الفار ، وسيرها بعد ذلك وما كان من قصة سراقه كما سيأتي شعراً . فنه قوله :

قال النبي - ولم أجزع - يوقرنى ونحن في سُدْفٍ من ظُلمة الفار
لا نخش شيئاً فإن الله نالنا وقد توكل لي منه بإظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن اسحاق فذكرها مظلولة جداً ، وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم . وقد روى ابن لميعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير . قال فكث (رسول الله س) ، بعد الحج - يعنى الذى بايع فيه الانصار - بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، ثم إن مشركى قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله (س) ، أو يجبسوه . أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه (وإذ يمكر بك الذين كفروا) الآية . فأمر علياً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما أصبحوا ذهبوا فى طلبهما فى كل وجه يطلبونهما . وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه ، وإن خروجه هو وأبو بكر الى الفار كان ليلاً . وقد تقدم عن الحسن البصرى فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك ايضا وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل . قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي (س) : قالت : لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله (س) ، طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو ارض الحبشة ، حتى اذا بلغ برك الغماد (١) لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة ، فذكرت ما كان من رده لأبي بكر إلى مكة وجواره له كما قدمناه عند هجرة الحبشة ، إلى قوله فقال أبو بكر : فاني أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله . قالت والنبي (س) .

(١) برك الغماد ، بفتح الباء وكسرهما وضم الفين وكسرهما ، موضع باليمن وقيل وراء مكة بخمس ليال .

يومئذ بمكة فقال النبي (ص) للمسلمين : « إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين : وما الحرتان . فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة الى المدينة ، ونجى أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسول الله (ص) : « على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله (ص) ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط - ^(١) أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر . قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة : فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في حر الظهيرة ، فقال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله (ص) متقنما في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت فجاء رسول الله (ص) فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبي (ص) : « أخرج من عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله . قال فانه قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت وأمي ، قال النبي (ص) : « نعم » . قال أبو بكر : فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين . فقال رسول الله (ص) بالنم . قالت عائشة فجهرتاها أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فلذلك سميت ذات النطاقين . قالت ثم لحق رسول الله (ص) وأبو بكر بفار في جبل ثور ، فمكنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، لا يسمع أمراً يكاد أن به إلا وعاه حتى يأتياهم بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة ^(٢) من غنم فيربحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رسل - وهو لبن منحتهما ورضيعهما - حتى [ينمق بها ^(٣)] عامر بن فهيرة بفلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث . واستأجر رسول الله (ص) وأبو بكر رجلاً من بني الدئل وهو من بني عبد ابن عدى هادياً خريتا - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلقاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعنا اليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صباح ثلاث ليال . وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذهم طريق السواحل . قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن مالك

(١) كذا بالأصليين : والذي في النهاية : السمر بضم الميم ضرب من شجر الطلح ، وأما الخبط فهو ضرب الشجرة لتناثر ورقها .

(٢) أي غنم فيها لبن ، وقد تقع المنحة على الهبة مطلقاً لا قرضاً ولا عارية .

(٣) الذي في الاصليين : حتى سمعوهما وفي النهاية نفق الراعي بالغنم ينمق إذا دعاها لتعود اليه .

ابن جشم . يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله (ص) وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : يا سراقا إني رأيت أنفا أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه . قال سراقا : فعرفت أنهم هم قتلتم له إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفروسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي ، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت فخططت بزججه الأرض وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها ففرت بي حتى دنوت منهم ، فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الإزلام فاستقسمت بها أضرم أم لا ، فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصبت الإزلام فجعل فرسي يقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله (ص) وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين ، فخررت عنها فأهويت ، ثم زجرتها فتهضت ، فلم تكعد فخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت الإزلام فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان فوقوا فركبت فرسي حتى جثمت ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله (ص) . فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتكم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع . فلم يرداني ولم يسألاني إلا أن قالوا اخف عنا . فسالته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر ابن فيرة فكتب لي رقعة من آدم . ثم مضى رسول الله (ص) .

وقد روى محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جشم عن أبيه عن عمه سراقا فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالإزلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره لا يضره ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكل ذلك يستقسم بالإزلام ويخرج الذي يكره لا يضره . حتى فادام بالأمان . وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمانة ما بينه وبين رسول الله (ص) ، قال فكتب لي كتابا في عظم - أو رقعة أو خرقة - وذكر أنه جاء به إلى رسول الله (ص) وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف ، فقال له « يوم وفاء وبر ، أدته » فدنوت منه وأسلمت . قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جشم ^(١) وهذا الذي قاله جيد .

ولما رجع سراقا جعل لا يلتقي أحدا من الطلب إلا رده وقال : كفيت هذا الوجه ، فلما ظهر أن رسول الله (ص) قد وصل إلى المدينة . جعل سراقا يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي (ص) وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه . تخلف رؤساء قريش معرفته ، وخشوا أن يكون ذلك سببا

لاسلام كثير منهم ، وكان سراقه أمير بني مدلج ورئيسهم ، فكتب أبو جهل - لعنه الله - اليهم :

بني مدلج إني أخاف سيفيكم سراقه مستغوي لنصر محمد
عليكم به ألا يفرق جمعكم فيصبح شئ بعد عز وسؤدد

قال قتال سراقه بن مالك يجيب أبا جهل في قوله هذا :

أبا حكم والله لو كنت شاهداً لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
عجيب ولم تشكك بأن محمداً ^(١) رسول وبرهان فمن ذا يقاومه
عليك فكف القوم عنه فإنني أخال لنا يوماً سببدو معاله
بأمر تود النصر فيه فانهم وإن جميع الناس طراً مساله

[^(٢)] وذكر هذا الشعر الاموى في مغازيه بسنده عن أبي اسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن اسحاق ، وزاد في شعر أبي جهل أبيانا تتضمن كفراً بليغا .

وقال البخارى بسنده إلى ابن شهاب فاخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله (ص) لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسى الزبير رسول الله (ص) ، وأبا بكر ثياب بياض ، وصنع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله (ص) من مكة ، فكانوا يعدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر اليه ، فبصر برسول الله (ص) وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى أن قال بأعلا صوته : يامعشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون فنار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله (ص) بظهر الحرة ، فمدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله (ص) صامتا فطلق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله (ص) يحجى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله (ص) ، فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه . فعرف الناس رسول الله (ص) . عند ذلك قلبت رسول الله (ص) في بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله (ص) . ثم ركب راحلته وسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله (ص) بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين . وكان مر بدياً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر اسعد بن زرارة . فقال رسول الله (ص) حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » ، ثم دعا رسول الله (ص) الغلامين فساومهما بالمر بد ليتخذة مسجداً ، فقالا بل نهيه لك

(١) في المصرية : نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه .

(٢) ما بين المربعين سقط من النسخة الحلبية .

يا رسول الله : فأبى رسول الله (س) : أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما . ثم بناه مسجداً . فطفق رسول الله (س) : ينقل معهم اللبن في بنيانه ، وهو يقول حين ينقل اللبن :

هذا الجمل لأجمالٍ خَيْرُ هذا أُرْبُ ربُّنا وأطهرُ

ويقول :

لاهُمَّ إِنْ الْأَجْرُ أَجْرُ الْآخِرِ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ (١)

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي . قال ابن شهاب : ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله (س) : تمثل ببیت شعر تام غير هذه الأبيات . هذا لفظ البخاري وقد تفرد بروايته دون مسلم ، وله شواهد من وجوه آخر وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية ، ولندكر هنا ما يناسب ذلك مرتباً أولاً فأولاً .

قال الامام احمد : حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العنقري ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب . قال : اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً فقال أبو بكر لعازب : مر البراء فليحمله إلى منزلي . فقال : لا حتى نحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله (س) : وأنت معه ؟ فقال أبو بكر : خرجنا فادخلنا فاحتسنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة ، فضربت بصرى هل أرى ظلاً نأوى إليه ، فاذا أنا بصخرة فأهويت إليها فاذا بقية ظلها : فسويته لرسول الله (س) : وفرشت له فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع ، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فاذا أنا براعى غنم ، قتل لمن أنت يا غلام ؟ فقال لرجل من قریش - فسماه فعرفته - قتل هل في غنمك من لبن ؟ قال نعم ! قلت هل أنت حالب لي ؟ قال نعم ! فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعى إداوة على فخذه فخلب لي كسبة (٢) من اللبن فصبيت على القمح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله (س) : فوافيته وقد استيقظ ، فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رذيت ، ثم قلت هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، قتل يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال « لا تحزن إن الله معنا » حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح - أو

(١) كذا في الاصل ، وفي ابن هشام : أن المسلمين كانوا يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الانصار والمهاجرة

وأن رسول الله (س) : يقول : لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والانصار .

(٢) الكسبة من اللبن التليل منه ، وكل قليل جمعه من طعام وغيره . عن النهاية .

رحمين أو قال رحين أو ثلاثة - قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ وبكيت ، قال لم تبكي ؟
 قلت [أما والله ما على نفسي أبكى ، ولكن أبكى عليك . فدعا عليه رسول الله (س) . فقال :
 « اللهم اكفناه بما شئت » فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال : يا محمد
 قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لاعين على من ورأى من الطلب ،
 وهذه كنانتي نخذ منها سهما فانك ستمر بأبلى وغنى بموضع كذا وكذا نخذ منها حاجتك . فقال
 رسول الله (س) : « لا حاجة لي فيها » ودعا له رسول الله (س) . فأطلق ورجع إلى أصحابه ، ومضى
 رسول الله (س) . وأما معه حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناس فخرجوا في الطرق على الأتاجير ^(١) واشتد
 الخدم والصبيان في الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله (س) ، جاء محمد ، قال وتنازع القوم
 أيهم ينزل عليه ، قال فقال رسول الله (س) : « أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب
 لا كرمهم بذلك » فلما أصبح غدا حيث أمر . قال البراء : أول من قدم علينا من المهاجرين
 مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار ، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعشى أحد بني فهر ، ثم قدم
 علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكبا ، قلنا ما فعل رسول الله ؟ قال هو على أنرى ، ثم قدم
 رسول الله (س) ، وأبو بكر معه . قال البراء : ولم يقدم رسول الله (س) حتى قرأت سوراً من المفصل
 أخرجه في الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء أول من قدم علينا الخ . فقد انفرد به
 مسلم فرواه من طريق إسرائيل به .

وقال ابن اسحاق : فاقام رسول الله (س) في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قریش فيه حين
 قدومه مائة ناقة لمن رده عليهم ، فلما مضت الثلاث وسكن عنها الناس أنافها صاحبهما الذي استأجراه
 ببيعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا
 ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس فيها عصام ، فتحل نطاقها فتجمله عصاما ثم علقها به . فكان يقال
 لها ذات النطاقين لذلك .

قال ابن اسحاق : فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله (س) قدم له أفضلهما ثم قال :
 اركب فداك أبي وأمي ، فقال رسول الله (س) : « إني لا أركب بغيراً ليس لي » قال : ففهي لك
 يا رسول الله بأبي أنت وأمي . قال « لا ولكن ما التئ الذي ابتعتها به » قال كذا وكذا . قال « أخذتها
 بذلك » قال هي لك يا رسول الله .

وروى الواقدي بإسناده أنه عليه السلام أخذ القصواء ، قال وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة
 درهم . وروى ابن عساكر من طريق أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : وهي الجذعاء

(١) في النهاية : تلقته الناس على الأتاجير والأتاجير ، يعني السطوح .

وهكذا حكى السهيلي عن ابن اسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق فحدثت عن أسماء قالت : لما خرج رسول الله (ص) ، وأبو بكر أناقنا نفر من قريش منهم أبو جهل فذكر ضربه لها على خدها لطمة طرح منها قرطها من أذنها كما تقدم . قالت : فكئنا ثلاث ليال ما ندرى أين وجه رسول الله (ص) ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم مقبر
ها نزلا بالبر ثم ترؤحا فأفلح من أمسى رفيق محمد
لأين بني كعب مكان فتاتهم ومقعدا للمؤمنين بمصر

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله (ص) ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن اسحاق : وكانوا أربعة ؛ رسول الله (ص) ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقد ^(١) كذا يقول ابن اسحاق ، والمشهور عبد الله بن أريقط الدثلي . وكان إذ ذاك مشركا .

قال ابن اسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمج ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ^(٢) ثم أجاز بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما لقفا ، ثم أجاز بهما مدجلة لقف ، ثم استبطن بهما مدجلة بحاج ثم سلك بهما مرجح بحاج ، ثم تبطن بهما مرجح من ذى العضوين ، ثم بطن ذى كشد ، ثم أخذ بهما على الجداجد ، ثم على الاجرد ، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدجلة تعين ، ثم على العبايد ، ثم أجاز بهما القاحة ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض ظهريهم ، فحمل رسول الله (ص) ، رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على حمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هنيذة ، خرج بهما [دليلهما من العرج فسلك بها ثنية العائر عن يمين ركوبة

(١) كذا في الاصلين ، وفي ابن هشام عن ابن اسحاق في جميع المواضع : عبد الله بن أرقط ، واستدرك على ابن اسحاق بقوله : ويقال عبد الله بن أريقط . (٢) في الاصلين الخرار . وهي جمع الحرة ، والذي في ابن هشام : الخرار بالخاء المعجمة وتشديد الراء موضع بالحجاز وقيل واد أو ماء بالمدينة كما في المعجم لياقوت .

— ويقال ثنية الغائر فيها قال ابن هشام — حتى هبط بهما بطن ريم ، ثم قسم بهما ^(١) [قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت لشمس تقتدل .

وقد روى أبو نعيم مر يريق الواقدي نحواً من ذكر هذه المنازل ، وخالفه في بعضها والله أعلم قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحاق عن السراج حدثنا محمد بن عبادة ابن موسى العجلي حدثني أخى موسى بن عبادة حدثني عبد الله بن سيار حدثني إياس بن مالك بن الاوس الاسلمى عن أبيه . قال : لما هاجر رسول الله (ص) ، وأبو بكر مروا بابل لنا بالجحفة ، فقال رسول الله (ص) : « لمن هذه الابل ؟ » فقالوا لرجل من أسلم ، فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سلمت إن شاء الله ، فقال ما اسمك ؟ » قال مسعود ، فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سمعت إن شاء الله » . قال فاتاه أبي فحمله على جل يقال له ابن الرداء .

قلت : وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله (ص) خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين . والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً لانه أقام بغار نور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة واجتاز في مروره على أم معبد بنت كعب من بني كعب بن خزاعة ، قال ابن هشام . وقال يونس عن ابن اسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم . وقال الاموى : هي عاتكة بنت تبيع حليف بنى منقذ بن ربيعة بن اصرم بن صديس ^(٢) بن حرام بن خيسة بن كعب بن عمرو ، ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبي معبد ، واسمه أكنم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم ابن صديس ، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضها .

وهذه قصة أم معبد الخزاعية . قال يونس عن ابن اسحاق : قتل رسول الله (ص) بخيعة أم معبد واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم فارادوا القرى فقالت والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله (ص) ببعض غنمها فسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب في العس حتى أرغى وقال « اشربي يا أم معبد » فقالت اشرب فانت أحق به فردته

(١) ما بين المربعين سقط من النسخة المصرية . (٢) كذا في الاصلين في المكانين وفي الاصابة خبيس مصغراً ذكر ذلك في ترجمة أخيها حبش الاشعري والذي في السهيلي : عاتكة بنت خلد إحدى بنى كعب من خزاعة وهي أخت حبش بن خلد ، وولد الاشعر أبوها هو ابن خنيف بن منقذ [بالدال المهملة] بن ربيعة بن أصرم بن ضميم بن عرم بن حبشية بن كعب ابن عمرو .

عليها فشربت ، ثم دعا بمحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بمحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بمحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروح . وطلبت قريش رسول الله (ص) حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه فقالوا أرايت محمداً من حليته كذا كذا ؟ فوصفوه لها . فقالت : ما أدرى ما تقولون ، قدمنا قتي حالب المحائل . قالت قريش : فذاك الذي نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن عقبة ابن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ثنا أبي عن أبيه عن جابر . قال : لما خرج رسول الله (ص) وأبو بكر مهاجرين فدخلوا الغار ، إذا في الغار جحر فلقمه أبو بكر عقبة حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله (ص) منه شيء . فأقاما في الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بنجيات أم معبد فارسلت اليه أم معبد إني أرى وجوها حسنا ، وإن الحى أقوى على كرامتكم منى ، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة . فقال رسول الله (ص) : « أردد الشفرة وهات لنا فرقا » يعنى القدح فارسلت اليه أن لا لبن فيها ولا ولد . قال هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت فخلب فلأ القدح فشرب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فبعث فيه الى أم معبد . ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا بهذا الاسناد . وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدث عنه الا يعقوب بن محمد وإن كان معروفاً في النسب .

وروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثنا عبد الرحمن بن الاصبهاني سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بكر الصديق . قال : خرجت مع رسول الله (ص) من مكة فاتمينا إلى حى من أحياء العرب ، فنظر رسول الله (ص) إلى بيت منتحيا فقصد اليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معى أحد فمليكما بعظيم الحى إن أردتم القرى ، قال فلم يجبها وذلك عند المساء ، فجاء ابن لها باعتر يسوقها فقالت يا بنى انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين قل لهما تقول لكما أمى اذبحا هذه وكلا وأطعما ، فلما جاء قال له النبي (ص) : « انطلق بالشفرة وجئنى بالقدح » قال إنها قد عزبت وليس بها لبن ، قال انطلق ، فجاء بقدح ففسح النبي (ص) ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال انطلق به إلى أمك ، فشربت حتى رويت ، ثم جاء به فقال انطلق بهذه وجئنى بأخرى . ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبي (ص) فبقنا ليلتنا ، ثم انطلقنا . فكانت تسميه المبارك . وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة ، فرأى أبو بكر فرأى ابنها فعرفه فقال يا أمه هذا الرجل الذى كان مع المبارك . فقامت اليه فقالت : يا عبد الله من الرجل الذى كان معك ؟ قال أو ما تدريين من هو ؟ قالت لا ، قال هو نبي الله . قالت فادخلنى عليه . قال فادخلها

فأطعمها رسول الله (ص) وأعطاهما — زاد ابن عبدان في روايته : — قالت فدلني عليه ، فانطلقت معي وأهدت لرسول الله (ص) شيئاً من أقط ومتاع الاعراب . قال فكساها وأعطاهما . قال ولا أعلمه إلا قال وأسلمت . اسناد حسن .

وقال البيهقي : هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد ، والظاهر أنها هي والله أعلم . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي . قالوا : ثنا أبو العباس الأصم ثنا الحسن بن مكرم حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكري ثنا عبد الملك بن وهب المذحجي ثنا أبيجر بن الصباح عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله (ص) خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر ابن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي ، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحب وتجلس بفناء الخيمة فتطم وتسقي ، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك . وقالت لو كان عندنا شيء ما أعوذكم القرى ، وإذا القوم مرملون مستنون . فنظر رسول الله (ص) فإذا شاة في كسر خيمتها فقال « ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ » فقالت شاة خلفها الجهد عن الغنم . قال « فهل بها من لبن » قالت هي أجهد من ذلك . قال تأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت إن كان بها حلب فاحلبها . فدعا رسول الله (ص) بالشاة فمسحها وذكّر اسم الله ومسح ضرعها وذكّر اسم الله ودعا بأناء لها يربض الرهط ^(١) فتفاجت ^(٢) واجترت فحلب فيه نجا حتى ملأه [وأرسله إليها] فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللاً بعد نهل ، حتى إذا رويوا شرب آخرهم وقال « ساقى القوم آخرهم » ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء ففادته عندها ثم ارتحلوا قال فقلنا لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزاً عجافاً يتساوكن هزلي لا نقي بهن ^(٣) مخنن قليل فلما رأى اللبن عجب وقال من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة في البيت والشاة عازب ؟ فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . فقال صفيه لي فوالله إني لا راه صاحب قریش الذي تطلب . فقالت رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة حسن الخلق مليح الوجه لم تعبهُ نَجْلَةٌ ^(٤) ولم تزر به صعلقة ^(٥) قسيم وسيم في عينيه دمع ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صجل . أحول أ كحل أزج أقرن في عنقه سطع وفي لحيته كثائة . إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق فصل لا تزر ولا هنر كأن منطقته خرزات نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجله من بعيد ، وأحسنه من قريب . ربعة لا تنساه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدماً له رقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا

(١) أي يشبع الجماعة حتى يربضوا . عن السهيلي . (٢) أي فرجت بين رجلها . (٣) النقي المخ . (٤) نجلَةٌ أي ضخم بطن . ويرى بالنون والحاء ، أي نحول ودقة . والصعلقة صغر الرأس عن النهاية .

لأمره . محفود محشود لا عابس ولا معتد^(١) فقال - يعني بعلمها - : هذا والله صاحب قریش الذي تطلب ، ولو صادفته لالتصمت أن أصحبه ، ولا جهن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، قال وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمونه ولا يرون من يقول وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
ها نزلا بالبر وارتحلا به^(٢) فافلح من أسمى رفيق محمد
فبال قصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى وسؤدد
سلا أخكم عن شاتها وإاثها فأتكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاهيا بشاة حائل فتخلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد^(٣)
فغادره رهنا لديها لحالب يدر لها في مهدي ثم مورد

قال وأصبح الناس - يعني بمكة - وقد فقدوا نبيهم ، فاخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا

برسول الله . قال وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم^(٤) وقد سر^(٥) من يعري اليهم ويفتدي
ترحل عن قوم فزال عقولهم وحل على قوم بنور محمد
[هدام به بعد الضلالة رثهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد^(٦)]
وهل يستوي ضلال قوم تسفوا عى وهداة يهتدون بهتد
نبي يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أوفى نحي الغد
لبن أبا بكر سعادة جده بضجته من يسعد الله يسعد
وبن بني كعب مسكان فتاتهم ومقعدا المسلمين بمرد^(٧)

قال - يعني عبد الملك بن وهب - قبلنى أن أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبي . . وهكذا

- (١) في أصل المصرية : ولا مفند وفي الحلبية مهمل من النقط والتصحيح من الخشني في غريب السيرة . (٢) كذا بالأصليين ، وفي ابن هشام : هانزلا بالبر ثم تروحا .
- (٣) كذا بالمصرية والسهيلي والنهاية وفيها : الضرة أصل الضرع ، وفي ح : لديه بضرع ثرة الشاة مزبد . والثرة كثرة اللبن . (٤) الذي في السهيلي : غاب بدل زال .
- (٥) في الاصليين وفي السهيلي : وقد سر ، والذي في شرح السيرة للخشني : وقدس وفسره بمعنى طهر . (٦) هذا البيت زده من السهيلي ولم يرد في الأصل . (٧) هذا البيت أورده السهيلي في الايات التي قبلها ونسبها إلى رجل من الجن ولم يورده لحسان .

روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي قد ذكر مثله سواء وزاد في آخره قال عبد الملك : بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله (ص) . ثم رواه أبو نعيم من طرق عن بكر بن محرز الكلبي الخزاعي عن أبيه محرز بن مهدي عن حوام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله (ص) ، أن رسول الله (ص) حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي فمروا بخيمة أم معبد وكانت امرأة برزة جلدة تحبى بفناء القبة ، وذكر مثل ما تقدم سواء . قال وحدثناه — فيما أظن — محمد بن أحمد بن علي بن مخلد ثنا محمد بن يونس بن موسى — يعني الكديمي — ثنا عبد العزيز ابن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ثنا محمد بن سليمان بن سليط الانصاري حدثني أبي عن أبيه سليط البدرى . قال : لما خرج رسول الله (ص) في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدلهم على الطريق ، مر بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال : لها « يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ » قالت لا والله إن الغنم لعازبة قال فما هذه الشاة ؟ قالت خلفها الجهد عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم .

ثم قال البيهقي : يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة ، ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ — إملأه — حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب أخبرنا محمد بن غالب ثنا أبو الوليد ثنا عبد الله بن إيراد بن لقيط ثنا إيراد بن لقيط عن قيس بن النعمان . قال لما انطلق النبي (ص) وأبو بكر مستخفين ، مروا بمعبد برعى غنماً فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب ، غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشاة ، وقد أخذت (١) وما بقي لها من لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها النبي (ص) ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعى ، ثم حلب فشرب . فقال الراعى : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال أو تراك تسكن على حتى أخبرك ؟ قال نعم ! قال فأنى محمد رسول الله . فقال أنت الذى تزعم قريش أنه صابى ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك . قال فأنى أشهد أنك نبي ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك . قال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فاذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا . ورواه أبو يعلى الموصلى عن جعفر بن حميد الكوفي عن عبد الله بن إيراد بن لقيط به . وقد ذكر أبو نعيم ههنا قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود . قال

(١) خدجت ألفت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق ، وأخذت ولده تاقص الخلق وإن

كان لتام الحل .

كنت غلاما يا فاما أرى غنا لعنة بن أبي معيط بمكة ، فأتى رسول الله (ص) ، وأبو بكر - وقد فرا من المشركين - فقال : « يا غلام عندك لبن تسقيننا ؟ » فقلت إني مؤمن ولست بسايقكما ، فقالا هل عندك من جذعة لم يتر عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فأتيتهما بها فاعتقلاها أبو بكر وأخذ رسول الله (ص) الضرع فدعا فحل الضرع وجاء أبو بكر بصخرة متقكرة لخلب فيها . ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني ، ثم قال للضرع أخلص فخلص . فلما كان بعد أتيت رسول الله (ص) فقلت علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال رسول الله (ص) : « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد . فقوله في هذا السياق وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك في بعض الاحوال قبل الهجرة . فان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة في الصحاح وغيرها والله أعلم .

[(١) وقال الامام احمد : حدثنا عبد الله بن مصعب بن عبد الله - هو الزبيرى - حدثنى أبى عن فائد مولى عبادل قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد - وسعد هو الذى دل رسول الله (ص) على طريق ركوبة (٢) - فقال ابراهيم [أخبرنى] ما حدثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثنى أبى أن رسول الله (ص) أتاهم ومعه أبو بكر - وكانت لابی بكر عندنا بنت مسترضعة - وكان رسول الله (ص) أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغامر من ركوبة وبه لسان من أسلم يقال لهما المهاان . فان شئت أخذنا عليهما ، فقال النبي (ص) : « خذ بنا عليهما » قال سعد فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه هذا اليماني . فدعاها رسول الله (ص) فعرض عليهما الاسلام فأسلما ، ثم سألهما عن اسمائهما فقالا نحن المهاان . فقال : « بل أنتما المسكرمان » وأمرهما أن يقدما عليه المدينة فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قباء فلتقاه بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله (ص) : « أين أبو أمامة أسعد بن زرارة ؟ » فقال سعد ابن خيثمة . إنه أصاب قبلى يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟ ثم مضى رسول الله (ص) حتى إذا طلع

(١) ما بين المربعين أثبتناه من النسخة الحلبية ، وسقط من المصرية . وهذا الاثر مروي في زوائد المسند عن عبد الله بن احمد من رواية القطيعي ونصه كما في جلد ٤ ص ٧٤ من النسخة المطبوعة بمصر حدثنا عبد الله حدثنا مصعب بن عبد الله هو الزبيرى قال حدثنى أبى عن فائد مولى عبادل . قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة فارسل [إلى] ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتانا ابن سعد وسعد هو الذى دل رسول الله (ص) الخ . (٢) في الاصل ركوبة بالنون وهو خطأ ، وركوبة ثنية بين مكة والمدينة عند العرج

قرب جبل ورقان

على النخل فاذا الشرب مملوء ، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر هذا المنزل . رأيتني أنزل إلى حياض كحياض بنى مدلج » أفرد به احمد .

فصل في دخول مكة

في دخوله عليه السلام المدينة وابن استقرار منزله

قد تقدم فيما رواه البخارى عن الزهرى عن عروة أن النبي (ص) دخل المدينة عند الظهيرة . قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت في الصحيحين من حديث اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب عن أبي بكر في حديث الهجرة قال قدمنا ليلا فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه ، فقال رسول الله (ص) : « أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلا ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلا ، فان العشى من الزوال ، وإما أن يكون المراد بذلك لما رخل من قباء كما سيأتى فصار فما انتهى إلى بنى النجار الاعشاء كما سيأتى بيانه والله أعلم .

وذكر البخارى عن الزهرى عن عروة أنه نزل في بنى عمرو بن عوف بقباء وأقام فيهم بضعة عشرة ليلة وأسس مسجد قباء في تلك الأيام ، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته في مكان مسجده ، وكان مربداً لعلامين يتيمين وهما سهل وسهيل ، فابتاعه منهما وأخذ مسجداً . وذلك في دار بنى النجار رضى الله عنهم .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير [عن عروة بن الزبير] عن عبد الرحمن ابن عويم بن ساعدة قال حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي (ص) قالوا : لما بلغنا مخرج النبي (ص) من مكة وتوكلنا قدومه ككنا فخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبي (ص) فوالله ، ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فاذا لم نجد ظلا دخلنا - وذلك في أيام حارة - حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله جلينا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقسم رسول الله (ص) حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلا صوته يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء ، فخرجنا إلى رسول الله (ص) وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنة ، وأكثرتنا لم يكن رأى رسول الله (ص) قبل ذلك . وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظل عن رسول الله (ص) ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . وقد تقدم مثل ذلك في سياق البخارى وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه . وقال الامام احمد حدثنا هاشم ثنا سليمان عن

نابت عن أنس بن مالك . قال : إني لأسعى في الغلمان يقولون جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً ، ثم يقولون جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً ، قال حتى جاء رسول الله (س) ، وصاحبه أبو بكر . فكنا في بعض خراب المدينة ، ثم بعثنا رجلاً من أهل البادية يؤذن بهما الانصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الانصار حتى انتهوا اليهما فقالت الانصار : انطلقا آمنين مطاعين . فاقبل رسول الله (س) ، وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يترأينه يقرن أيهم هو ، أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به . قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض . فلم أرى بين شبيهاً بهما ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بنحوه - أو مثله - وفي الصحيحين من طريق اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء عن أبي بكر في حديث الهجرة . قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله . فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر . وقال البيهقي أخبرنا أبو عمرو والاديب أخبرنا أبو بكر الاسماعيلي سمعت أبا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول لما قدم رسول الله (س) المدينة جعل النساء والصبيان يقرن :

طلع البدر علينا من ثغرات الوُداع
وجب الشكر علينا ما دعا الله داع

قال محمد بن اسحاق : قتل رسول الله (س) - فيما يذكرون يعني حين نزل - بقاء على كلثوم ابن الهدم أخي بني عمرو بن عوف ثم أحد بني عبيد ، ويقال بل نزل على سعد بن خيشمة ، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم : إنما كان رسول الله (س) ، إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس في بيت سعد بن خيشمة ، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب والله أعلم . ونزل بر . كرضى الله عنه على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنح وقيل على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج .

قال ابن اسحاق : وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله (س) الودائع التي كانت عنده ، ثم لحق رسول الله (س) . قتل معه على كلثوم بن الهدم فكان على ابن أبي طالب إنما كانت اقامته بقاء ليلة أو ليلتين . يقول كانت بقاء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت انساناً يأتيها من جوف الليل فضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيا شيئاً معه فتأخذها ، فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين اليه فيعطيك شيئاً لا أدرى ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف .

وقد عرف أنى امرأة لا أحد لى فاذا أمسى عدا على أولان قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال احتطبي بهذا ، فكان على رضى الله عنه يأتى ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله (ص) بقاء في بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو ابن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك . وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن اسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانى عشر ليلة .

قلت : وقد تقدم فيها رواه البخارى من طريق الزهرى عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضعة عشرة ليلة ، وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه . قال : أقام رسول الله (ص) فينا - يعنى في بنى عمرو بن عوف بقاء - اثنتين وعشرين ليلة . وقال الواقدى : ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

قال ابن اسحاق : فادركت رسول الله (ص) الجمعة في بنى سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذى في بطن الوادى - وادى رانوفاء - فكان أول جمعة صلاها بالمدينة . فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عباد بن فضالة في رجال من بنى سالم فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة . قال : « خلوا سبيلها فانها مأمورة » لئلا نغفلوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا وازت (١) دار بنى بياضة تلقاها زياد بن ليلى وفروة بن عمرو في رجال من بنى بياضة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا إلى العدد والعدة والمنعة ؟ قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » نغفلوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عباد والمنذر بن عمرو في رجال من بنى ساعدة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا فى العدد والمنعة . قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » نغفلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلم الينا إلى العدد والعدة والمنعة . قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » نغفلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار - وهم أخواله - دنيا أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو وإحدى نسائهم ، اعترضه سليط بن قيس وأبوسليط أسيرة بن خارجة (٢) في رجال من بنى عدي بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة ؟ قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » نغفلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بنى مالك بن

(١) فى المصرية : دارت . وفى الحلبية : وازت ، وفى ابن هشام : وازنت .

(٢) كذا فى الاصلين ، وفى الاصابة أسير بن عمرو بن قيس أبوسليط البدرى . وفى ابن هشام أبوسليط أسيرة بن أبى خارجة .

النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكل يومئذ مر بذاً للغلامين يتيمين من بنى مالك ابن النجار ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكافا في حجر معاذ بن عفراء .
قلت : وقد تقدم في رواية البخارى من طريق الزهري عن عروة أنها كافا في حجر أسعد بن زرارة والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله (ص) مر في طريقه بعبد الله بن أبي بن سلول وهو في بيت . فوقف رسول الله (ص) . ينتظر أن يدعوه إلى المنزل - وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم - فقال عبد الله أنظر الذين دعوك فانزل عليهم . فذكر ذلك رسول الله (ص) . النفر من الانصار فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه : لقد من الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نقعد على رأسه التاج ونملكه علينا .

قال موسى بن عقبة : وكانت الانصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله (ص) من بنى عمرو بن عوف فشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا على كرامة رسول الله (ص) . وتمظيماً له وكلاماً مر بدار من دور الانصار دعوه إلى المنزل فيقول (ص) « دعوها فانها مأمورة فانما أنزل حيث أنزلى الله » فلما انتهت إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب فترسل فدخل بيت أبي أيوب حتى ابقى مسجده ومساكنه .

قال ابن اسحاق : لما بركت الناقة برسول الله (ص) . لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله (ص) . واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرائها فترسل عنها رسول الله (ص) . فأحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله (ص) . وسأل عن المرشد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء . هو يا رسول الله سهل وسهيل ابني عمرو وهما يقيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذ مسجداً ، فأمر به رسول الله (ص) . أن يبني ونزل رسول الله (ص) . في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله (ص) . والمسلمون من المهاجرين والانصار .

وستأتى قصة بناء المسجد قريباً إن شاء الله . وقال البيهقي في الدلائل وقال أبو عبد الله أخبرنا أبو الحسن علي بن عمرو الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن سليمان بن اسماعيل ابن أبي الورد ثنا إبراهيم بن صرمة ثنا يحيى بن سعيد عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس . قال : قدم رسول الله (ص) . المدينة فلما دخلنا جاء الانصار برجالها ونسائها فقالوا : لينا يا رسول الله . فقال « دعوا الناقة فانها مأمورة » فبركت على باب أبي أيوب فخرجت جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن :

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَا حَبِذَا بِمُحَمَّدٍ مِنْ جَارٍ

فخرج إليهم رسول الله (ص)، فقال «أحبوني؟» فقالوا: «أى والله يا رسول الله. فقال: «وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم» هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن، وقد خرجه الحاكم في مستدركه كما يروى. ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ثنا عمر بن الحسن اللخبي حدثنا أبو خيثمة المصيصي ثنا عيسى بن يونس عن عوف الأعرابي عن ثمامة عن أنس. قال: مر النبي (ص) بحى من بني النجار، وإذا جوار يضرب بالدفوف يقرن:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَا حَبِذَا بِمُحَمَّدٍ مِنْ جَارٍ

فقال رسول الله (ص): «يعلم الله أن قلبي يحبكم» ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس به. وفي صحيح البخارى عن معمر عن عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال رأى النبي (ص) النساء والصبيان مقبلين - حسبت أنه قال من عرس - فقام النبي (ص) ممثلا فقال «اللهم أنتم من أحب الناس إلى» قالها ثلاث مرات. وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب ثنا أنس بن مالك. قال: أقبل رسول الله (ص) إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله (ص) شاب لا يعرف، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل، فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق، وإنما يمتق سبيل الخير. فالتفت أبو بكر فاذا هو بفارس قد لحقه فقال: يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت رسول الله (ص) فقال «اللهم اصصره» فصصرته فرسه ثم قامت نحمحم، ثم قال: مرني يا نبي الله بما شئت. فقال «قف مكانك ولا تتركن أحدا يلحق بنا». قال فكان أول النهار جاهدا على رسول الله (ص)، وكان آخر النهار مسلحة له. قال فنزل رسول الله (ص) جانب الحرة ثم بعث إلى الانصار فجاؤا فسلموا عليهما وقالوا اركبا آمنين مطاعين. فركب رسول الله (ص) وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح، وقيل في المدينة: جاء نبي الله (ص) فاستشفروا نبي الله ينظرون اليه ويقولون: جاء نبي الله. قال فاقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب، قال فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو فى نخل لأهله يحترف لهم، فعجل أن يضع الذى يحترف فيها فجاء وهى معه، وسمع من نبي الله (ص) ورجع إلى أهله، وقال نبي الله: «أى بيوت أهلنا أقرب؟» فقال أبو أيوب أنا يا نبي الله، هذه دارى وهذا باني قال فانطلق فبني لنا مقبلا، فذهب فيها ثم جاء فقال يا رسول الله قد هيأت مقبلا قوما على بركة الله مقبلا، فلما جاء نبي الله (ص) جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك نبي الله حقا، وأنتك جئت

بحق ولقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسلمهم ، فدخلوا عليه
فقتل لهم رسول الله - ﷺ : « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون
أنى رسول الله حقاً وأنى جئت بحق أسلموا » . فقالوا : ما نعلمه ، ثلاثاً . وكذا رواه البخار منفرداً
به عن محمد غير منسوب عن عبد الصمد به ^(١) .

قال ابن اسحاق : وحديثي يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله البرزني عن أبي رهم
السماعي حدثني أبو أيوب . قال : لما نزل على رسول الله - ﷺ في بيتي نزل في السفلى ، وأنا وأم
أيوب في العلو ، فقلت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون
تحتي ، فظهر أنت فكنت في العلو ونزل نحن فكفون في السفلى ، فقال « يا أبا أيوب إن أرفق بنا
وبمن يفشاننا أن أكون في سفلى البيت » فكان رسول الله - ﷺ في سفلى وكنا فوقه في المسكن .
فلقد انكسر حب لنا فيه ماء ، فعمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء
نخوفاً أن يقطر على رسول الله - ﷺ منه شيء فيؤذيهم ، قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه فاذا رد
علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة
بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً - أو ثوماً - فردد رسول الله - ﷺ فلم أر ليده فيه أثراً ، قال فجئته
فزعاً فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أرفقيه موضع يدك ؟ فقال « إني وجدت
فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي فاما أنتم فكلوه » قال فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة
بعد . وكذلك رواه البيهقي من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الحسن
- أو أبي الخير - مرثد بن عبد الله البرزني عن أبي رهم عن أبي أيوب فذكره . ورواه أبو بكر بن
أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا
أبو عمرو الحيرى ثنا عبد الله بن محمد ثنا أحمد بن سعيد الدارمي ثنا أبو النعمان ثنا ثابت بن يزيد
ثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبي أيوب عن أبي أيوب أن رسول الله
- ﷺ نزل عليه فترل في السفلى وأبو أيوب في العلو فانقبه أبو أيوب فقال : نمشي فوق رأس رسول
الله - ﷺ ! فتنحوا فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي - ﷺ - يعني في ذلك - فقال : « السفلى أرفق
بنا » فقال لا أعلو سقيفة أنت تحتها ، فتحول رسول الله - ﷺ في العلو ، وأبو أيوب في السفلى فكان
يصنع لرسول الله - ﷺ طعاماً ، فاذا جئ به سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابع رسول الله
- ﷺ فصنع له طعاماً فيه ثوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله - ﷺ فقيل له لم يأكل
ففرع وصعد إليه فقال أحرام ؟ فقال النبي - ﷺ : « لا ولكني أكرهه » قال فاني أكره ما تكره
- أو ما كرهت - قال وكان النبي - ﷺ يأتيه الملك . رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به ، وثبت في
(١) هكذا في الاصلين مقتضياً والخبر بطوله في البخاري في باب هجرة النبي - ﷺ . وصحابه إلى المدينة فراجعوه .

الصحيحين عن أنس بن مالك قال : جئ رسول الله (ص) ببدر^(١) وفي رواية بقدر فيه خضروات من بقول ، قال فسأل فاخبر بما فيها فلما رآها كره أكلها ، قال : « كل فائي أناجي من لا تناجي » وقد روى الواقدي أن أسعد بن زرارة لما نزل رسول الله (ص) في دار أبي أيوب أخذ بمخاطم ناقة رسول الله (ص) فكانت عنده ، وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أول هدية أهديت إلى رسول الله (ص) حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها ، قصعة فيها خبز منرود بلبن ومغن ، فقلت أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد بن عباد ثريد وعراق لحم ، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله (ص) الثلاث والاربعة يحملون الطعام يتناوبون ، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر قال وبعث رسول الله (ص) — وهو نازل في دار أبي أيوب — مولاة زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخسمائة درهم ليحجبا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله (ص) ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع ، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله (ص) .

وقال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا خلف بن عمرو العكبري ثنا سعيد بن منصور ثنا عطاء بن خالد ثنا صديق بن موسى عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله (ص) قسم المدينة ، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد ، فأناه الناس فقالوا : يا رسول الله المنزل . فانبعثت به راحلته فقال : « دعوها فأنها مأمورة » ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحللت ، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه ، فنزل رسول الله (ص) عن راحلته فيه فأوى إلى الظل فأناه أبو أيوب فقال : يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل إليك فأقتل رحلك إلى ؟ قال نعم ! فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أناه رجل فقال يا رسول الله أين تحل ؟ قال « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله (ص) في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد ، وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه ، حيث نزل في داره رسول الله (ص) . وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه لما قدم أبو أيوب البصرة — وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة علي بن أبي طالب رضي الله عنه — فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله (ص) في داره ، وملكه كل ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصراف أعطاه ابن

عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً . وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح . فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالف دينار وصلاح ما وهى من بنياتها ووهبها لاهل بيت فقراء من أهل المدينة . وكذلك نزوله عليه السلام في دار بني النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعا كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخلها وزروعها وأهلها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم وهى كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسول الله (ص) دار بني مالك بن النجار .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك . قال قال رسول الله (ص) : « خير دور الانصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الاشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الانصار خير » فقال سعد بن عباد : ما أرى النبي (ص) إلا قد فضل علينا فقيل قد فضلكم على كثير : هذا لفظ البخارى . وكذلك رواه البخارى ومسلم من حديث أنس وأبي سلمة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عباد بن سهل عن أبي حميد عن النبي (ص) بمثله سواء . زاد في حديث أبي حميد : فقال أبو أسيد لسعد بن عباد : ألم تر أن النبي (ص) خير الانصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعد النبي (ص) فقال : يا رسول الله خيرت دور الانصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أوليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار » قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الانصار الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى [والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم] وقال تعالى [والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوقش نفسه فأولئك هم المفلحون] وقال رسول الله (ص) : « لولا الهجرة لكنت أمراً من الانصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم ، الانصار شعار والناس دثار » وقال « الانصار كرشى وعيبتى » وقال « أنا سلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم » وقال البخارى حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبه حدثني عدى بن ثابت قال سمعت البراء بن عازب يقول سمعت رسول الله (ص) - أو قال قال رسول الله (ص) - : « الانصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة به . وقال البخارى أيضاً حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا شعبه عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير عن أنس بن مالك عن النبي (ص) . قال : « آية الايمان حب الانصار ، وآية النفاق بغض الانصار » ورواه البخارى أيضاً عن أبي الوليد (و) الطيالسي ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهيدي أنهما سمعا

عن شعبة به . والآيات والاحاديث في فضائل الانصار كثيرة جداً . وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس المتقدم ذكره أحد شعراء الانصار في قدوم رسول الله (س) اليهم ونصرهم إياه ومواساتهم له ولاصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الاسلام وما خصهم به من رسوله عليه السلام :

نوى في قریش بضع عشرة حجةً يذکر لو یلقی صديقاً موالياً
ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوي ولم ير داعياً
فلما أتانا واطمأنت به النوى (١) وأصبح مسروراً عطية راضياً
والتي صديقاً واطمأنت به النوى وكان له عوناً من الله بادياً
يقص لنا ما قال نوح لقومه وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبح لا يخشى من الناس واحداً قريباً ولا يخشى من الناس نائياً (٢)
بذلنا له الاموال من جل (٣) مالنا وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
نُعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعاً ولو كان الحبيب المواسيا
ونعلم أن الله لا شيء غيره وان كتاب الله أصبح هادياً (٤)
أقول اذا صليت في كل بيعة خنائك لا تظهر علينا الأعاديا
أقول اذا جاوزت أرضاً مخيفةً تباركت اسم الله أنت المواليا
فطأ معرضاً ان الختوف كثيرة وانك لا تبقي لنفسك باقيا
فوالله ما يدري الفتى كيف سعيه اذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تحفل النخل المعية (٥) ربها اذا أصبحت رباً وأصبح ناويا

ذكرها ابن اسحاق وغيره ، ورواها عبد الله بن الزبير الحميدى وغيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الانصارى عن عجوز من الانصار قالت : رأيت عبد الله بن عباس يختلف الى صرمة بن قيس يروى هذه الايات . رواه البيهقي .

- (١) والذي في ابن هشام : فلما أتانا أظهر الله دينه . (٢) كذا في المصرية ، وفي ابن هشام والذي في الحلبية : باغيا . (٣) كذا في المصرية بالجيم ومعناه : العظام الكبار من الابل أو معظم كل شيء ، وفي الحلبية وابن هشام بالخاء المهملة . (٤) والذي في ابن هشام : ونعلم أن الله أفضل هادياً ، وأيضاً في ابن هشام اختلاف بسيط عن هذه الرواية في بعض الايات . (٥) في الاصل (مقيمة) بالقاف والتصحيح عن الخشني .

وقد شرفت المدينة أيضا بهجرته عليه السلام اليها وصارت كهفا لاولياء الله وعباده الصالحين ومقلا وحصنا منيعا للمسلمين ، ودار هدى للعالمين والاحاديث في فضلها كثيرة جدا لها موضع آخر نوردها فيه إن شاء الله . وقد ثبت في الصحيحين من طريق حبيب بن يساف عن جعفر بن عاصم عن أبي هريرة . قال قال رسول الله (ص) : « إن الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع عن شعبة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبي (ص) نحوه . وفي الصحيحين أيضا من حديث مالك عن يحيى ابن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) : « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهي المدينة تنقي الناس كما ينقي الكبر خبث الحديد (١) » وقد انفرد الامام مالك عن بقية الأئمة الاربعة بتفضيلها على مكة . وقد قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله قالنا ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو موسى الانصاري ثنا سعيد بن سعيد حدثني أخي عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « اللهم انك أخرجتني من أحب البلاد الى فاسكني أحب البلاد اليك » فاسكنه الله المدينة . وهذا حديث غريب جدا والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذي ضم جسد رسول الله (ص) ، وقد استدلل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها هنا ومحلها ذكرناها في كتاب المناسك من الاحكام إن شاء الله تعالى . وأثمه دليل لم في ذلك ما قال الامام احمد حدثنا أبو البان ثنا شعيب عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدي بن الحمراء أخبره أنه سمع النبي (ص) وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » وكذا رواه احمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهري به . وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل عن الزهري به . وقال الترمذي : حسن صحيح . وقد رواه يونس عن الزهري به . ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ، وحديث الزهري عندي أصح . قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة . قال : وقف رسول الله (ص) على الحزورة فقال : « علمت أنك خير أرض الله وأحب الارض الى الله ، ولولا (١) جاء في النهاية : تنقي بالفاء تخرجه عنها من النقي ، وتنقي بالقاف من اخراج النقي وهو المنح أو من التنقية وهي افراد الجيد من الردي .

أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » وكذا رواه النسائي من حديث معمر به . قال الحافظ البيهقي وهذا وهم من معمر ، وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة وهو أيضاً وهم والصحيح رواية الجماعة . وقال أحمد أيضاً حدثنا إبراهيم بن خالد ثنا رباح عن معمر عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن أبي سلمة عن بعضهم أن رسول الله (س) قال وهو في سوق الحزورة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » ورواه الطبراني عن أحمد بن خليف الحلبي عن الحميدي عن الدراوردي عن ابن أخي الزهري عن محمد ابن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدي بن الحمراء به . فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم والله أعلم .

وقائع السنة للهجرة

اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة - وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة - في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الاسلامي من سنة الهجرة ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفع إليه صك - أى حجة - لرجل على آخر وفيه : إنه يحل عليه في شعبان . فقال عمر : أى شعبان ؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك . فقال قائل : أرخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك ، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد . وقال قائل : أرخوا بتاريخ الروم . وكانوا يؤرخون بملك اسكندر بن فلبس المقدوني فكره ذلك . وقال آخرون أرخوا بمولد رسول الله (س) وقال آخرون بل بمبعثه ، وقال آخرون بل بهجرته ، وقال آخرون بل بوفاته عليه السلام . فقال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتباره . واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخاري في صحيحه : التاريخ ومتى أرخوا التاريخ . حدثنا عبد الله بن مسلم ثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد . قال : ما عدوا من مبعث النبي (س) ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة .

وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه . قال : استشار عمر في التاريخ فاجمعوا على الهجرة وقال أبو داود الطيالسي عن قرة بن خالد السدوسي ^(١) عن محمد بن سيرين قال : قام رجل إلى عمر فقال أرخوا . فقال ما أرخوا ؟ فقال شئ فعله الاعاجم يكتبون في شهر كذا من سنة كذا . فقال (١) في المصرية : عن فروة بن خالد السدوسي ، وفي الحلبية : فروة بن خالد عن السدي ، وصححه من انساب السماني .

عمر : حسن فارخوا ، فقالوا من أى السنين نبداً ؟ فقالوا من مبعثه ، وقالوا من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا وأى الشهور نبداً ؟ قالوا رمضان ، ثم قالوا المحرم فهو مصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا على المحرم .

وقال ابن جرير : حدثنا قتيبة ثنا نوح بن قيس الطائي عن عثمان بن محصن أن ابن عباس كان يقول في قوله تعالى (والفجر وليال عشر) هو المحرم فجر السنة وروى عن عبيد بن عمير . قال : إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسى البيت ، ويؤرخ به الناس ، ويضرب فيه الورق .

وقال احمد : حدثنا روح بن عباد ثنا زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار قال : إن أول من ورخ الكتب يعلى بن أمية باليمن ، وأن رسول الله ﷺ قدم المدينة في ربيع الاول وأن الناس أرخوا لأول السنة .

وروى محمد بن اسحاق عن الزهري وعن محمد بن صالح عن الشعبي أنهما قالا : أرخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم ، ثم أرخوا من بنيان ابراهيم واسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤى . ثم أرخوا من الفيل ، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة - أو ثمانى عشرة - وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بإسانيده وطرقه في السيرة العمريه والله الحمد ، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الاسلامي من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة .

وحكى السهيلي وغيره عن الامام مالك أنه قال : أول السنة الاسلامية ربيع الاول لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله ﷺ .

[وقد استدلل السهيلي على ذلك في موضع آخر بقوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) أى من أول يوم حلول النبي ﷺ ، المدينة ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سنى التاريخ عام الهجرة] ^(١) ولا شك أن هذا الذى قاله الامام مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الاولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لثلا يختلط النظام والله أعلم .

فنقول وبالله المستعان : استهلكت سنة الهجرة المباركة ورسول الله ﷺ مقيم بمكة ، وقد بايع الانصار بيعة العقبة الثانية كما قدمنا في أوسط أيام التشريق وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة ، ثم رجع الانصار وأذن رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله ﷺ ، وحبس أبو بكر

نفسه على رسول الله ﷺ ، ليصحبه في الطريق كما قدمنا ثم خرجا على الوجه الذي تقدم بسطه وتأخر على بن أبي طالب بعد النبي ﷺ ، بأمره ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقاء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين قريبا من الزوال وقد اشتد الضحاء ^(١) .

قال الواقدي وغيره : وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول . وحكاة ابن اسحاق إلا أنه لم يمرج عليه ورجح أنه لثقتي عشرة ليلة خلت منه ، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور . وقد كانت مدة اقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة في أصح الأقوال ، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبي حمزة الضبي عن ابن عباس . قال : بعث رسول الله ﷺ لاربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة . وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر عن روح بن عباد عن زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة . وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة بن أبي أنس بن قيس :

نوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وقال الواقدي عن ابراهيم بن اسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استشهد بقول صرمة :

نوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وهكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدي خمس عشرة حجة ، وهو قول غريب جداً ، وأغرب منه ما قال ابن جرير : حدثت عن روح بن عباد ثنا سعيد عن قتادة قال : نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانين سنة بمكة ، وعشراً بالمدينة . وكان الحسن يقول : عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة ، وهذا القول الآخر الذي ذهب اليه الحسن البصري من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب اليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم ، وهو رواية عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس . قال : أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فكث بمكة عشراً وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال : قرن اسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين يلقى اليه الكلمة والشئ وفي رواية يسمع حسه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعد ذلك جبريل . وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا ، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشراً ، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي والله أعلم .

(١) الضحاء قريبا من نصف النهار ، والضحوة ارتفاع أول النهار ، والضحى ما بين ذلك .

ولما حل الركاب النبوي بالمدينة ، وكان أول نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف وهي قباء كما تقدم فاقام بها - أكثر ما قيل - ثنتين وعشرين ليلة ، وقيل ثمانى عشرة ليلة . وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال . والاشهر ما ذكره ابن اسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم قباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسس في هذه المدة المختلف في مقدارها - على ما ذكرناه - مسجد قباء ، وقد ادعى السهيلي أن رسول الله (ص) أسسه في أول يوم قدم الى قباء وحمل على ذلك قوله تعالى (مسجد أسس على التقوى من أول يوم) ورد قول من أعربها من تأسيس أول يوم ، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى [مسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين] كما تكلمنا على تقرير ذلك في التفسير وذ كرنا الحديث الذي في صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنه . وذ كرنا الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا حسن بن محمد ثنا أبو إدريس ثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدثه أن رسول الله (ص) أقام في مسجد قباء فقال : « إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به ؟ » قالوا : والله يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يفسلون أديارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا . وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه وله شواهد أخر . وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس . وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث عن ابراهيم بن أبي ميمونة عن أبي هريرة عن النبي (ص) . قال : نزلت هذه الآية في أهل قباء (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) . قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية . ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم . ومن قال بأنه المسجد الذي أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير . ورواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحكى عن الشعبي والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير وعطية العوفي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم . وقد كان النبي (ص) يزوره فيما بعد ويصلى فيه ، وكان يأتي قباء كل سبت قارة راكباً وقارة ماشياً وفي الحديث : « صلاة في مسجد قباء كعمرة » وقد ورد في حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذي أشار للنبي (ص) إلى موضع قبلة مسجد قباء ، فكان هذا المسجد أول مسجد بني في الاسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جعل لموم الناس في هذه الملة . واحترزنا بهذا

عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلي لأن ذاك كان خاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم . وقد تقدم اسلام سلمان في البشارات ، أن سلمان الفارسي لما سمع بقدم رسول الله (ص) إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه وهو بقباء قال هذا صدقة فكف رسول الله (ص) فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال هذه هدية فأكل كل منه وأمر أصحابه فأكلوا . تقدم الحديث بطوله [(١)]

فصل في أخبار النبي (ص)

في اسلام عبد الله بن سلام

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام . قال : لما قدم رسول الله (ص) المدينة انجفل الناس ، فكنت فيمن انجفل ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب . فكان أول شيء سمعته يقول : « افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » ورواه الترمذي وابن ماجه من طرق عن عوف الاعرابي عن زرارة ابن أبي أوفى به عنه . وقال الترمذي صحيح . ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبي (ص) ورآه أول قومه حين أتاخ بقباء في بني عمرو بن عوف . وتقدم في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أتاخ عند دار أبي أيوب عند ارتحاله من بقاء إلى دار بني النجار كما تقدم ، فلعله رآه أول ما رآه بقباء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجار والله أعلم . وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس . قال : فلما جاء النبي (ص) جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنتك جئت بحق ، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلمهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فانهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في . فارسل نبي الله (ص) إلى اليهود فدخلوا عليه . فقال لهم : « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأنني جئتكم بحق فاسلموا » قالوا [ذلك] للنبي (ص) قالها ثلاث مرار . قال « فأى رجل فيكم عبد الله » (٢) بن سلام ؟ قالوا ذلك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : أفرايتم إن أسلم ؟ قالوا حاش لله ما كان ليسلم . قال « يا ابن سلام اخرج عليهم » فخرج فقال : يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبت . فاخرجهم رسول الله (ص) . هذا لفظه . وفي رواية فلما خرج عليهم شهد شهادة

(١) ما بين المربعين لم يرد في النسخة الحلبية . (٢) كذا في الاصلين وفي ابن هشام : الحصين

الحق قالوا : شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه فقال : يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعاني ثنا عبد الله بن أبي بكر ثنا حميد عن أنس . قال : سمع عبد الله بن سلام بقدم النبي (ص) . - وهو في أرض له - فأتى النبي (ص) : فقال إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، ما أوز أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بل الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهن جبريل آتفا » قال جبريل : قال « نعم ! » قال عبدو اليهود من الملائكة . ثم قرأ (من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) قال « أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تدوقهم إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد » فقال . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وأنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني . فجاءت اليهود . فقال : « أي رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : « رأيتم إن أسلم ؟ » قالوا أعاده الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه . قال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله (١) ورواه البخاري عن عبد بن منير (٢) عن عبد الله بن أبي بكر به ورواه عن حماد بن

عمر عن بشر بن المفضل عن حميد به

قال محمد ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله ابن سلام . قال : كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم - وكان حيرا علما - . قال : لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته و [زمانه] الذي كنا نتوكل له ، (٣) فكنت بقباء مسرراً بذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله (ص) ، المدينة فلما قدم نزل بقباء في بني عمرو بن عوف . فاقبل رجل حتى أخبر بقدمه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث نحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله (ص) . كبرت ، فقالت عمتي حين سمعت تكبيري : لو كنت سمعت بموسى بن عمران مازدت ، قال قلت لها أي عمه . والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه يمشي بما يمشي به . قال فقالت له : يا ابن أخي أهو الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال قلت لها نعم ! قالت فذاك إذا . قال فخرجت إلى رسول الله (ص) فأسلمت ثم رجعت إلى أهل

(١) الحديث خرجه البخاري قبيل باب اتيان اليهود النبي صلى (ص) حين قدم المدينة وفيه

اختلاف في السياق عن هنا وقد رواه عن حماد بن عمر الخ . (٢) كذا في الاصلين عبد بن منير

ولعله تصحيف عبد بن حميد . (٣) توكل الخبر اذا انتظره .

بيتي فأمرتهم فاسلموا وكنتم اسلامى من اليهود وقلت : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنى أحب أن تدخلتلى فى بعض بيوتك فتغيبنى عنهم ، ثم تسألم عنى فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامى فانهم إن يعلموا بذلك بهتونى وعابونى ، وذكر نحو ما تقدم . قال فظهرت اسلامى واسلام أهل بيتى وأسست عمى خالة بنت الحارث . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى عبد الله ابن أبى بكر حدثنى محمد بن عيسى عن صفية بنت حيي قالت : لم يكن أحد من ولد أبى وعمى أحب إليهما منى ، لم ألقهما فى ولد لهما قط اهش إليهما الا اخذانى دونه ، فلما قدم رسول الله (س) قباء - قرية بنى عمرو بن عوف - غدا اليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فوالله ما جآنا إلا مع مغيب الشمس . فجآنا قاترين كسلانين ساقطين بمشيان المويىنا ، فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلى واحد منهما ، فسمعت عمى أبى ياسر يقول لابى : أهو هو ؟ قال نعم والله ! قال تعرفه بنعمته وصفته ؟ قال نعم والله ! قال فماذا فى نفسك منه ؟ قال عداوته والله ما بقيت . وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبى ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله (س) المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق أخوه حيي بن أخطب - وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بنى النضير - فجلس إلى رسول الله (س) وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعا - فقال : أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أطمئنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لا تهلك ، قال لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر وأصحبه حيي بن أخطب (١) فلا أدري ما آل اليه أمره ، وأما حيي بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوة النبى (س) وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبراً بين يدى رسول الله (س) يوم قتل مقاتلة بن قريظة كما سيأتى إن شاء الله .

فصل في

ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو فى دار بنى سالم بن عوف ، فصلى بالمسلمين الجمعة هناك ، فى واد يقال له وادى رانوااء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله (س) بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقاً لانه والله أعلم لم يكن يتمكن هو

(١) كذا فى الاصلين فى كتب السيرة أنهم كانوا ثلاثة حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب والثالث هو جدى بن أخطب .

وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة
المشركين له ، وأذيتهم إياه .

ذكر خطبة رسول الله (ص) يومئذ

قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن
الجبلي أنه بلغه عن خطبة النبي (ص) في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف
رضي الله عنهم : « الحمد لله أحمدته واستعنيته ، وأستغفره واستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من
يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق
والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو
من الساعة ، وقرب من الاجل . من يطع الله ورسوله فقد رشيد ، ومن يعصهما فقد غوي وفرط
وضل ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن
يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك
ذكرى . وإنه تقوى لمن عمل به على وجل وخافة ، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ، ومن
يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل
أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه
أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد . والذي صدق قوله ، وأتمم وعده ، لا خلف لذلك ،
فانه يقول تعالى (ما يبذل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر
والعلانية فإنه (من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) (ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً)
وإن تقوى الله توفى مقته ، وتوفى عقوبته ، وتوفى سخطه . وإن تقوى الله تبيض الوجه ، وترضى
الرب ، وترفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم
سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه وجاهدوا
في الله حق جهاده هو اجتباكم وماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
ولا قوة إلا بالله ، فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه
وبين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ،
الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، هكذا أوردها ابن جرير وفي السند ارسال .

وقال البيهقي : باب - أول خطبة خطبها رسول الله (ص) حين قدم المدينة - .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن

بكبير عن ابن اسحاق حدثني المنيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والاحنف بن شريق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله (ص) ، بالمدينة أن قام فيهم محمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد أيها الناس قدموا لانفسكم تعلمن والله ليضعن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه - ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه - ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآتينك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تميز الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله (١) ورحمة الله وبركاته » ثم خطب رسول الله (ص) مرة أخرى فقال : « أن الحمد لله أحمد واستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم [ولا تملوا كلام الله وذكروه ولا تقسى عنه قلوبكم] فانه من (٢) يختار الله ويصطفى فقد سماه خيرته من الاعمال وخيرته من العباد ، والصالح من الحديث ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته وصدقوا الله صالحا ما تقولون بأفواهكم وتجاوبوا بروح الله بينكم إن الله يفضب أن ينكت عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

وهذه الطريق أيضا مرسله إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الالفاظ .

قَضَى

في بناء مسجده الشريف ومقامه بدار أبي ايوب

وهذا اختلف في مدة مقامه بها ، فقال الواقدي : سبعة أشهر ، وقال غيره أقل من شهر والله أعلم . قال البخاري حدثنا اسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد قال سمعت أبي يحدث فقال حدثنا أبو التياح يزيد بن حميد الضبي حدثنا أنس بن مالك . قال : لما قدم رسول الله (ص) المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملائكة بني النجار فجاءوا (١) وفي ابن هشام : والسلام عليكم وعلى رسول الله . (٢) كذا في المصرية ، وفي الحلبية فانه من كل مختار الله . وفي ابن هشام : فانه من كل ما يخلق الله يختار ، وما بين المربعين من ابن هشام .

منقلدى سيوفهم ، قال وكأني أنظر إلى رسول الله (ص) على راحلته وأبو بكر ردفه ، وملاً بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب ، قال فكان يصلى حيث أدر كته الصلاة ، ويصلى في مرايض الغنم ، قال ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملاً بنى النجار فجاء فقال « يا بنى النجار فامنوني بمحاطكم هذا » فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل ، قال فكان فيه ما أقول لكم ، كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله (ص) بقبور المشركين فنبتت ، وبالنخرب فسويت ، وبالنخل فقطع . قال فصفا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادته حجارة ، قال فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسول الله (ص) معهم يقول ^(١) « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فأنصر الانصار والمهاجرة » وقد رواه البخارى في مواضع أخر ومسلم من حديث أبي عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد . وقد تقدم في صحيح البخارى عن الزهري عن عروة أن المسجد الذى كان مربداً - وهو بيدر التمر - ليتيمين كانا في حجر أسعد بن زرارة وهما سهل وسهيل ، فسأوا مهما فيه رسول الله (ص) فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله فابى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً . قال وجعل رسول الله (ص) يقول وهو ينقل معهم التراب :

هذا الحمال لاحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول :

لاهم إن الاجر أجر الآخرة فأرحم الانصار والمهاجرة

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه نخلا له في بياضة ، قال وقيل ابتاعه منهما رسول الله (ص) .

قلت : وذكر محمد بن اسحاق أن الربد كان لفلانين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو والله أعلم .

وروى البيهقي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا حدثنا الحسن بن حماد الضبي ثنا عبد الرحيم ابن سليمان عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن . قال : لما بنى رسول الله (ص) المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره ، فقال « ابنوه عريشا كعريش موسى » فقلت للحسن : ما عريش موسى ؟ قال إذا رفع يديه بلغ العريش - يعنى السقف - وهذا مرسل . وروى من حديث حماد بن سلمة عن أبي سنان عن يعلى بن شداد بن أوس عن عبادة أن الانصار جمعوا مالا فأتوا به النبي (ص) فقالوا : يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه ، إلى متى نصلى تحت هذا الجريد ؟ فقال : « ما بى رغبة عن أخى موسى ، عريش كعريش موسى » وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال

(١) وفي البخارى ورسول الله (ص) معهم يقولون الخ .

أبو داود حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الله بن موسى عن سنان عن فراس عن عطية العوفي عن ابن عمر أن مسجد النبي (ص) كانت سواريه على عهد رسول الله (ص) من جنوع النخل ، أعلاه مظلل بجر يد النخل : ثم إنها تحربت في خلافة أبي بكر ، فبناها بمجدوع وبجر يد النخل ، ثم إنها تحربت في خلافة عثمان فبناها بالأكبر ، فما زالت ثابتة حتى الآن . وهذا غريب . وقد قال أبو داود أيضا حدثنا مجاهد بن موسى حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثني أبي عن أبي صالح ثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله (ص) مبفيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد النبي (ص) باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا . وغيره عثمان رضى الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقصة (١) وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج (٢) وهكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن يعقوب بن إبراهيم به .

قلت : زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه متأولا قوله (ص) « من بنى لله مسجداً ولو كفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة » وواقفه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيـد فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال اليه ، وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان قائم على المدينة وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في وقته ، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

قال ابن اسحاق : ونزل رسول الله على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله (ص) ليرغب المسلمين في العمل فيه . فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه . فقال قائل من المسلمين :

لئن قمنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل
وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

فيقول رسول الله (ص) « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » قال فدخل

(١) القصة هي الجص كما في النهاية . (٢) في المصرية : بالسلاح وفي الحلبية بالساح تصحيف
والساج الواح من الشجر .

عمار بن ياسر وقد اقلوه باللبن فقال : يا رسول الله قتلوني يحملون علي مالا يحملون . قالت أم سلمة فرأيت رسول الله (س) ينفض وفرته بيده - وكان رجلا جدا - وهو يقول : « ويح ابن ممية ليسوا بالذين يقتلونك إنما يقتلك الفئة الباغية » وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمد بن اسحاق وبين أم سلمة وقد وصله مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن - يعني ابني أبي الحسن البصري - عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله (س) : « تقتل عمار الفئة الباغية » ورواه من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أن رسول الله (س) قال لعمار وهو ينقل الحجارة : « ويحك يا ابن ممية تقتلك الفئة الباغية » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن أمه عن أم سلمة قالت : لما كان رسول الله (س) وأصحابه يبنون المسجد ، جعل أصحاب النبي (س) يحمل كل واحد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي (س) فسبح ظهره . وقال « ابن ممية ، للناس أجر ولك أجران ، وآخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية » وهذا اسناد على شرط الصحيحين . وقد أورد البيهقي وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري . قال : كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين . فرآه النبي (س) فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من القتل . لكن روى هذا الحديث الامام البخاري عن مسدد عن عبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء ، وعن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء به إلا أنه لم يذكر قوله تقتلك الفئة الباغية .

قال البيهقي : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبي نضرة عن أبي سعيد [قال أخبرني من هو خير مني أن رسول الله (س) قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « يؤس ابن ممية » فئة باغية » وقد رواه مسلم أيضا من حديث شعبة عن أبي مسلم عن أبي نضرة عن أبي سعيد [(١) قال حدثني من هو خير مني - أبو قتادة - أن رسول الله (س) قال لعمار بن ياسر « يؤس لك يا ابن ممية تقتلك الفئة الباغية » وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وهيب عن دلود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (س) لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة ، وعمار - فانه من وجع كان به - فجعل يحمل لبنتين لبنتين قال أبو سعيد فحدثني بعض أصحابي أن رسول الله (س) كان ينفض التراب عن رأسه ويقول : « ويحك ابن ممية تقتلك الفئة الباغية » . قال البيهقي : قد فرق بين ما ممعه بنفسه وما ممعه من أصحابه . قال ويشبه أن

(١) ما بين المربعين عن الحلبي قطع .

يكون قوله الخندق وهما أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق والله أعلم .

قلت : حمل اللين في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم . وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه قتلته الفئة الباغية وقد قتلته أهل الشام في وقعة صفين وعمار مع علي وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه . وقد كان على أحق بالامر من معاوية . ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الامر فاتهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيبا بل المصيب له أجران والخطي له أجر ، ومن زاد في هذا الحديث بعد قتل تلك الفئة الباغية - لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة - قد افترى في هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم . وأما قوله يدعوم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فإن عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الله لفته واجتماع الكلمة . وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالامر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أوزاعاً على كل قطر امام برأسه ، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الامة فهو لازم مذهبهم وفاشي عن مسلكهم ، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم . وسيأتي تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن تأييده وتوفيقه والمقصود ههنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوي على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل حدثنا أبو عبد الله الحافظ أملاء ثنا أبو بكر بن أسحاق أخبرنا عبيد بن شريك ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حشر بن نباتة عن سعيد ابن جهمان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله . قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « هؤلاء ولاية الامر بعدي » . ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني عن حشر بن سعيد عن سفينة . قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد وضع حجراً . ثم قال « ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر » . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « هؤلاء الخلفاء من بعدي » وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً ، والمعروف ما رواه الامام احمد عن أبي النضر عن حشر بن نباتة العبسي ^(١) وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد وحماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون من بعد ذلك الملك » . ثم قال سفينة أمسك ؛ خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة

(١) كذا بالأصل ، وهو حشر بن نباتة الاشجعي .

عُثْمَانُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً وَخِلَافَةً عَلَى سِتِّ سِنِينَ ، هَذَا لَفْظُ أَحْمَدَ . وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرَقٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَهَانَ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ وَلَفْظُهُ « الْخِلَافَةُ بَعْدَى ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يَكُونُ مَلِكًا عَضُوضًا » وَذَكَرَ بَقِيَّتَهُ .

قُلْتُ : وَلَمْ يَكُنْ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ (ص) ، أَوَّلَ مَا بَنِيَ مَذْبَحٌ يُخْطَبُ النَّاسُ عَلَيْهِ ، بَلْ كَانَ النَّبِيُّ (ص) يُخْطَبُ النَّاسَ وَهُوَ مُسْتَنَدًّا إِلَى جَذْعٍ عِنْدَ مَصْلَاهُ فِي الْحَائِطِ الْقَبْلِيِّ فَلَمَّا اخْتَذَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَذْبَحَ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ وَعَدَلَ إِلَيْهِ لِيُخْطَبَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا جَاوَزَ ذَلِكَ الْجَذْعَ خَارَ ذَلِكَ الْجَذْعُ وَحَنَ حَنِينُ النُّوْقِ الْعُشَارِ لَمَّا كَانَ يَسْمَعُ مِنْ خُطْبِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَهُ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ (ص) ، فَاحْتَضَنَهُ حَتَّى سَكَنَ كَمَا يَسْكُنُ الْمَوْلُودُ الَّذِي يَسْكُتُ كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ مِنْ طَرَقٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعْدِيِّ وَجَابِرِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ وَأُمِّ سُلَيْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بَعْدَ مَا رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ الْخَشْيَةُ تَحْنُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، شَوْقًا إِلَيْهِ ، أَوْ لَيْسَ الرِّجَالُ الَّذِينَ يَرْجُونَ لِقَاءَهُ أَحَقُّ أَنْ يَشْتَاقُوا إِلَيْهِ ؟ !

تَنْبِيْهِ عَلَى فَضْلِ هَذَا الْمَسْجِدِ الشَّرِيفِ

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَنَيْسٍ بْنُ أَبِي يَحْيَى حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ : اخْتَلَفَ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي خَدْرَةَ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ، فَقَالَ الْخُدْرِيُّ هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَقَالَ الْعُمَرِيُّ هُوَ مَسْجِدُ قِبَاءَ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) ، فَسَأَلَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : « هُوَ هَذَا الْمَسْجِدُ » لِمَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَقَالَ « فِي ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ » يَعْنِي مَسْجِدَ قِبَاءَ . وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ قَتِيْبَةَ عَنْ حَاتِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَنَيْسِ بْنِ أَبِي يَحْيَى الْأَسْلَمِيِّ بِهِ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى عَنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ جَمِيعًا عَنْ قَتِيْبَةَ عَنْ اللَّيْثِ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي أَنْسٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ . قَالَ : تَمَارَى رَجُلَانِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ، وَذَكَرْنَا مَا تَقَدَّمَ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ حَمِيدِ الْخُرَاطِ عَنْ أَبِي سُلَيْمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ؟ قَالَ أَبِي أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى فَاخْتَذَ كَفًا مِنْ حَصْبَاءَ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ . ثُمَّ قَالَ : « هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا » وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا رَيْبَعَةُ بْنُ عُثْمَانَ التَّمِيمِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي أَنْسٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ . قَالَ : اخْتَلَفَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى . فَقَالَ أَحَدُهُمَا هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَقَالَ الْآخَرُ هُوَ مَسْجِدُ قِبَاءَ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ (ص) ، فَسَأَلَاهُ فَقَالَ

« هو مسجدى هذا » وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمى عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي (ص) قال : « المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا » فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول (ص) ، وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير . وقال آخرون لا منافاة بين نزول الآية في مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه الاحاديث . لان هذا المسجد أولى بهذه الصفة : من ذلك لان هذا أحد المساجد الثلاثة التى تشد الرحال اليها كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس » وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد عن النبي (ص) قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها . وثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال : « صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وفي مسند احمد بأسناد حسن زيادة حسنة وهى قوله « فان ذلك أفضل » وفي الصحيحين من حديث يحيى القطان عن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى » والاحاديث في فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها في كتاب المناسك من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الامام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذاك بنى ابراهيم ، وهذا بنى محمد (ص) ، ومعلوم أن محمداً (ص) أفضل من ابراهيم عليه السلام . وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل لانه فى بلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض ، وجرمه ابراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين : فاجتمع فيه من الصفات ما ليس فى غيره ، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

فَضْلُ الْمَسْجِدِ

وبنى لرسول الله (ص) حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له ولاهله وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء قال الحسن بن أبي الحسن البصرى — وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة — لقد كنت أنال أطول سقف فى حجر النبي (ص) يدي . قلت : الا أنه قد كان الحسن البصرى شكلاً ضخماً طويلاً رحمه الله .

وقال السهيلي فى الروض : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من

حجارة مرضومة^(١) وسقوفها كلها من جريد . وقد حكى عن الحسن البصرى ما تقدم . قال وكانت حجره من شعر مربوطة بخشب من عرعر . قال وفي تاريخ البخارى أن بابه عليه السلام كان يقرع بالأظافر ، فدل على أنه لم يكن لأبوابه حلق . قال وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله (ص) إلى المسجد . قال الواقدي وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله بن أريقط الدثلى إلى مكة بعث معه رسول الله (ص) وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع موليا رسول الله (ص) ليأتوا بأهلهم من مكة وبنا معهم بمحلبين وخسمائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا فجاؤا بينى النبي (ص) وفاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة ، وأما أم رومان وأهل النبي (ص) وآل أبي بكر صحبة عبد الله بن أبي بكر وقد شرد بعائشة وأما أم رومان الجللى فى أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول : واعر وساء ، وابنتاه قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول أرسلنى خطامه : فأرسلت خطامه فوقف بأذن الله وسلمنا الله عز وجل . فتقدموا قتلوا بالسبح . ثم دخل رسول الله (ص) بعائشة فى شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتى ، وقدمت معهم أسماء بنت أبى بكر امرأة الزبير بن العوام وهى حامل منم بعبد الله بن الزبير كما سيأتى بيانه فى موضعه من آخر هذه السنة .

قصة عائشة

فما أصاب المهاجرين من حمى المدينة

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف ثنا مالك بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله (ص) المدينة وعك أبو بكر وبلال ، قالت فدخلت عليهما فقلت يا أبا بكر كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول : كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شر الرثلة وكان بلال إذا أفلح عنه الحمى يرفع عقبرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بوادٍ وحولي اذخر وجليل^(٢)

وهل أردن يوماً مياةً مجتةً وهل يبدؤن لى شامةً وطفيل

قالت عائشة : فبحث رسول الله (ص) فاخبرته فقال : اللهم حبيب الينا المدينة نحبنا مكة أو أشد وصحبها وبارك لنا فى صاعها ومدها ، واقل حماها فاجعلها بالجنة . ورواه مسلم عن أبى بكر

(١) مرضومة : أى مصفوفة بعضها فوق بعض ، والرضام من الجبل دون الهضاب .

(٢) الجليل : التمام إذا عظم وجل ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول .

ابن أبي شيبة عن هشام مختصراً . وفي رواية البخاري له عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول : اللهم المن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأميمة بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم حبيب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها وصححها لنا واقل حماها إلى الجحفة » قالت وقدما المدينة وهي أو بأ أرض الله ، وكان بطحان يجري نجلا (١) - يعني ماء آجنا - وقال زياد عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أو بأ أرض الله من الحى فاصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر في بيت واحد فاصابتهم الحى فدخلت عليهم أدهوم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت كيف تجدك يا أبة ؟ فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شركاء نعله

قالت فقلت والله ما يدري أبي ما يقول ، قالت ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك يا عامر ؟ قال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حثفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالنور يحمي جلده برؤوقه

قال فقلت والله ما يدري ما يقول ، قالت وكان بلال إذا أدركته الحى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عميره فقال :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلةً بفخٍّ وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنةً وهل يبتون لي شامةً وظفيل

قالت عائشة : قد كرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم وقلت إنهم ليهنون وما يملكون من شدة الحى فقال : « اللهم حبيب الينا المدينة ، كما حبيت الينا مكة أو أشد ، وبارك لنا في مدها وصاعها ، واقل وباءها إلى مهيعة » ومهيعة هي الجحفة . وقال الامام احمد : حدثنا يونس ثنا ليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي بكر بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت لما قسم رسول الله ﷺ المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال ، فاستأذنت عائشة رسول الله ﷺ في عيادتهم فاذن لها ، فقالت لابي بكر كيف تجدك ؟ فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شركاء نعله

(١) نجلا ، أى نزاً وهو الماء القليل . كذا في النهاية .

وسألت عامراً فقال :

إني وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حثفه من فوقه

وسألت بلالاً فقال :

ياليت شعري هل أبيتن ليلة بفتح وحولٍ إذخر وجليل

فأنت رسول الله (ص) - فاخبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حجب الينا المدينة كما حبيت الينا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها ، وانقل وباءها إلى مهيعة . » وهي الجحفة فيما زعموا وكذا رواد النسائي عن قتيبة عن الليث به ورواد الامام احمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو . قالا : ثنا أبو العباس الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قدم رسول الله (ص) المدينة وهي أو بأ أرض الله ، ووادها بطحان نجل . قال هشام : وكان وبادها معروفا في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي ويثا فاشرف عليها الانسان قيل له أن ينهق نهيق الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي . وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمري لئن عبرت من خيفة الردي نهيق الحمار انني لخروج

وروى البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أن النبي (ص) قال : « رأيت كأن امرأة سوداء فائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة - وهي الجحفة فأولتها أن وباء المدينة نقل الى مهيعة - وهي الجحفة - » هذا لفظ البخاري ولم يخرج مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة . وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : قدم رسول الله (ص) المدينة وهي ويثة ، فذكر الحديث بطوله الى قوله وانقل حماتها الى الجحفة . قال هشام : فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى ورواه البيهقي في دلائل النبوة . وقال يونس عن ابن اسحاق : قدم رسول الله (ص) المدينة وهي ويثة . فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيه (ص) وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول الله (ص) وأصحابه صبيحة رابعة - يعني مكة - عام عمرة القضاء . فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد قذوهم حتى يثرب ، فأمرهم رسول الله (ص) أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنتين ، ولم يمنعه أن يرملوا الاشواط كلها إلا الابقاء عليهم .

قلت : وعمرة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة فاما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل . أو أنهم بقوا في خمار وما كان أصابهم من ذلك الى تلك المدة والله أعلم . وقال زياد عن ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابهم حمى المدينة حتى جاهدوا مرضاً ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ حتى كانوا وما يصلون إلا وهم قعود ، قال فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلون كذلك فقال لهم : « اعلوا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل .

فصل في كتاب

في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والانصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وآمرهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان نزولهم بالحج قبل الانصار أيام بخت نصر حين دوح بلاد المقدس فيما ذكره الطبري . ثم لما كان سيل العرم وتفرقت شذر مفر نزل الاوس والخزرج المدينة عند اليهود فخالقهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الانبياء لكن من الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والاسلام وخذل أولئك لحسدهم وبغيتهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الامام احمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة ثنا عاصم الاحول عن أنس بن مالك . قال : حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والانصار في دار أنس بن مالك . وقد رواه الامام احمد أيضا والبخاري ومسلم وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الاحول عن أنس بن مالك . قال : حالف رسول الله ﷺ بين قريش والانصار في داري . وقال الامام احمد : حدثنا نصر بن باب عن حجاج - هو ابن أرطاة - قال وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن النبي ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والانصار أن يعقلوا معاقلمهم ، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين . قال احمد وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن الحكم عن قاسم عن ابن عباس مثله . تفرد به الامام احمد ، وفي صحيح مسلم عن جابر . كتب رسول الله ﷺ على كل بطن عقولة . وقال محمد بن اسحاق : كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ريعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط ، وبنو عوف على ريعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار وأهل

كل دار بنى ساعنة، وبنى جشم، وبنى النجار، وبنى عمرو بن عوف، وبنى النبيت، إلى أن قال وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا^(١) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بنى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو أثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كفر، ولا ينصر كافر على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يحجر عليهم أديانهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، وإن المؤمنين يبي^(٢) بعضهم بعضا بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اغتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلى أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد . وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(٣) إلا نفسه وأهل بيته، وإن يهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعنة وبنى جشم وبنى الاوس وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشظنة مثل ما لليهود بنى عوف، وإن بطانة يهود كانوا أنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد، ولا ينحجر^(٤) على ثار جرح، وإنه من فتك فبنفسه إلا من ظلم، وإن الله على أثر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للظلوم، وإن يثرب حرام حرفها^(٥) لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بأذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وإن الله على من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من

(١) المفرح المنقل بالدين الكثير العيال قاله ابن هشام . (٢) يبي من البواء أى المساواة .
(٣) لا يوتغ، أى لا يوبقى ويهلك . (٤) فى النهاية : لما منحجر جرحه للبره انفجر . أى اجتمع والتأم . وفى ابن هشام : ينحجر بالزأى ولعلها تصحيف (٥) كذا بالمصرية، وفى الحلبية : خوفها : وفى ابن هشام جوفها ، وفى النهاية : الجرف موضع قريب من المدينة ، ولعله الاصح .

نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فانهم يصلحونه وانهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم ، وان الله جازلن برواقتي ، كذا أورده ابن اسحاق بنحوه . وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره بما يطول .

فَضْلُ

في مؤاخاة النبي (ص) بين المهاجرين والانصار

كما قال تعالى [والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون] وقال تعالى [والذين عاقت ايمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا] قال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد ثنا أبو أسامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولكل جعلنا موالى) قال : ورثة (والذين عاقت ايمانكم) كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصارى دون ذوى رحمه للأخوة التى آخى النبي (ص) بينهم ، فلما نزلت (ولكل جعلنا موالى) نسخت ثم قال (والذين عاقت ايمانكم فآتوهم نصيبهم) من النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصى له . وقال الأمام احمد قرئ على سفيان سمعت عاصما عن أنس قال : حالف النبي (ص) بين المهاجرين والانصار فى دارفا قال سفيان : كانه يقول آخى .

وقال محمد بن اسحاق : وآخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والانصار ، فقال : - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - « فآخوا فى الله أخوين أخوين » ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال « هذا أخى » فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب أخوين ، وكان حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله (ص) ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) ، أخوين واليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين . قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة . قال ابن اسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش

أخوين ، ويقال بل كلان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين ، وطلحة [بن عبيد الله] وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبي ابن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة وعبد بن بشر أخوين ، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسي حليف عبد الأشهل أخوين : ويقال بل كان عمار وثابت ابن قيس بن شماس أخوين .

قلت : وهذا السند ^(١) من وجهين . قال : وأبو ذر بربر بن جنادة ^(٢) والمنذر بن عمرو الملقب لميمت أخوين ، وحاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء أخوين وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفرع ^(٣) أخوين . قال فهؤلاء ممن سمى لنا من كان رسول الله (ص) أخى بينهم من أصحابه رضى الله عنهم .

قلت : وفي بعض ما ذكره نظر ، أما مؤاخاة النبي (ص) وعلى فان من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لاجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبي (ص) لاحد منهم ، ولا مهاجرة لمهاجرة آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلا أن يكون النبي (ص) لم يجعل مصلحة على إلى غيره فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله (ص) من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره . وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولا من زيد بن حارثة فأخاه بهذا الاعتبار والله أعلم . وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فان جعفر ابن أبي طالب إنما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتي بيانه ، فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة اللهم إلا أن يقال إنه أُرصد لاخته إذا قدم حين يقدم ، وقوله وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) أخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة . وكذا رواه مسلم منفرداً به عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وهذا أصح مما ذكره ابن اسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم .

وقال البخاري باب كيف أخى النبي (ص) بين أصحابه . وقال عبد الرحمن بن عوف : أخى النبي (ص) بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة . وقال أبو جحيفة : أخى النبي (ص) بين (١) في الحلبية : وهذا النسب وهو خطأ . (٢) وقال ابن هشام : يقال أبو ذر جندب بن جنادة ، وفي الإصابة . قال : جندب بن جنادة ، وقيل بربر بالتصغير . (٣) قال السهيلي : الفرع بالفتح عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس وبالسكون ابن عبد الله بن ربيعة .

سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما . حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن حميد عن أنس قال قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي (ص) بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري ، فرض عليه أن يناصره أهله وماله فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلتني على السوق . فربح شيئا من أقط وممن ، فرآه النبي (ص) بعد أيام وعليه وضر من صفرة ، فقال النبي (ص) : « مهم يا عبد الرحمن ؟ » قال : يا رسول الله تزوجت امرأة من الانصار . قال « فما سمت فيها ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال النبي (ص) : « أولم ولو بشاة » تفرد به من هذا الوجه . وقد رواه أيضا في مواضع أخر ، ومسلم من طرق عن حميد به . وقال الإمام احمد حدثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله (ص) بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري ، فقال له سعد : أي أخي أنا ؟ أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالي نغذه وتحق امرأتان فانظر أيهما أعجب اليك حتى أطلقها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلتني على السوق . فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وممن . ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران ^(١) فقال رسول الله (ص) « مهم ؟ » قال : يا رسول الله تزوجت امرأة ، قال : « ما أصدقها ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال « أولم ولو بشاة » . قال عبد الرحمن : فلقد رأيته ولو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة . وتعليق البخاري هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فانه لا يعرف مستنداً ^(٢) إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا حميد عن أنس . قال قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ، ولا أحسن بذلا من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال : « لا ! ما أنتم عليهم ودعوتهم الله لهم » هذا حديث ثلاثي الاسناد على شرط الصحيحين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت في الصحيح من ^(٣) وقال البخاري أخبرنا الحكم ابن قافع أخبرنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . قال قالت الانصار : اقم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال لا . قالوا أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة ، قالوا سمعنا وأطعنا . تفرد به . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال روى الله (ص) للانصار « إن إخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم » قالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله (ص) « أو غير ذلك ؟ »

(١) كذا في الاصل ولعله ودك زعفران . (٢) في هامش الحلبية ما يأتي : قوله مستنداً هذا

غريب ، بل رواه البخاري موصولا في أول كتاب البيوع فراجعته فجمعه عن عبد الرحمن .

(٣) هنا يياض في الاصلين . وهو في البخاري في كتاب الوكالة .

قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فكفونهم وتقاسمونيهم الثمر » . قالوا نعم ! وقد ذكرنا ما ورد من الاحاديث والاكثار في فضائل الانصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) الآية .

فضائل الانصار

في موت أبي أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة على قومه بني النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله ﷺ . ليلة العقبة الثانية في قول وكان شابا وهو أول من جمع بالمدينة في نقيع الخضات في هزم النبي كما تقدم .

قال محمد بن اسحاق : وهلك في تلك الاشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة - أو الشقة - . وقال ابن جرير في التاريخ : أخبرنا محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن زريع عن معمر عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ كوى أسعد بن زرارة في الشوكة . رجلاه ثقت . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة . قال قال رسول الله ﷺ : « بئس الميت أبو أمامة ، يهود ومنافق العرب ، يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا » وهذا يقتضى أنه أول من مات بعد مقدم النبي ﷺ ، وقد زعم أبو الحسن بن الاثير في الغابة أنه مات في شوال بعد مقدم النبي ﷺ . بسبعة أشهر فالله أعلم . وذكر محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن بني النجار سألوا رسول الله ﷺ : أن يقيم لهم نقيبا بعد أبي أمامة أسعد بن زرارة فقال : « أنتم أحوالى وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم » وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بني النجار الذي يعتمدون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم . قال ابن الاثير : وهذا رد قول أبي بسم وابن منده في قولهما أن أسعد بن زرارة كان نقيبا على بني ساعدة ، إنما كان على بني النجار ، وصدق ابن الاثير فيما قال . وقد قال أبو جعفر بن جرير في التاريخ : كان أول من توفى بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهدم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيرا حتى مات ، ثم توفى بعده أسعد بن زرارة وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذبحة أو الشقة .

قلت : وكلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس الانصارى الاوسى وهو من بني عمرو بن عوف وكان

شيخنا كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله (ص) المدينة، ولما قدم رسول الله (ص) المدينة ونزل بقباء نزل في منزل هذا في الليل، وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع رضى الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بني النجار كما تقدم. قال ابن الأثير: وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله (ص)، ثم بعده أسعد بن زرارة. ذكره الطبري.

فَضْلٌ

في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد في الاسلام من المهاجرين كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للانصار بعد الهجرة رضى الله عنهما. وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الاسود. ورواه الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حشمة عن أبيه عن جده موزعوا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة، والصحيح ما قدمنا. فقال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت فخرجت وأنا من فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به رسول الله (ص) فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فوضها ثم نفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله (ص)، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه. فكان أول مولود ولد في الاسلام. تابعه خالد بن مخلد عن علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها هاجرت إلى النبي (ص) وهي حبلى. حدثنا قتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير، أتوا به النبي (ص) فاخذ النبي (ص) تمرة فلا كها ثم أدخلها في فيه فأول ما دخل بطنه ريق النبي (ص)، فهذا حجة على الواقدي وغيره لأنه ذكر أن النبي (ص) بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبإرافع ليأتوا بعياله وعيال أبي بكر قد سماهم بهم أثر هجرة النبي (ص) وأسماء حامل منهم أي مقرب قددنا وضعها لولدها، فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحوا بمولده لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرته ولد، فأكذب الله اليهود فيما زعموا.

فَضْلٌ

وبني رسول الله (ص) بعائشة في شوال من هذه السنة

قال الامام احمد: حدثنا وكيع ثنا سفيان عن اسماعيل بن أمية عن عبد الله بن عروة عن أبيه

عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله (ص) في شوال ، وبني بي في شوال ، فأى نساء رسول الله (ص) كان أحظى عنده مني ؟ وكانت عائشة تستحب أن تغسل نساءها في شوال . ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به . وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري ضلي هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر - أو ثمانية أشهر - وقد حكى القولين ابن جرير ، وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة وان دخوله بها كان بالسنح نهاراً وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال رداً لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين وهذا ليس بشيء لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس في ذلك الوقت : تزوجني في شوال ، وبني بي في شوال - أى دخل بي - في شوال ، فأى نساءه كان أحظى عنده مني ؟ فدل هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نساءه اليه ، وهذا الفهم منها صحيح لماد على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في صحيح البخارى عن عمرو ابن العاص : قلت يا رسول الله أى الناس أحب اليك ؟ قال : « عائشة » قلت من الرجال قال « أبوها » .

فَضْرُوءُ الْمَرْءِ

قال ابن جرير : وفي هذه السنة - يعنى السنة الاولى من الهجرة - زيد في صلاة الحضر - فيما قيل - ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعد مقدم النبي (ص) المدينة بشهر في ربيع الآخر لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت ، وقال : وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه . قلت : قد تقدم الحديث الذى رواه البخارى من طريق معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . وروى من طريق الشعبي عن مسروق عنها . وقد حكى البيهقي عن الحسن البصرى أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً والله أعلم . وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى (وإذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية .

فَضْرُوءُ الْمَرْءِ

في الأذان ومشروعيته

قال ابن اسحاق : فلما اطمان رسول الله (ص) بالمدينة واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين واجتمع كبار الانصار استحکم أمر الاسلام ، قامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين أظهرهم وكان هذا الحى من الانصار هم الذين تبوأوا الدار والايمان

وقد كان رسول الله (س) حين قدمها إنما يجتمع الناس اليه للصلاة حين موافقتها بغير دعوة ، فهم رسول الله (س) أن يجعل بوقا كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فتحت ليضرب به للمسلمين للصلاة ، فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله (س) فقال : يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف ، مري رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده ، فقلت يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ فقال وما تصنع به ؟ قال قلت ندعو به إلى الصلاة ، قال ألا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت وما هو ؟ قال تقول ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة حي على الصلاة ، حي على الفلاح حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله (س) قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، قم مع بلال فالتقا عليها فليؤذن بها فانه أندى صوتاً منك » فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله (س) وهو يحجر رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى . فقال رسول الله (س) : فله الحمد . قال ابن اسحاق : فحدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة ابن عبد ربه عن أبيه . وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن اسحاق به ، وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما . وعند أبي داود أنه علمه الاقامة قال ثم تقول إذا أتمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحراني عن ابن اسحاق كما تقدم . ثم قال قال أبو عبيد وأخبرني أبو بكر الحكمي أن عبد الله بن زيد الانصاري قال في ذلك :

الحمد لله ذي الجلال وذو الإكرام حمداً على الأذان كبيرا

إذ أتاني به البشير من الله فأكرمت به لدي بشيرا

في ليالي والي بهن ثلاث كلما جاء زادني توقيرا

قلت : وهذا الشعر غريب وهو يقتضى أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله (س) ، فالحمد أعلم . ورواه الامام احمد من حديث محمد بن اسحاق قال وذكر الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به فمخرواية ابن اسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي ولم يذكر الشعر [وقال ابن ماجه حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي ثنا أبي عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن

سالم عن أبيه أن رسول الله (ص)، استبشار الناس لما يهيمهم من الصلاة، فذكروا البوق فكرمه من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس فكرمه من أجل النصارى. فأرى النداء تلك الليلة رجل من الانصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب، فطرق الانصارى رسول الله (ص)، ليلا فامر رسول الله (ص)، بلالا فاذن به. قال الزهري وزاد بلال في نداء صلاة الغداة، الصلاة خير من النوم مرتين، فاقرها رسول الله (ص)، فقال عمر: يا رسول الله رأيت مثل الذى رأى ولكنه سبقنى، وسيأتى نحرى. هذا الفصل فى باب الأذان من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة. فأما الحديث الذى أورده السهيلي بسنده من طريق البزار حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا أبى عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب فذكر حديث الاسراء وفيه: فخرج ملك من وراء الحجاب فاذن بهذا الاذان وكما قال كلمة صدقه الله تعالى، ثم أخذ الملك بيد محمد (ص)، فقدمه فأم بأهل السماء وفيهم آدم ونوح. ثم قال السهيلي واخلى بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء. فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين. ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله (ص)، ليلة الاسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة فى الدعوة إلى الصلاة والله أعلم (١).

قال ابن هشام: وذكر ابن جرير. قال قال لى عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول: ائتمر النبي (ص)، وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر فى المنام لا يجمعوا الناقوس بل أذنوا للصلاة. فذهب عمر إلى النبي (ص)، ليخبره بما رأى وقد جاء النبي (ص)، الوحي بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن؟ فقال رسول الله (ص)، حين أخبره بذلك «قد سبقك بذلك الوحي» وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم.

قال ابن اسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بنى النجار قالت: كان يبنى من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطى ثم قال: اللهم احمدك واستعينك على قریش لأن يقيموا دينك، قالت ثم يؤذن، قالت والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة - يعنى هذه الكلمات. وزواه أبو داود من حديثه منفرداً به.

في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن جرير: وزعم الواقدي أن رسول الله (س) عقد في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرة حمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعترض لميراث قريش وأن حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدي بن عمرو ولم يكن بينهم قتال ، قال وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي .

في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب *

قال ابن جرير: وزعم الواقدي أيضا أن النبي (س) عقد في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض وأمره بالسير إلى بطن رابغ . وكان لوائه مع مسطح بن أثانة فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ، وأنهم التقواهم والمشركون على ماء يقال له أحياء وكان بينهم الرمي دون المسابقة . قال الواقدي : وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثلث عندنا ، وقيل كان عليهم مكرز بن حفص .

قال الواقدي : وفيها - يعني في السنة الأولى في ذي القعدة - عقد رسول الله (س) السعد بن أبي وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن الأسود ، فحدثني أبو بكر بن اسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد [عن أبيه] . قال : خرجت في عشرين رجلا على أقدامنا ، أو قال أحد وعشرين رجلا ، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى أصبحنا الخرار صبح خامسة ، وكان رسول الله (س) قد عهد إلى أن لا أجوز الخرار ، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم . قال الواقدي : كانت العير ستين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين . قال أبو جعفر بن جرير (رح) وعند ابن اسحاق (رح) أن هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلها في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابن اسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر (رح) لمن تأمله كما سنورده في أول كتاب المغازي في أول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلوما نحن فيه إن شاء الله ، ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى ، وستريدها بسطا وشرحا إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى . والواقدي (رح) عنده زيادات حسنة ، وتاريخ محرر غالبا فانه من أئمة هذا الشأن الكبار

وهو صدوق في نفسه مكنثار كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل والله الحمد والمنة .

فصل في بيان

وممن ولد في هذه السنة المباركة - وهي الاولى من الهجرة - عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد في الاسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق رضي الله عنهما ، ومن الناس من يقول ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ومن الناس من يقول إنها ولدا في السنة الثانية من الهجرة والظاهر الاول كما قدمنا بيانه والله الحمد والمنة ، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل إن المختار بن أبي عبيد وزيايد بن سمية ولدا في هذه السنة الاولى ^(١) فانه أعلم . وممن توفي في هذه السنة الاولى من الصحابة ؛ كلثوم بن الهدم الاوسي الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بني النجار كما تقدم ، وبعده - فيها - أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبنى المسجد كما تقدم رضي الله عنهما وارضاهما .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة - يعني الاولى من الهجرة - مات أبو أحيحة بماله بالطائف ومات الوليد بن المغيرة والعماس بن وائل السهمي فيها بمكة . قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله عز وجل .

(١) وفي الاصلين : في هذه السنة الثانية وهو خطأ وصحتها من تاريخ ابن جرير .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ -

ذِكْرُ مَا وَقَعَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ

وقع فيها كثير من المغازي والسرائيا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها ، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل ، والهدى والغي . وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله المستعان

كتاب المغازي

قال الامام محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب السيرة بعد ذكر أخبار اليهود ونصبتهم العداوة للإسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات ، فكتبهم حيي بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدي ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع الاعور ، فاجر أهل الحجاز وهو الذي قتله الصحابة بارض خيبر كما سيأتي ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو ابن جحاش ، وكعب بن الاشرف وهو من طيء ثم أحد بني نهان وأمه من بني النضير ، وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع كما سيأتي ، وحليفاه الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس لعنهم الله فهؤلاء من بني النضير ، ومن بني ثعلبة بن الفطيمون عبد الله بن صوريا ، ولم يكن بالحجاز - بعد - أعلم بالتوراة منه . قلت : وقد قيل إنه أسلم ، وابن صلوا بخير يق وقد أسلما يوم أحد كما سيأتي وكان جبر قومه ، ومن بني قينقاع زيد بن اللصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن شيخان ^(١) وعزيز بن أبي عزيز ^(٢) وعبد الله بن ضيف ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص وأشيع ونعمان بن أضا ، وبحري بن عمرو ، وشاش بن عدى ، وشاش بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمير ^(٣) وسكين بن أبي سكين ، وعدى بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك ابن صيف ^(٤) وكعب بن راشد ، وعازر ورافع بن أبي رافع ، وخالد وازار بن أبي ازار . قال ابن هشام : ويقال آزر بن أبي آزر ، ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريمة ، ورافع بن خارجة ، ومالك ابن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام .

(١) كذا في الاصلين شيخان : وفي ابن هشام : محمود بن سبحان . (٢) كذا في النسخة الخلبية وابن هشام والسهيلي : وفي المصرية : عزيز بن أبي عزيز بالراء (٣) كذا في المصرية وفي الخلبية : عمر ، وفي ابن هشام عمرو . (٤) وقال ابن هشام : يقال ابن الضيف بالمعجمة .

قلت : وقد تقدم اسلامه رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : وكان جبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله . قال ابن اسحاق : ومن بني قريظة الزبير بن باطا ابن وهب ، وعزال بن شموال ^(١) وكعب بن أسد وهو صاحب عقدهم الذى تقضوه عام الأحزاب وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكيئة ، والنحام بن زيد ، وكردم بن كعب ^(٢) وهب بن زيد ونافع بن أبي نافع ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن زميلة ، وجبيل بن أبي قشير ، وهب بن يهودا . قال ومن بني زريق ، لبيد بن أعمم وهو الذى سحر رسول الله ﷺ ، ومن يهود بني حارثة ، كنانة بن صوريا . ومن يهود بني عمرو بن عوف قردم بن عمرو ، ومن يهود بني النجار ، سلسلة بن برهام .

قال ابن اسحاق : فهؤلاء أحبار يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ ، وأصحابه رضى الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الاسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعتن والعناد والكفر قال وأصحاب النصب لأمر الاسلام ليظفئوه إلا ما كان من عبد الله بن سلام ونخيريقي ، ثم ذكر اسلام عبد الله بن سلام واسلام عمته خالدة كما قدمناه وذكر اسلام نخيريقي يوم أحد كما سيأتى وأنه قال لقومه - وكان يوم السبت - يا معشر يهود والله إنكم لتعملون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا إن اليوم يوم السبت ، قال لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى من وراه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يرى فيها ما أراه الله - وكان كثير الاموال - ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، قال فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغنى « نخيريقي خير يهود » .

فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ

ثم ذكر ابن اسحاق من مال إلى هؤلاء الاضداد من اليهود من المناقين من الأوس والخزرج فمن الأوس زوى ^(٣) بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصامت الانصارى وفيه نزل (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحر ، فهاها ابن امرأته عمير بن سعد إلى رسول الله ﷺ ، فانكر الجلاس ذلك وحلف ما قال قتل فيه ذلك . قال وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير قال وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذى قتل المجنن بن ذكوان البلوى وقيس

(١) فى الحلبية : شمويل ، وفى ابن هشام مموال بالسین المهملة . (٢) وفى ابن هشام : قردم بالقاف

(٣) وفى ابن هشام : زوى بالراء بدل الواو .

ابن زيد أحد بنى ضبيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين وكان مناققا فلما التقى الناس عدا عليهما قتلتهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر قد قتل أباه سويد بن الصامت في بعض حروب الجاهلية فاخذ بنأر أبيه منه يوم أحد ، كذا قال ابن هشام . وقد ذكر ابن اسحاق أن الذي قتل سويد بن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء قتله في غير حرب قبل يوم بعثت رماء بسهم قتلته . وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد ، قال لأن ابن اسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله (ص) . أمر عمر بن الخطاب بقتله أن هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فانزل الله - فيما بلغني عن ابن عباس - (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين) إلى آخر القصة . قال : وبجناد بن عثمان بن عامر ، ونبذ بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله (ص) : « من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا » وكان جسيما أدلم نأر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله (ص) ، ثم ينقله إلى المناققين وهو الذي قال : إنما محمد أذن ، من حدثه بشئ صدقه . فانزل الله فيه (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) الآية . قال : وأبو حبيبة بن الأزعر وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثلعة بن حاطب ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ثم فكشا ، فنزل فيهما ذلك ، ومعتب هو الذي قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا فنزل فيه الآية . وهو الذي قال يوم الأحزاب كان محمد يعدنا أنا نأكل كنوزكم سوى وقيصر ، واحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه [واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا] . قال ابن اسحاق : والحارث بن حاطب . قال ابن هشام . ومعتب بن قشير وثلعة والحارث ابنا حاطب ، وهما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المناققين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم . قال وقد ذكر ابن اسحاق ثلعة والحارث في بنى أمية بن زيد في أسماء أهل بدر .

قال ابن اسحاق : وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وبخروج وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمرو بن حرام ^(١) وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطف ، وابناه يزيد ^(٢) ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع أكثر القرآن و [كان] يصلى بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضرار كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك وكان في أيام عمر سأل أهل قباه

(١) كذا في الحلبي ، والمصرية : عمر بن حزام ، وابن هشام عمرو بن خدام .

(٢) وفي ابن هشام . زيد .

عمر أن يصلي بهم مجمع فقال : لا والله ، أو ليس امام المناقبين في مسجد الضرار ؟ خلف بالله ما علمت بشئ من أمرهم فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم . قال ووديعه بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذي قال : إنما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه ذلك قال وخدام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره . قال ابن هشام مستدركا على ابن اسحاق في مناقب بني النبيت من الاوس وبشر ورافع ابنا زيد . قال ابن اسحاق : ومربع بن قيطي - وكان أعمى - وهو الذي قال لرسول الله (ص) حين أجاز في حائطه وهو ذاهب إلى أحد : لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر في حائطى وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لرميتك بها ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (ص) : « دعوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر » وقد ضربه سعد ابن زيد الاشلمي بالقوس فشجه . قال وأخوه أوس بن قيطي وهو الذي قال : إن بيوتنا عورة . قال الله (وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً) قال وحاطب بن أمية بن رافع وكان شيخاً جسيماً قد عسا^(١) في جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بني ظفر . فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع اليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا يقولون : أبشر بالجنة يا ابن حاطب . قال فنجم نفاق أبيه فجعل يقول : أجل جنة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه . قال وبشير بن أبيرق أبوطعمة سارق الدرعين الذي أنزل الله فيه (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآيات . قال وقزمان حليف لبني ظفر الذي قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال : والله ما قاتلت إلا حمية على قومي ثم مات لعنه الله . قال ابن اسحاق : ولم يكن في بني عبد الاشمل منافق ولا منافقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود فهؤلاء كلهم من الاوس . قال ابن اسحاق : ومن الخزرج رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو ابن سهل ، والجد بن قيس وهو الذي قال : ائذن لي ولا تفتني ، وعبد الله بن أبي بن سلول ، وكان رأس المناقبين ورئيس الخزرج والاوز أيضاً ، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم في الجاهلية ، فلما هدام الله للاسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغازله ذلك جداً ، وهو الذي قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفي وديعة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل قوله تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) الآيات حين مالوا في الباطن إلى بني النضير .

(١) عسا أى كبر وأسن من عسا التضييب اذا يبس .

ثم ذكر ابن اسحاق من أسلم من أجباز اليهود على سبيل التقية فكانوا كفارا في الباطن فاتبعهم بصنف المنافقين وهم من شرم ، سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقةه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلتني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها » فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك . قال ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حريمة ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « يوم مات - فيما بلغنا - : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » ورافعة بن زيد بن النابوت ، وهو الذي هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال : « إنها هبت موت عظيم من عظماء الكفار » فلما قدموا المدينة وجدوا رافعة قد مات في ذلك اليوم وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا . فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود قال فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع في المسجد يوما منهم أناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا ، فقام أبو أيوب إلى عمرو ابن قيس أحد بني النجار - وكان صاحب آلتهم في الجاهلية - فآخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول - لعنة الله - أخرجني يا أبا أيوب من مر بد بني ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجاري فلبيه بردائه ، ثم نثره نثراً شديداً ^(١) ولطم و - فآخذه من المسجد وهو يقول : أف لك منافقا خبيثا . وقام عماره بن حزم إلى زيد بن عمرو - وكان طويل اللحية - فآخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عماره يديه جميعاً فلدسه بهما لدمة ^(٢) في صدره خر منها قال يقول : خ - شتني يا عماره ، فقال عماره : أبعذك الله يا منافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقرب مسجد رسول الله ﷺ . وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار - وكان بدريا - إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا - وليس في المنافقين شاب سواه - فجعل يدفع - فآخذه حتى أخرجه . وقام رجل من بني خندرة إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو - وكان ذا جمة - فآخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث ، فقال : إنك أهل لذلك أي عدو الله

(١) النثر : جذب فيه قوة وجفوة عن النهاية . (٢) أي ضربه ودفعه ، واللطم الضرب ببطن الكف .

لما أنزل فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله (ص) ، فانك نجس ، وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فاخرجه اخراجا عنيفا وأقف^(١) منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمره ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ، وتكلم على تفسير ذلك فاجاد وأجاد رحمه الله .

أول المغازي وهي غزوة الابهاء او غزوة ودان

وهو بمث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتي في المغازي . قال البخاري كتاب المغازي . قال ابن اسحاق : أول ما غزا رسول الله (ص) الابهاء . ثم بواط ، ثم العشرة . ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله (ص) ؟ قال : تسع عشرة شهد منها سبع عشرة أولهن العسيرة - أو العشرة - . وسيأتي الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العسيرة إن شاء الله وبه الثقة . وفي صحيح البخاري عن بريدة قال : غزا رسول الله (ص) ست عشرة غزوة ولمسلم عنه أنه غزا مع رسول الله (ص) ست عشرة غزوة ، وفي رواية له عنه أن رسول الله (ص) غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمانين منهن . وقال الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله (ص) غزا سبع عشرة غزوة وقاتل في ثمانين يوم بدر ، وأحد ، والاحزاب ، والمريسيع ، وقديد وخيبر ، ومكة ، وحنين . وبمث أربعين مائة وعشرين مائة . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي التنوخي ثنا الهيثم بن حميد أخبرني النعمان عن مكحول أن رسول الله (ص) غزا ثمانية عشر غزوة ، قاتل في ثمان غزوات ، أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الاحزاب ، ثم قريظة ، ثم بدر معونة ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ثم غزوة مكة ، ثم حنين والطائف^(٢) قوله بدر معونة بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتي . قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله (ص) ثمانين عشرة غزوة ، وسمعت مرة أخرى يقول أربعين . فلا أدري أكان ذلك وهما أو شيئاً سمعه بعد ذلك . وقد روى الطبراني عن الدبري^(٣) عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . قال : غزا رسول الله (ص) أربعين مائة وعشرين غزوة وقال عبد الرحمن بن حميد في مسنده حدثنا سعيد بن سلام ثنا زكريا ابن اسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر . قال : غزا رسول الله (ص) إحدى وعشرين غزوة . وقد روى الحاكم من طريق هشام عن قتادة أن مغازي رسول الله (ص) وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين .

(١) أي ألقى طرف نوبه على أفه وقال أف أف استقذاراً . (٢) الغزوات المذكورة تسع لثمانية فليحذر . (٣) في الاصلين الذي والديري وإنما هو اسحاق بن ابراهيم الديري بالباء .

ثم قال الحاكم : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت في الاكليل على الترتيب بعوث رسول الله (ص) وسراياه زيادة على المائة . قال وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر ، السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين . وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جداً ، وحله كلام قتادة على ما قال فيه نظر . وقد روى الامام احمد عن أزهر بن القاسم الراسبي عن هشام الدستوائي عن قتادة أن مغازى رسول الله (ص) وسراياه ثلاث وأربعون ، أربع وعشرون بعثاً ، وتسع عشرة غزوة . خرج في ثمان منها بنفسه ، بدر ، وأحد ، والاحزاب ، والمريسيع ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين . وقال موسى بن عقبة عن الزهري : هذه مغازى رسول الله (ص) التي قاتل فيها ، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق — وهو يوم الاحزاب وبني قريظة — في شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بني المصطلق و بني لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله (ص) حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثقتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الارباء . وقال حنبل بن هلال عن اسحاق بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن البجلي عن معمر عن الزهري قل : أول آية نزلت في القتال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآية بعد مقدم رسول الله (ص) المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله (ص) يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال ثم غزا بني النضير ، ثم غزا أحداً في شوال — يعني من سنة ثلاث — ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع ، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله (ص) إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزا رسول الله (ص) الارباء ، ثم المشيرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بني سليم ، ثم غزوة الارباء (١) ثم غزوة بدر الاولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة . ثم ذكر البعوث ، هكذا كتبه من تاريخ الحافظ ابن عساكر وهو غريب جداً ، والصواب ما سنده فيما بعد إن شاء الله مرتباً . وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له كما رواه محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عن أبيه سمعت علي بن الحسين يقول : كنا نعلم مغازى النبي (ص) ، كما نعلم السورة من القرآن . قال الواقدي : وسمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت عمي الزهري يقول : في علم المغازي علم الآخرة والدنيا وقال محمد بن اسحاق (رح) في (١) كذا بالاصلين مكرر اغزوة الارباء والذي في ابن هشام : الارباء ، بواط ، المشيرة الخ .

المغازي بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤس الكفر من اليهود والمناقبين لعنهم الله أجمعين وجمعهم في أسفل سافلين . ثم إن رسول الله (ص) تهيأ لخر به وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين ، قال وقد قدم رسول الله (ص) المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تمتدل لتنتق عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول ، ورسول الله (ص) يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة فاقام بقية شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر وجهادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة وولى تلك الحجة المشركون . والحرم ، ثم خرج رسول الله (ص) غازيا في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عباد . قال ابن اسحاق : حتى بلغ ودان وهي غزوة الابداء ، قال ابن جرير : ويقال لها غزوة ودان أيضا ، يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعه منهم نخشى بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ذلك . ورجع رسول الله (ص) إلى المدينة ولم يلق كيذا فاقام بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الاول . قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها عليه السلام . قال الواقدي وكان لواؤه مع عمه حمزة ، وكان أبيص . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) بني مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين - أو ثمانين - راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز أسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به في سبيل الله في الاسلام . ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حامية وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو والبرأني حليف بنى زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بنى نوفل بن عبد مناف ، وكافا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار . قال ابن اسحاق : وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل . وروى ابن هشام عن أبي عمرو بن العلاء (١) عن أبي عمرو المدني أنه قال : كان عليهم مكرز بن حفص .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان ، أحدهما أنه مكرز ، والثاني أنه أبو سفيان صخر بن حرب وأنه رجع أنه أبو سفيان فله أعلم . ثم ذكر ابن اسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق في هذه السرية التي أولها :

أمن طيفر سلمي بالبطاح الدمائث أرقط وأمر في العشرة حادث
تري من لؤي فرقة لا يصدّها عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

(١) في ابن هشام : حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء .

رسول أقام صادق فتكذبوا عليه وقالوا لست فينا بما ك
إذا ما دعوناكم إلى الحق أدبروا وهروا هرباً الخجرات اللوات
القصيدة إلى آخرها ، وذكر جواب عبد الله بن الزبير في مناقضتها التي أولها :
أمن رسم دار أقفرت بالشعاعث بكيت بعين دمعها غير لاث
ومن عجيب الأيام - والدمر كله له عجب - من سابقات وحادث
لجيش أمانا ذي عرام يقوده عبدة يدعى في الهياج ابن حارث
لترك أصناماً بمكة عكفا موارث موروث كريم لوارث

وذكر تمام القصيدة وما منعنا من إيرادها بتمامها إلا أن الامام عبد الملك بن هشام (رح) وكان
إماماً في اللغة ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرون هاتين القصيدتين . قال ابن اسحاق وقال سعد
ابن أبي وقاص في رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هل أنى رسول الله أنى حيث صحابى بصور نبلى
أزود بها أوائلهم ذباداً بكل حزونة وبكل سهل
فا يئس رام في عمو بسهم يارسول الله قبلى
وذلك أن دينك دين صدق وذو حق أتيت به وفضل (١)
ينجى المؤمنون به ويخزي به الكفار عند مقام مهل (٢)
فهلأ قد غويت فلا تعبني غوي الحى وبحك يا ابن جهل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد . قال ابن اسحاق : فكانت راية
عبدة - فيما بلغنا - أول راية عقدتها رسول الله (ص) في الاسلام لاحد من المسلمين . وقد خالفه
الزهرى وموسى بن عقبة والواقدي فذهبوا إلى أن بعث حمزة قبل بعث عبدة بن الحارث والله أعلم
وسأنتى في حديث سعد بن أبي وقاص أن أول امراء السرايا عبد الله بن جحش الاسدي
قال ابن اسحاق : وبعض العلماء يزعم أن رسول الله (ص) بعثه حين أقبل من غزوة ابواء
قبل أن يضل إلى المدينة وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهرى .

فصل في مناقضتها

قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى
سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد فلقى أبا
(١) الذى فى ابن اسحاق : وعدل . (٢) وفى ابن هشام بدل مهل سهل ومهل : إهمال وتثبت .

جبل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجنبى وكان موادعا للفرقةين جميعا ، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن اسحاق : وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عفاها رسول الله (ص) لاحد من المسلمين ، وذلك أن بعث عبيدة كاتا معا فشبّه ذلك على الناس

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الابداء . فلما قتل عليه السلام من الابداء بعث عبيدة بن الحارث في سنتين من المهاجرين ، وذكر نحو ما تقدم . وقد تقدم عن الواقدي أنه قال : كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الاولى ، وبعدها سرية عبيدة في شوال منها والله أعلم . وقد أورد ابن اسحاق عن حمزة رضى الله عنه شعرا يدل على أن رايته أول راية عقدت في الاسلام ، لكن قال ابن اسحاق : فان كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقا ، والله أعلم أى ذلك كان . فاما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبادة أول . والقصيدة هي قوله :

ألا يا قومي للتحلم والجمل	وللتقصير من رأي الرجال والعقل
والراكيينا بالمظالم لم نطأ	لم حرمات من سوام ولا أهل
كأننا بئتناهم ولا بئل (١) عندنا	لم غير أمر بالعفاف والعدل
وأمر باسلام فلا يقبلونه	ويُنزل منهم مثل بمنزلة الهزل
فما برحوا حتى انتدبت لغارهم	لم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافقي	عليه لواء لم يكن لاح من قبل
لواء لديه النصر من ذي كرامة	إله عزيز فعله أفضل الفعل
عشية ساروا حاشدين وكلينا	مراجله من غيظ أصحابه ثغلي
فلما تراءوا أفاخوا فمقلوا	مطاي وعقلنا مدي غرض النبل
وقلنا لم جبل إلا له نصيرنا	ومالككم إلا الضلالة من جبل
فتر أبو جبل هنالك باغيا	نخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين راكبا	وهم مائتان بعد واحدة فضل
فبال لؤي لا تطيعوا غواتكم	وفيشوا إلى الاسلام والمنهج السهل
فاني أخاف أن يصب عليكم	عذاب فتدعوا بالندامة والشكل

(١) كذا في المصرية ، ومعنى البتل القطع ، وفي الحلبية وابن هشام : نبلناهم بالنون ومعناها رميناهم بالنبل .

قال فاجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال :

عجبتُ لاسبابِ الخنيظة والجهل وللشاعبين بالخلاف وبالْبطل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا عليه ذوى الاحساب والسؤدد الجرل
ثم ذكر تمامها . قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمة رضى الله
عنه ولأبى جهل لعنه الله .

غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله (ص) في شهر ربيع الاول - يعنى من السنة الثانية - يريد
قريشا . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون . وقال الواقدي : استخلف
عليها سعد بن معاذ . وكان رسول الله (ص) في مائتي راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبى وقاص
وكان مقصده أن يعترض لمير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل والفان وخمسمائة بعير .
قال ابن اسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيذاً فلبث بها
بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الاولى] .

غزوة العشيرة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد . قال الواقدي : وكان لواؤه مع
حمة بن عبد المطلب . قال وخرج عليه السلام يتعرض لميراث قريش ذاهبة إلى الشام .
قال ابن اسحاق : فسلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيحاء الخييار ، فنزل تحت شجرة يبسطها
ابن أزهر يقال لها ذات الساق فصلى عندها قتم مسجده ، فصنع له عندها طعاماً فاكل منه وأكل
الناس معه ، فرسوم أنافى البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب ثم ارتحل فترك
الخلائق (١) ييسار وسلك شعبة عبد الله ، ثم صب للشاد (٢) حتى هبط ملل ، فنزل بمجمعه ومجتمع
الضبوعة ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بصخيرات الجمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة
من بطن ينبع فاقام بها جمادى الاولى ولبال من جمادى الآخرة وواعد فيها بنى مدلج وحلفاءهم من
(١) الخلائق بالخاء المعجمة : البئر التي لاماء فيها . وقال السهيلي : بالخاء المهملة آبار معلومة ورجح
الرواية الاولى . (٢) صب للشاد كذا في المصرية وابن هشام . وقال الخشنى صب للساد (بالسین
المهملة) ثم قال وصوابه لليسار وصحفه في الحلبية فقال : صب اليسار .

بنى ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيلاً . وقد قال البخارى حدثنا عبد الله ثنا وهب ثنا شعبة عن أبي اسحاق . قال : كنت إلى جنب زيد بن أرقم قليل له كم غزا رسول الله (س) من غزوة ؟ قال : تسع عشرة . قلت كم غزوت أنت معه ؟ قال سبع عشرة غزوة ، قلت فأيهن كان أول ؟ قال العشير - أو العسير - قد كرت لقتادة فقال : العشير . وهذا الحديث ظاهر في أن أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين وبهما مع حذف التاء ، وبهما مع المد اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهداها مع النبي (س) زيد بن أرقم العشيرة وحينئذ لا ينفى أن يكون قبلها غيرها لم يشهدا زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن اسحاق وبين هذا الحديث والله أعلم .

قال محمد بن اسحاق : ويومئذ قال رسول الله (س) لعلى ما قال فحدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي حدثني أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمار بن ياسر . قال كنت أنا وعلى بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة من بطن ينبع ، فلما نزلها رسول الله (س) أقام بها شهراً فصالح بها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة فوادعهم ، فقال لي على بن أبي طالب : هل لك يا أبا اليقظان أن تأتي هؤلاء النفر - من بنى مدلج يعملون في عين لم - ننظر كيف يعملون ؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فقمنا فيه ، فوالله ما أهبنا إلا ورسول الله (س) يحركنا بقدمه فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله (س) لعلى : « يا أبا تراب » لما عليه من التراب ، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال : « ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين ؟ » قلنا بلى يا رسول الله فقال « أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضر بك يا على هذه - ووضع رسول الله (س) يده على رأسه - حتى تبل منها هذه - ووضع يده على لحيته - » وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر في تسمية على أبا تراب كما في صحيح البخارى أن علياً خرج مغاضباً فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله (س) فسألهما عنه فقالت خرج مغاضباً فجاء إلى المسجد فليقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول : « قم أبا تراب قم أبا تراب » .

غزوة بدر - الأولى

قال ابن اسحاق : ثم لم يبق رسول الله (س) بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليال قلائل لا تبلغ العشرة حتى أغار كرز بن جابر النهري على ممرح المدينة ، فخرج رسول الله (س) في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ، وهي غزوة بدر الأولى ، وقاته كرز فلم يدركه . وقال الواقدي : وكان لواءه مع على بن أبي طالب . قال ابن هشام والواقدي : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن اسحاق : فرجع رسول الله (ص) فاقام جمادى ورجبا وشعبان وقد كان بعث بين يدي ذلك سعيلاً في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز . قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ثم رجع ولم يلق كيلاً . هكذا ذكره ابن اسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة ، أعني بعث حمزة في رمضان ، وبعث عبيدة في شوال ، وبعث سعد في ذي القعدة كلها في السنة الاولى .

وقد قال الامام احمد : حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب حدثني يحيى بن سعيد . وقال عبد الله بن الامام احمد وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي حدثنا أبي ثنا الجاهلي عن زياد ابن علاقة عن سعد بن أبي وقاص . قال لما قدم رسول الله (ص) المدينة جاءته جبهة فقالوا إنك قد نزلت بين أظهرنا فلوثق حتى نأتيك وقومنا ، فلوثق لهم فاسلموا قال فبعثنا رسول الله (ص) في رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة إلى جنب جبهة فاعرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جبهة فقمعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام ؟ قال بعضنا لبعض ما ترون ؟ فقال بعضنا نأتي نبي الله فنخبره ، وقال قوم لا بل نقيم ههنا ، وقلت أنا في أمس معي لا بل نأتي غير قریش فنقتطعها . وكان النبي إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له ، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي (ص) فأخبروه الخبر فقام غضبان محر الوجه . فقال : « أذهبتم من عندي جميعاً ورجعتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لا يمتن عليكم رجلا ليس بتخيركم أصبركم على الجوع والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش الاسدي فكان أول أمير في الاسلام . وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث يحيى بن أبي زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون في الشهر الحرام فقالوا انقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام ثم رواه من حديث أبي أسامة عن مجالد عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك عن سعد بن أبي وقاص قد ذكر نحوه فادخل بين سعد وزيد قطبة بن مالك وهذا أنسب والله أعلم . وهذا الحديث يقتضي أن أول السرايا عبد الله بن جحش الاسدي وهو خلاف ما ذكره ابن اسحاق أن أول الرايات عقت لعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللواقدي حديث زعم أن أول الرايات عقت لحمزة بن عبد المطلب والله أعلم .

باب سرية جسر اللهيبي

التي كان سببها لغزوة بدر العظمى^(١) وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) عبد الله بن جحش بن رثاب الاسدي في رجب

(١) كذا بالاصلين ، ولعلها : التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى .

مقتله من بدر الاولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد ، وهم أبو حذيفة بن عتبة ، وعكاشة بن محصن بن حرتان حليف بني أسد بن خزيمه ، وعتبة بن غزوان حليف بني نوفل ، وسعد بن أبي وقاص الزهري ، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بني عدى ، وواقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي حليف بني عدى أيضا ، وخالد بن الكبير أحد بني سعد بن ليث حليف بني عدى أيضا ، وسهل بن بيضاء الفهري ف هؤلاء سبعة فامتهم أميرهم عبد الله ابن جحش رضي الله عنه . وقال يونس عن ابن اسحاق : كانوا ثمانية وأميرهم التاسع ط الله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحدا . فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فاذا فيه إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر في الكتاب قال ممما وطاعة وأخبر أصحابه بما في الكتاب . وقال : قد نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع فاما أنا فامض لأمر رسول الله ﷺ ، فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بجران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة ، فرت عبر لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ، قال ابن هشام : واسم الحضرمي عبد الله بن عباد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فاشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه . فلما رأوه أمنوا ، وقال عمار : لا بأس عليكم منهم وتشاور الصحابة فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنن به منكم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد ابن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأقلت القوم نوفل بن محمد الله فاعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ . وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : ان لرسول الله ﷺ ، فيما غنمنا الحنص ففرله وقسم الباقي بين أصحابه وذلك قبل أن ينزل الحنص . قال لما نزل الحنص نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله ابن اسحاق ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام فوقف العبير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا لما قال ذلك رسول الله ﷺ . أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وغنمهم أخوانهم من

المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسرؤا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان ، وقالت يهود : تفائل بذلك على رسول الله (ص) عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو عمرت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقتت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لاهم ، فلما أكره الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله (ص) [يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا] أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة أكبر من القتل أي قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا فازعين ، ولهذا قال الله تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) الآية .

قال ابن اسحاق : فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق ، قبض رسول الله (ص) العير والاسيرين ، وبعث قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله (ص) « لا تفديكموها حتى يقدم صاحبانا » - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فاما فخرناكم عليهما . فان قتلوهما نقتل صاحبكم . فقدم سعد وعتبة فافداهما رسول الله (ص) فاما الحكم بن كيسان فاسلم فحسن اسلامه وأقام عند رسول الله (ص) حتى قتل يوم بدر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً قال ابن اسحاق : فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ظمعو في الأجر ، فقالوا يا رسول الله أنيطع أن تكون لنا غزاة نعطي فيها أجر المجاهدين ؟ فانزل الله فيهم إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم [فوصفهم ^(١) الله من ذلك على أعظم الرجاء . قال ابن اسحاق : والحديث في ذلك عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري وكذا روى شعيب عن الزهري عن عروة نحوه من هذا وفيه ؛ وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين . وقال عبد الملك بن هشام : هو أول قتيل قتله المسلمون ، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

(١) كذا بالاصلين ، وفي ابن هشام : فوضعهم الله من ذلك ولعله الصواب .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الامام احمد عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الاسلام . وقد ذكرنا في التفسير لما أورده ابن اسحاق شواهد مسندة فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المسمى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله (ص) بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح . أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب بكى صباة إلى رسول الله (ص) فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا . وقال « لا تكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك » فلما قرأ الكتاب استرجع وقال ممعاً وطاعة لله ولرسوله ، فخيرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع منهم رجلان وبقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي قتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام ، فأنزل الله [يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير] الآية . وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وذلك أن رسول الله (ص) بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان وسهل بن بيضاء وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله البربوعي حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب لابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص فأننى موص وماض لأمر رسول الله (ص) فسار ونحلف عنه سعد وعتبة أضلاً راحلة لهما فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة فإذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة . فذكر قتل واقد لعمر وبن الحضرمي ورجعوا بالغنيمة والاسيرين فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون . وقال المشركون إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب . وقال المسلمون إنما قتلناه في جمادى . قال السدي وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة . قلت : لعل جمادى كان ناقصاً فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال روى تلك الليلة والله أعلم . وهكذا روى العوفي عن ابن عباس أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا وكذا تقدم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم . وقد تقدم في سياق ابن اسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهبوا هذه الفرصة دخل أولئك في الحرم فيتعذر عليهم ذلك فاقدموا عليهم عائلين بذلك وكذا قال الزهري

عن عروة رواه البيهقي قاله أعلم أى ذلك كان . قال الزهري عن عروة قبلنا أن رسول الله (ص) عقل ابن الحضرمي وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله براءة رواه البيهقي .

قال ابن اسحاق : فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش جواباً للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام . قال ابن هشام هو لعبد الله بن جحش :

تعدّون قتلاً في الحرام عظيمةً وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صُدّوكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله لئلا يرى لله في البيت ساجد
فانا وإن عبّتمونا بقتله وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقيناً من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا ينازعه غل من القيد غاند

فصل في

في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم كان ذلك في رجب من سنة ثنتين وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن اسحاق . وقد روى احمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتي والله أعلم . وقيل في شعبان منها . قال ابن اسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش : ويقال صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله (ص) المدينة وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدي فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة . قال الجمهور الاعظم : إنما صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة . ثم حكى عن محمد بن سعد عن الواقدي أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وفي هذا التحديد نظر والله أعلم . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير عند قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شريعة) وأن الذين أوثقوا الكتاب يعطون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون) . وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمناقين والجهلة الطغام على ذلك لأنه أول نسخ وقع في الاسلام هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله (ما ننسخ من آية ، أو ننسأها^(١)) فأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) وقد قال البخاري حدثنا أبو نعيم

(١) كذا في الاصلين : ننسأها وهي قراءة أبي عمرو . وقراءة حفص ننسأها .

مع زهيراً عن أبي اسحاق عن البراء أن النبي (ص) صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً - أو سبعة عشر شهراً - وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فرعى أهل مسجد وهم را كعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي (ص) قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما تقول فيهم فانزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) رواه مسلم من وجه آخر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء . قال : كان رسول الله (ص) قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً ، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فانزل الله [قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام] . قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . فانزل الله [قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] وحاصل الأمر أن رسول الله (ص) كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً - أو سبعة عشر شهراً - وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم . وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبله إبراهيم وكان يكثر الدعاء والنضرع والابتهاال إلى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطره إلى السماء سائلاً ذلك فانزل الله عز وجل [قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام] الآية . فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله (ص) المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائي عن أبي سعيد بن المعلى وأن ذلك كان وقت الظهر . وقال بعض الناس نزل تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد وغيره . ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر . قال : بينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله (ص) قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك . والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والاعبياء قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها هذا والكفرة من أهل الكتاب يملكون أن ذلك من الله لما يجدونه من صفة محمد (ص) في كتبهم من أن المدينة مهاجرة وأنه سيؤمر

بالاستقبال إلى الكعبة كما قال (وإن الذين أوردوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) الآية وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونعتهم فقال (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أى هو المالك المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه الذى يفعل ما يشاء فى خلقه ويحكم ما يريد فى شرعه وهو الذى يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن الطريق القويم وله فى ذلك الحكمة التى يجب لها الرضا والتسليم ثم قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى خياراً (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) أى وكما اخترنا لكم أفضل الجهات فى صلاتكم وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الانبياء بعد التى كان يصلى بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلناكم خيار الامم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم النال والطارف لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لاجماعهم عليكم واشارتهم يومئذ بالفضيلة اليكم كما ثبت فى صحيح البخارى عن أبى سعيد مرفوعاً من استشهد نوح بهذه الامة يوم القيامة وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الاولى والاخرى . ثم قال تعالى مبيناً حكمته فى حلول نعمته بمن شك وارتاب بهذه الواقعة . وحلول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة . فقال : (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول) . قال ابن عباس : إلا لئلا ترى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكيرة أى وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الاثر إلا على الذى هدى الله أى فهم مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون ويؤمنون ويعملون لانهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقدر الخبير اللطيف العليم وقوله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة اليه (إن الله بالناس لرؤف رحيم) والاحاديث والآثار فى هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها وذلك مبسوط فى التفسير وستزيد ذلك بيانا فى كتابنا الاحكام الكبير . وقد روى الامام احمد حدثنا على بن عاصم حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) - - - - - فى أهل الكتاب - - : « إنهم لم يحسدونا على شئ كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هداها الله اليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هداها الله لها وضلوا ، وعلى قولنا خلف الامام آمين » .

فَضَّلَ

فى فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر

قال ابن جرير : وفى هذه السنة فرض صيام شهر رمضان وقد قيل إنه فرض فى شعبان منها ، ثم

حكى أن رسول الله (س) حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه فقالوا هذا يوم نجي الله فيه موسى . فقال : « نحن أحق بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن ابن عباس وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر [الآية] وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية في ذلك والأحكام المستفادة منه والله الحمد .

وقد قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن معاذ بن جبل . قال : احييت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فذكر أحوال الصلاة . قال وأما أحوال الصيام فان رسول الله (س) قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) إلى قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فجزأ ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) إلى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وأثبت الاطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حوالان . قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فاذا ناموا امتنعوا . ثم إن رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فاصبح صائما ، فراه رسول الله (س) . قد جهد جهدا شديدا فقال : « مالي أراك قد جهدت جهدا شديدا » فآخبره ، قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما قام فأتى رسول الله (س) فذكر ذلك له فانزل الله (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم) إن قوله (ثم أنموا الصيام إلى الليل) . ورواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي نحوه وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت : كان عاشوراء يصام ، فأنزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وللبخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله . ولتحريره هذا ، موضع آخر من التفسير ومن الأحكام الكبير وبالله المستعان .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أمر الناس بركاة الفطر ، وقد قيل إن رسول الله (س) خطب

الناس قبل الفطر يوم - أو يومين - وأمرهم بذلك. قال وفيها صلى النبي (ص) صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى فكان أول صلاة عيد صلاحها وخرجوا بين يديه بالحربة وكانت للزبير وهبها له النجاشي فكانت تحمل بين يدي رسول الله (ص) في الأعياد.

قلت: وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة بدر العظمى * يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وقال الله تعالى [كما أخرجك ربك من بينك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون وإذ يمدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون] وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الانفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه.

قال ابن اسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش: ثم إن رسول الله (ص) جمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام في غير قريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلا - أو أربعون - منهم مخزومة بن نوفل وعمر بن العاص. قال موسى بن عقبة عن الزهري كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين، قال وكان في الميرالف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى فل هذا تخلف عن بدر.

قال ابن اسحاق: فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وبزید بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا: لما جمع رسول الله (ص) بأبي سفيان مقبلا من الشام نذب المسلمين اليهم وقال: « هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس تخفف بعضهم وتقل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله (ص) يلقي حربا، وكان أبو

سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس^(١) من لقي من الركبان تخوفا على أموال^(٢) الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولديرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الفغاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة . قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أنهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قالوا : وقد رأت عائكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا افزعته فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أظفنتني ونحوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فآكنتم على ما أحدثك ، قال لها وما رأيت ؟ قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلا صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فيبيناهم حوله مثل به بهيرد على ظهر السكبة ثم صرخ بمنلها . ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بهيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمنلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقية . قال العباس : والله إن هذه لرؤيا وأنت فآكنتموها لا تذكريها لاحد ، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة - وكان له صديقا - فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لابنه عتبة ففشأ الحديث حتى تحدثت به قريش ، قال العباس ففدت لأطوف بالبيت وأبو جهل ابن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عائكة ، فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فاقبل الينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟ قال قلت وما ذاك ؟ قال تلك الرؤيا التي رأت عائكة قال قلت وما رأت ؟ قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتر بصم بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فيكون : وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب ، قال العباس فوالله ما كان مني إليه كبير شيء إلا أني جعلت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئا ، قال ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ؟ قال قلت قد والله فعلت ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لا تعرضن له فاذا عاد

(١) في الاصلين : يتجسس بالجيم ، وفي ابن هشام يتجسس بالحاء المهملة وشرحهما السهيلي

قال : يتسمع . (٢) كذا في الحلبية وفي المصرية على أمر الناس ، وفي ابن هشام عن أمر الناس .

لا كفيكنه ، قال فندوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنى قد فانتى منه أمر أحب أن أدركه منه . قال فدخلت المسجد فرأيت فوالله إني لامشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، قال قلت في نفسى ماله لعنه الله أكل هذا فرق منى أن أشاته ؟ ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ يبطن الوادى واقفا على بعيره قد جدد بعيره وحول رحله وشق قيصة وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تتركوها ، الفوث الفوث . قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر ، فتجهز الناس سراعا وقالوا أياظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ؟ والله ليعلمن غير ذلك . وذكر موسى بن عقبة رؤيا عاتكة كمنحو من سباق ابن اسحاق . قال فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصعب والدلول .

قال ابن اسحاق : فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من اشرافها أحد الا ان أبا لخب بن عبدالمطلب بعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها . قال ابن اسحاق : وحدثنى ابن أبى نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأفاد عقبة بن أبى معيط وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه بمجرة يحملها فيها نار ومجر حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا على استجمر فأتيت أنت من النساء . قال قبحك الله وقبح ما جئت به ، قال ثم تجهز وخرج مع الناس هكذا قال ابن اسحاق فى هذه القصة . وقد رواها البخارى على نحو آخر فقال حدثنى احمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة ثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى اسحاق حدثنى عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقا لامية بن خلف وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله (ص) المدينة انطلق سعد بن معاذ متمرا فنزل على أمية بمكة ، قال سعد لامية أنظر لى ساعة خلوه لعلى أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل ، فقال يا صفوان من هذا معك ؟ قال هذا سعد . قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمننا وقد أويتم الصبابة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما ، فقال له سعد - ورفع صوته عليه - أما والله لئن منعنى هذا لامنعتك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة . فقال له أمية لا ترفع صوتك يا سعد على أبى الحكم فإنه سيد أهل الوادى ، قال سعد دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنهم قاتلونك » قال بمكة ؟ قال لا أدري ؟ ففرع لذلك أمية فرعا شديدا

فلما رجع إلى أهله قال يا أم صفوان ألم ترى ما قال لي سعد؟ قالت وما قال لك قال زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي، قُلت له بمكة. قال: لا أدري. فقال أمية والله لا أخرج من مكة فلما كان يوم بدر. استنفر أبو جهل الناس فقال أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج فأناه أبو جهل فقال يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال أما إذ عبتني فوالله لا شترين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية يا أم صفوان جهزني فقالت له يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليتيم قال لا وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر. وقد رواه البخاري في موضع آخر عن محمد بن اسحاق عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي اسحاق به نحوه، تفرد به البخاري. وقد رواه الإمام أحمد عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيد كلاهما عن إسرائيل وفي رواية إسرائيل قالت له امرأته: والله إن محمداً لا يكذب.

قال ابن اسحاق: ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كانوا بينهم وبين بني بكر ابن عبد مناة بن كنانة من الحرب. فقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر في ابن الحنفص بن الأخيف من بني عامر بن لؤي قتله رجل من بني بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص قتل عامراً وخاض بسيفه في بطنه ثم جاء من الليل فعلقه بإستار الكعبة فخافهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم.

قال ابن اسحاق: فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما اجتمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه ابن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة. فقال: أنا لكم جار من أن تأتكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعا. قلت: وهذا معنى قوله تعالى [ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط]. وإذا زبن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما ترامت الفئتان انكص على عقبيه وقال إني برئ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب] غرهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وراياته كما قاله غير واحد منهم، فأسلمهم لمصارعهم. فلما رأى الجند والملائكة تنزل للنصر وعابن جبريل نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله. وهذا كقوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين) وقد قال الله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) فإبليس لعنه الله لما عابن الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهباً فكان أول من

هزب يومئذ بعد أن كان هو المشجع لهم المجير لم كما غرم ووعدهم ومنام وما يمدم الشيطان إلا غرورا . وقال يونس عن ابن اسحاق : خرجت قريش على الصعب والذل في تسعة وخمسين مقاتلا معهم مائتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويفتنن بهجاء المسلمين . وذكروا المطعمين لقريش يوما يوما ، وذكروا الاموي أن أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشرا ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعصفان تسعا ، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشرا ، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظلوا فيها وأقاموا بها يوما فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعا ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشرا ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشرا ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشرا ، ونحر لهم على ماء بدر أبو البختري عشرا ، ثم أكلوا من أزوادهم . قال الاموي حدثنا أبي حدثنا أبو بكر الهذلي قال كان مع المشركين ستون فرسا وستائة درع وكان مع رسول الله (ص) فرسان وستون درعا .

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيهم من مكة ومسيرهم إلى بدر . وأما رسول الله (ص) فقال ابن اسحاق : وخرج رسول الله (ص) في ليل مضت من شهر رمضان في أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب ابن عمير وكان أبيض ، وبين يدي رسول الله (ص) رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب ، والآخرى مع بعض الانصار . قال ابن هشام كانت راية الانصار مع سعد بن معاذ وقال الاموي كانت مع الحباب بن المنذر . قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) على الساقة قيس بن أبي صفصة أخا بني مازن بن النجار . وقال الاموي : وكان معهم فرسان على إحداهما مصعب بن عمير وعلى الآخرى الزبير بن العوام (١) ومن سعد بن خيشمة ومن المقداد بن الاسود . وقد روى الامام احمد من حديث أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وروى البيهقي من طريق ابن وهب عن أبي صخر عن أبي معاوية البلخي عن سميد بن جبير عن ابن عباس أن عليا قال له : ما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود - يعني يوم بدر - وقال الاموي حدثنا أبي حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن التيمي قال : كان مع رسول الله (ص) يوم بدر فارسان ، الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد بن الاسود على الميسرة .

قال ابن اسحاق : وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها ، فكان رسول الله (ص) وعلى ومرثد بن

(١) قوله ومن سعد إلى الأسود . كذا في الأصلين ولم نقف على صحتها فيما بأيدينا من كتب السير ولعله (ويتعقبانها مرة سعد بن خيشمة ومرة المقداد بن الاسود .

أبي مرثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة يعتقبون بعيراً . كذا قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى . وقد قال الامام احمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود . قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلى زميلي رسول الله (س) . قال فكانت عقبة رسول الله (س) ، فقالا نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتم بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الاجر منكما » وقد رواه النسائي عن الفلاس عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة به . قلت : ولعل هذا كان قبل أن يرد أبو لبابة من الروحاء ، ثم كان زميلاه على ومرثد بدل أبي لبابة والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة : أن رسول الله (س) أمر بالاجراس أن تقطع من أعناق الابل يوم بدر ، وهذا على شرط الصحيحين . وإنما رواه النسائي عن أبي الاشعث عن خالد ابن الحارث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به . قال شيخنا الحافظ المزني في الاطراف وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة . وقد رواه هشام عن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة فأنه أعلم . وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث بن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب . قال سمعت كعب بن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله (س) في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله (س) يريد عبر قریش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد تفرد به .

قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله (س) طريقه من المدينة إلى مكة على قبة المدينة ثم على العقيق ثم على ذي الحليفة ثم على أولات الجبش ثم مر على ترابان ثم على ملل ثم على غميس الحام ثم على صخيرات البمامة ثم على السبالة ثم على فيج الروحاء ثم على شنوكة وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية لقي رجلا من الاعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا ، فقال له الناس سلم على رسول الله (س) ، قال أوفيكم رسول الله (س) ، قالوا نعم ، فسلم عليه ثم قال : لئن كنت رسول الله فآخبرني عما في بطن ناقتي هذه ، قال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسأل رسول الله (س) وأقبل على قاتا أخبرك عن ذلك ، نزوت عليها فني بطبها منك سخلة . فقال رسول الله (س) : ما أخشيت على الرجل ، ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله (س) سحسج وهي بئر الروحاء ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ترك طريق مكة يسار وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا ففلك في ناحية منها حتى إذا جزع^(١) واديا يقال له وحقان بين النازية وبين مضيق الصغراء ثم على المضيق ثم

(١) جزعة أى قطعه ولا يكون الا عرضا ، وجزع الوادى منقطعه .

انصب منه حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة وعدى ابن أبي الزغباء حليف بنى النجار إلى بدر يتجسسان الاخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وغيره وقال موسى بن عقبة بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها فان كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن اسحاق محفوظا فقد بعثهما مرتين والله أعلم .

قال ابن اسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسول الله (ص) وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء وهى قرية بين جبلين سأل عن جبلها ما اسمها ؟ فقالوا يقال لاحدهما مسلح وللآخر مخري ، وسأل عن أهلها فقيل بنو النار ، وبنو خراق ، بطنان من غفار فذكرهما رسول الله (ص) والمرور بينهما وتعامل باسمائهما وأسماء أهلها فتركهما والصفراء بينسار وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم لينموا عيرهم [فاستشار الناس] وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله (ص) خيرا ودعاه . ثم قال رسول الله (ص) : « أشيروا على أيها الناس » وإنما يريد الانصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين يابعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت الينا فانت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله (ص) يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصره إلا ممن دمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله (ص) ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال « أجل » قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر غخصته لخطبنا معك ما نخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله بربك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله قال فسر رسول الله (ص) . يقول سعد ونشطه ثم قال : « سيروا وابشروا فان الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم » هكذا رواه ابن اسحاق رحمه الله . وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به ، أتى النبي (ص) وهو يدعو

على المشركين . فقال : لا نقول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي (ص) أشرق وجهه وسره انفرد به البخاري دون مسلم فرواد في مواضع من صحيحه من حديث مخارق به ورواه النسائي من حديثه وعنده : وجاء المقداد بن الاسود يوم بدر على فرس قد كره . وقال الامام احمد حدثنا عبيدة - هو ابن حميد - عن حميد الطويل عن أنس قال : استشار النبي (ص) فخرجه إلى بدر فآشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم فآشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعض الانصار : إياكم يريد رسول الله يأمركم الانصار . فقال بعض الانصار : يا رسول الله إذا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادهما إلى برك الغماد لاتبعنك . وهذا اسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح . وقال احمد أيضا حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) : « شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فتكلم أبو بكر فاعرض عنه ثم تكلم عمر فاعرض عنه فقال سعد بن عبادة إيانا يريد رسول الله (ص) والذي نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لاختضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادهما إلى برك الغماد لفعلنا ، فندب رسول الله (ص) الناس . قال فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج ، فاخذوه وكان أصحاب رسول الله (ص) يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول مالى علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأمّية بن خلف فاذا قال ذلك ضربه فاذا ضربه . قال نعم ! أنا أخبركم هذا أبو سفيان فاذا تركوه فسألوه قال مالى بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمّية ، فاذا قال هذا أيضاً ضربه ورسول الله (ص) قائم يصلى ، فلما رأى ذلك انصرف فقال والذي نفسى بيده انكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذبكم . قال وقال رسول الله (ص) : « هذا مصرع فلان يضع يده على الارض ههنا وههنا ، فما أطاق أحدهم عن موضع يد رسول الله (ص) » ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به نحوه . وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه - واللفظ له - من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الانصارى يقول قال رسول الله (ص) : « نحن بالمدينة : » إني أخبرت عن غير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغفرناها ؟ « قلنا نعم ! نخرج ونخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا « ما ترون في القوم فانهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ » قلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم ولكننا أردنا العير ، ثم قال « ما ترون في قتال القوم ؟ » قلنا مثل ذلك . فقال المقداد بن عمرو [فقال] : إذا لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، قال فتمنينا معشر الانصار لو أننا

قلنا مثل ما قال المقداد أحب الينا من أن يكون لنا مال عظيم فنأمر الله عز وجل على رسوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) وذ كر تمام الحديث . ورزى ابن مردويه أيضا من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبيه عن جده . قال خرج رسول الله (ص) إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر يارسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا ، قال ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال سعد بن معاذ يارسول الله أيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله اليك غيره فانظر الذي أحدث الله اليك فامض فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت . فنزل القرآن على قول سعد [كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون] الآيات . وذكر الاموى فى مغازيه وزاد بعد قوله وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت يوما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت . وما أمرت به من أمر فامرنا تبع لا بمرء فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك .

قال ابن اسحاق : ثم ارتحل رسول الله (ص) من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الاصافر ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدية ^(١) وترك الحنّان يمين وهو كنيب عظيم كالجليل العظيم ، ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه . قال ابن هشام هو أبو بكر . قال ابن اسحاق - كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم ؟ فقال له رسول الله (ص) : إذا أخبرتنا أخبرناك فقال أو ذاك بذاك ؟ قال نعم ! قال الشيخ فانه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذى أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به رسول الله (ص) وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمكان الذى به قريش ، فلما فرغ من خبره قال ممن أنتم ؟ فقال له رسول الله (ص) نحن من ماء « ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء آمن ماء العراق ؟ قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سفيان الضمري .

(١) كذا فى الاصلين وابن هشام . وفى معجم البلدان وفى تاريخ ابن جرير فى هذا الخبر : الدبة بالباء الموحدة مشددة وهو الصحيح .

قال ابن اسحاق : ثم رجع رسول الله (ص) إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتصقون الخيل له كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فاصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فاتوا بهما فسألهما رسول الله (ص) قائم يصلي فقالوا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لابي سفيان فضر بهما ، فلما أذلقوهما قالوا نحن لابي سفيان فتركوهما وركع رسول الله (ص) وسجد سجدة وسلم . وقال : « إذا صدقاكم ضريرتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إيهما لقريش ، أخبراني عن قريش ؟ » قالوا هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالمدوة القصوى ، والكتيب المعنقل . فقال لهما رسول الله (ص) : « كم القوم ؟ » قالوا كثير . قال ما عدتهم ، قال لا ندرى ، قال كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا يوما تسعا ويوما عشرا . فقال رسول الله (ص) : « القوم ما بين التسعمائة إلى الالف » ثم قال لهما فن فيهم من أشرف قريش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود . قال فاقبل رسول الله (ص) ، على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن اسحاق : وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرا فأنافا إلى تل قريب من الماء ثم أخذوا شاة لهما يستقيان فيه ، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء فسمع عدى وببس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء والمزومة تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غدا أو بعد غد فأعمل لهما ثم أقضيك الذي لك . قال مجدي صدقت ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدى وببس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله (ص) وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذرا حتى ورد الماء . فقال لمجدي بن عمرو هل أحسست أحدا ؟ قال ما رأيت أحدا أنكره إلا أني قد رأيت راكبين قد أنافا إلى هذا التل ثم استقيا في شئ لهما ثم انطلقا ، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أعمار بعيريهما فآذا فيه النوى . فقال : هذه والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعا فضرب وجه غيره عن الطريق فاحل بها وترك بدرا يسار وانطلق حتى أسرع وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب ابن عبد مناف رؤيا فقال : إني رأيت فيما يرى النائم واني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف و معه بعيره ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم ابن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فمد رجلا من قتل يوم بدر من أشرف قريش ، ثم رأيت

ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضج من دمه فبلغت أبا جهل لعنه الله فقال هذا أيضا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن اسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره أرسل إلى قريش انكم إنما خرجتم لتتمنوا غيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرأً وكان بدر موصيا من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعترف علينا القيان وتسمع بنا العرب ويمسرونا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً فاضوا . وقال الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفاً لبني زهرة - وهم بالجحفة : يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخزمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنوه وماله فاجعلوا بي جبينها وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة لاما يقول هذا . قال فرجعوا فلم يشهدوا زهرى واحداً ، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً ولم يكن بقي بطن من قريش إلا وقد نفر منهم فأس إلا بني عدي لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الاخنس فلم يشهد بدرأً من هاتين القبيلتين أحداً . قال : ومضى القوم وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة . فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال في ذلك :

لَأَعْمَى إِمَّا يَفْزُونَ طَالِبٌ فِي عُصْبَةٍ مُخَالِفٍ مُحَارِبٍ
فِي مَقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمُقَانِبِ فَلَيْكِنْ الْمُسْلُوبُ غَيْرَ السَّالِبِ
وَلَيْكِنْ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ

قال ابن اسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العققل و بطن الوادي وهو يليل ، بين بدر وبين العققل الكثيب الذي خلفه قريش ، والقلب بيدري بالعدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة .

قلت : وفي هذا قال تعالى (اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) أي من ناحية الساحل (ولو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً) الآيات . وبعث الله السماء وكان الوادي دها فاصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه منها ماء لبدلهم الأرض ولم ينعمهم من السير ، وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

قلت وفي هذا قوله تعالى [وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام] فقد ذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً ، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويقه للنفوس ووسوسته الخواطر ، وهذا تثبيت الباطن

والظاهر وأنزل النصر عليهم من قوفهم في حوله (اذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فنبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق) أى على الرؤوس (واضربوا منهم كل بنان) أى لثلا يستمسك منهم السلاح (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ، ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار) .

قال ابن جرير : حدثني هارون بن اسحاق ثنا مصعب بن المقدام ثنا اسرائيل ثنا أبو اسحاق عن حارثة عن علي بن أبي طالب . قال : أصابنا من الليل طش من المطر - يعنى الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل نحميها من المطر ، وبات رسول الله (س) - يعنى قائما يصلى - وحرض على القتال . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي . قال : ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا قائم إلا رسول الله (س) ، تحت شجرة يصلى ويبكي حتى أصبح ، وسيأتي هذا الحديث مطولا . ورواه النسائي عن بشار عن غندر عن شعبة به ، وقال مجاهد : أنزل عليهم المطر طافقا به الغبار وتلبت به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله (س) تلك الليلة يصلى إلى جذم شجرة هناك ، ويكثر في سجوده أن يقول « يا حي يا قيوم » يكرر ذلك ويلظ به عليه السلام .

قال ابن اسحاق : فخرج رسول الله (س) . يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به قال ابن اسحاق : فحدثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجوح . قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أمزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه . أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نفوروا وراه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله (س) . « لقد أشرت بالرأى » . قال الاموي حدثنا أبي قال وزعم الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . قال بينا رسول الله (س) يجمع الاقاصص (١) وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام فقال رسول الله (س) . « هو السلام ومنه السلام واليه السلام » فقال الملك ان الله يقول لك ان الأمر [هو] الذى أمرك به الحباب بن المنذر . فقال رسول الله (س) . يا جبريل هل تعرف هذا ؟ فقال ما كل أهل السماء أعرف وانه لصادق وما هو بشيطان فتبعض رسول الله (س) . ومن معه من الناس

(١) الاقاصص : كذا في الاصلين ولم نغتر على هذا النص في غيرها .

فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فعورت ، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه فلي ماء ثم قذفوا فيه الآنية . وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله (ص) نزل ملك من السماء وجبريل عند النبي (ص) ، فقال الملك يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان الرأي ما أشار به الحباب ، فنظر رسول الله (ص) الى جبريل فقال ليس كل الملائكة أعرفهم وأنه ملك وليس بشيطان . وذكر الاموي أنهم نزلوا على القلب الذي يلي المشركين نصف الليل وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملؤا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء .

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث ان سعد بن معاذ . قال : يا بني الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلتق عدونا فان اعزنا الله واطهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبالك منهم ، ولو ظنوا أنك تلتق حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ينصاحونك ويجاهدون معك . فآثني عليه رسول الله (ص) . خيراً ودعاه بخير ، ثم بنى لرسول الله (ص) عريشاً كان فيه .

قال ابن اسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله (ص) تصوب من العققل وهو الكتيب الذي جاؤا منه إلى الوادي . قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وغرورها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحهمهم ^(١) الغداة » . وقد قال رسول الله (ص) . « وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم وهو على جمل له احمر » إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر » إن يطيعوه برشدوا قال : وقد كان خفاف بن ايماء بن رخصة أو أبوه ايماء بن رخصة الغفاري ، بعث إلى قريش ابنته بجزائر أهداها لهم . وقال : « إن أحبيتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا » قال فارسلوا اليه مع ابنه أن وصلتك رحم ، وقد قضيت الذي عليك ، فلمعري إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ، وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لاحد بالله من طاقة . قال فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله (ص) . فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله (ص) . « دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن اسلامه فكان إذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني يوم بدر .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله (ص) . يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كما سيأتي بيان ذلك

(١) أحهمهم : أي أهلكهم من الحين وهو الملاك ذكره الخشني في غريب السيرة .

في فصل نفعه بعد الوقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله .

ففي صحيح البخاري عن البراء . قال : كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلثمائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، وما جاوزوه معه إلا مؤمن . والبخاري أيضا عنه . قال استصغرت أنا وابن عمي يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على سنين ، والانصار نيفا وأربعون ومائتان . وروى الامام احمد عن نصر بن رئاب عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه . قال : كان أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر ، وكان المهاجرون ستة وسبعين وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضي من شهر رمضان يوم الجمعة . وقال الله تعالى [إذ يريكم الله في منامك قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم] الآية . وكان ذلك في منامه تلك الليلة وقيل إنه نام في العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فعصاه القوم فحمل الصديق يوقظه ويقول يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ ، وقد أراه الله إياهم في منامه قليلا . ذكره الاموي وهو غريب جدا . وقال تعالى [واذ يريكم الله إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا] . فعند ما تقابل الفريقان قلل الله كلا منهما في أعين الآخرين ليحترئ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارض لقوله تعالى في سورة آل عمران (قد كان لكم آية في فتنتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة برونهم مثلهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء) فان المعنى في ذلك على أصح القواين أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلى عدد الكافرة على الصحيح أيضا ، وذلك عند التحام الحرب والمساواة أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولا بان أراهم إياهم عند المواجهة قليلا ، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا . ولهذا قال (والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الابصار) . قال اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيد وعبيد الله . لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى أني لأقول لرجل الى جنبي أترام سبعين ؟ فقال أترام مائة

قال ابن اسحاق : وحدثني أبي اسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الانصار قالوا : لما أطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجحفي فقالوا احزرننا القوم أصحاب محمد ، قال فاستجال بفرسه حول المسكر ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا ، أو ينقصون ولكن أمهلوني حتى أنظر القوم كمين أو مدد . قال فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع اليهم فقال : ما رأيت شيئا ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل

رجلا منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فَرُوا رأيكم ؟ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال وما ذاك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي قال قد فعلت أنت على بذلك ، إنما هو حلفي فعلى عقله وما أصيب من ماله . فأت ابن الخنظلية — يعني أبا جهل — فأتى لا أخشى أن يسجر^(١) أمر الناس غيره ، ثم قام عتبة خطيباً فقال : يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه — أو ابن خاله — أو رجلاً من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا فهو يهينها^(٢) فقلت له يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي . فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد رأيت نأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ وأعرأه وأعرأه . قال فخميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره قال : سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو ، ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرده .

وقد روى ابن جرير من طريق مسور بن عبد الملك البربوعي عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن ، قال ائذن له فلما دخل قال : مرحباً يا أبا خالد أذن ، فقال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبله فقال : حدثنا حديث بدر . فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها فلم يشهد أحد من مشركيهم بديراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدو التي قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت يا أبا الوليد هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال أفعل ماذا ؟ قلت إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي وهو حليفك ، فتحمل بدينه ويرجع

(١) في ابن هشام بالثين المعجمة . (٢) في الحلبية مهملة من النقط ، وفي سيرة ابن هشام يهينها ومعنى يهينها يتفقدوها ويصلحها . عن محمود الامام .

الناس . فقال أنت على بذلك وأذهب الى ابن الخنظلية - يعني أيا جهل - قتل له هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجثته فاذا هوفي جماعة من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول : فسخت عقدي من عبد شمس ، وعقدي اليوم إلى بني مخزوم قتلته له يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك أن ترجع اليوم بمن معك ؟ قال أما وجد رسولا غيرك ؟ قلت لا ولم أكن لأكون رسولا لغيره . قال حكيم فخرجت مبادراً إلى عتبة لثلاثي يفتوني من الخبر شي وعتبة منكى على إيماء بن رخصة الغفاري ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر . فطلع أبو جهل الشر في وجهه فقال لعتبة : انتفخ سحر ك ؟ فقال له عتبة : ستعلم ، فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال إيماء بن رخصة بئس الفأل هذا ، فعند ذلك قامت الحرب . وقد صف رسول الله (ص) أصحابه وعباهم أحسن تعبئة فروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف . قال صفنا رسول الله (ص) يوم بدر ليلا . وروى الامام احمد من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أسلم أبا عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول : صفنا رسول الله (ص) يوم بدر فبدرت لنا بادرة أمام الصف ، فلظفر اليهم النبي (ص) فقال : « معي ممي » تفرد به احمد وهذا اسناد حسن .

وقال ابن اسحاق : وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله (ص) عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يمدح يعدل به القوم ، فربسواد بن غزية حليف بني عدي ابن النجار وهو مستنقل من الصف : فظعن في بطنه بالقدح وقال « استو ياسواد » فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني فكشف رسول الله (ص) عن بطنه فقال استمد ، قال فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال ما حملك على هذا ياسواد ؟ قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلديك ، فدعا له رسول الله بخير (ص) . وقاله . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال « غمسه يده في العدو حاسرا » فترع درعا كانت عليه فقفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضي الله عنه . قال ابن اسحاق ثم عدل رسول الله (ص) الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره . وقال ابن اسحاق : وغيره وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه واقفا على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الانصار يحرسون ، سول الله (ص) خوفا عليه من أن يدهمه العدو من المشركين والجنائب النجائب مهيئة لرسول الله (ص) ان احتاج اليها ركبها ورجع الى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ . وقد روى البزار في مسنده من حديث محمد بن علي عن علي أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين ، فقال أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله (ص) عريشا فقلنا

من يكون مع رسول الله (س)، لثلا يهوى اليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر شاعرا بالسيف على رأس رسول الله (س)، لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه فهذا أشجع الناس . قال ولقد رأيت رسول الله (س)، وأخذته قریش فهذا يحاده ، وهذا يتلته ويقولون أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتل هذا وهو يقول : ويلكم أقتلوا رجلاً أن يقول ربى الله ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال على : فوالله لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه . ثم قال البزار لا نعلمه يروى الا من هذا الوجه . فهذه خصوصية للصديق حيث هو مع الرسول فى العريش كما كان معه فى الغار رضى الله عنه وأرضاه . ورسول الله (س)، يكثر الابتهال والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به « اللهم إنيك ان تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها فى الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم نصرک » ويرفع يديه الى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه . وجعل أبو بكر رضى الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوى عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك .

[هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت أن الصديق انما قال بعض مناشدتك ربك من باب الاشفاق لما رأى من نصبه فى الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يا رسول الله أى لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر ، وكان رضى الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله (س)، . وحكى السهيلي عن شيخه أبى بكر بن العربى بانه قال : كان رسول الله (س)، فى مقام الخوف والصديق فى مقام الرجاء وكان مقام الخوف فى هذا الوقت — يعنى أكل — قال لأن الله أن يفعل ما يشاء تخاف أن لا يعبد فى الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة . قلت وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام فى مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود على قائله إذ لم يتذكر هذا القائل عور ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم] (١) .

هذا وقد تواجه القتتان وتقابل الفريقان وحضر الخصمان بين يدى الرحمن واستغاث بربه سيد الانبياء وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الارض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء . فكان أول من قتل من المشركين الاسود بن عبد الاسد الخزومى . قال ابن اسحاق : وكان رجلاً شرساً سىء الخلق فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهد منه أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع

على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى أقسم فيه يريد زعم أن تبرئ منه
واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض . قال الاموى : فخمى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن
يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز فخرج
اليهم فنية من الانصار ثلاثة وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهات عفرات ، والثالث عبد الله بن رواحة
- فيما قيل - فقالوا من أنتم ؟ قالوا رهط من الانصار . فقالوا مالنا بكم من حاجة . وفي رواية فقالوا
أ كفاء كرام ولكن أخرجوا إلينا من بني عمناء ، ونادى منادهم : يا محمد اخرج إلينا أ كفاءنا من
قومنا . فقال النبي س : « قم يا عبدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي » وعند الاموى أن النفر
من الانصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله س ، لانه أول موقف واجه فيه رسول الله س أعداءه
فاحب أن يكون أولئك من عشيرته فامرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن اسحاق فلما دنوا منهم قالوا من أنتم ؟ - وفي هذا دليل أنهم كانوا ملبسين لا يعرفون
من السلاح - فقال : عبدة عبدة ، وقال حمزة حمزة ، وقال علي علي . قالوا نعم أ كفاء كرام .
فبارز عبدة وكان أسن القوم عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز علي الوليد بن عتبة . فلما حمزة فلم
يمهل شيبة أن قتله وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما
أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلي بآسياهما على عتبة فذفعا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما
رضي الله عنه .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي ذر : أنه كان يقسم
قسما أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه
يوم برزوا في بدر . هذا لفظ البخارى في تفسيرها . وقال البخارى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا
المعتز بن سليمان سمعت أبي ثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب . أنه قال : أنا أول
من يجثو بين يدي الرحمن عز وجل في الخصومة يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت (هذان
خصمان اختصموا في ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبدة وشيبة بن ربيعة وعتبة
ابن ربيعة والوليد بن عتبة ، تفرد به البخارى . وقد أوسعنا الكلام عليها في التفسير بما فيه كفاية
ولله الحمد والمنة .

وقال الاموى حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن ابن المبارك عن اسماعيل بن أبي خالد
عن عبد الله البهي . قال : برز عتبة وشيبة والوليد وبرز اليهم حمزة وعبدة وعلي . فقالوا تكلموا
نفر فكم . فقال حمزة : أنا أسد الله وأسود رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال كفؤ كريم . وقال
علي : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وقال عبدة : أنا النسي في الخلفاء ، قلم كل رجل إلى رجل قاتلهم

فقتلهم الله . قالت هند في ذلك :

أعيني مجودي بدمع سرب على خير خننف لم ينقلب
تداعي له رهطه غدوة بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد أسياهم يعلمونه بعد ما قد عطب

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبدة حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولما جلاؤا به إلى رسول الله (ص) أضحموه إلى جانب . وقف رسول الله (ص) فاشرفه (١) رسول الله (ص) قدمه فوضع خده على قدمه الشريفه وقال : يا رسول الله لو رأي أبي طالب لعلم أني أحق بقوله :

وَنُشِلُّهُ حَتَّى نَصْرَعُ دُونَهُ وَنُدْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ

ثم مات رضى الله عنه فقال رسول الله (ص) « أشهد أنك شهيد » رواه الشافعي رحمه الله وكان أول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع بن عمرو بن الخطاب رمى بسهم فقتله . قال ابن اسحاق فكان أول من قتل ، ثم رمى بعمه حارثة بن سراقه أحد بني عدى بن النجار وهو يشرب من الخوض بسهم فاصاب نحره فمات . وثبت في الصحيحين عن أنس أن حارثة بن سراقه قتل يوم بدر وكان في النظارة أصابه سهم غرب فقتله ، فجاءت أمه فقالت يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإلا فليرين الله ما أصنع - يعني من النياح - وكانت لم تحرم بعد . فقال لها رسول الله (ص) « ويحك أهبلت ، إنها جنان ثمان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

قال ابن اسحاق : ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض . وقال : أمر رسول الله (ص) أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال إن اكتنفكم القوم فانضحوم عنكم بالنيل . وفي صحيح البخاري عن أبي أسيد . قال قال لنا رسول الله (ص) يوم بدر إذا اكتبوكم - يعني المشركين - فارموم واستبقوا نبلكم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس ابن بكير عن أبي اسحاق حدثني عبد الله بن الزبير . قال : جعل رسول الله (ص) شعار المهاجرين يوم بدر يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الاوس يا بني عبيد الله ، وسمى خيله خيل الله . قال ابن هشام : كان شعار الصحابة يوم بدر أحد أحد .

قال ابن اسحاق : ورسول الله (ص) في العريش معه أبو بكر رضى الله عنه - يعني وهو يستغيث الله عز وجل - كما قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

(١) في السيرة الحلبية فأفرشه .

قال الامام احمد حدثنا أبو نوح قراد ثنا عكرمة بن عمار ثنا سفيان بن عمار ثنا أبو زميل حدثني ابن عباس
حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله (س) إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ،
ونظر إلى المشركين فاذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي (س) القبلة وعليه رداؤه وازاره ثم قال :
« اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد بعد في الأرض
أبداً » فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه . فأتاه أبو بكر فاخذ رداءه فردده ثم التزمه من
من ورائه ثم قال : يا رسول الله كفناك ^(١) مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله [إذ
تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين] وذكر تمام الحديث كما سيأتي
وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار البجلي وصححه على
ابن المديني والترمذي ، وهكذا قال غير واحد من ابن عباس والسدي وابن جرير وغيرهم إن هذه
الآية نزلت في دعاء النبي (س) يوم بدر ، وقد ذكر الاموي وغيره أن المسلمين عجزوا الى الله عز وجل
في الاستغاثة بمجنبيه والاستعانة به وقوله تعالى (بالف من الملائكة مردفين) أي ردفاً لكم ومدداً
لفتحكم رواه العوفي عن ابن عباس . وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم . وقال
أبو كدينة عن قابوس عن ابن عباس (مردفين) وراء كل ملك ملك . وفي رواية عنه بهذا الاسناد
(مردفين) بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة . وقد روى علي بن أبي
طلحة الوالي عن ابن عباس قال : وأمد الله نبيه والمؤمنين بالف من الملائكة ، وكان جبريل في
خمسائة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة ، وهذا هو المشهور . ولكن قال ابن جرير حدثني المنثري
حدثنا اسحاق ثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربيع عن أبي الحويرث
عن محمد بن جبير عن علي . قال : نزل جبريل في الف من الملائكة على ميمنة النبي (س) وفيها
أبو بكر ، ونزل ميكائيل في الف من الملائكة على ميسرة النبي (س) وأنا في الميسرة . ورواه
البيهقي في الدلائل من حديث محمد بن جبير عن علي فزاد : ونزل اسرافيل في الف من الملائكة
وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من
الملائكة ، وهذا غريب وفي اسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الاقوال ويؤيدها
قراءة من قرأ (بالف من الملائكة مردفين) بفتح الدال والله أعلم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم
أخبرنا الاصم ثنا محمد بن سنان القزاز ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي حدثنا عبيد الله بن
عبد الرحمن بن موهب أخبرني اسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبي رافع عن عبد الله بن محمد بن
عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده . قال : لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال ، ثم جئت

(١) في الحليية : كذلك ، وفي المصرية : كذلك . والتصحيح من انسان العيون .

مسرعاً لا نظر إلى رسول الله (س)، ما فعل ، قال فجئت فإذا هو ساجد يقول « يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم » لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً ، فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً ، حتى فتح الله على يده . وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن بندار عن عبيد الله بن عبد المجيد أبي علي الخنفي . وقال الأعمش عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود . قال ما سمعت مناشداً ينشد أشد من مناشدة محمد (س) يوم بدر ، جعل يقول « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد » ثم التفت وكأن شق وجهه القمر . وقال « كأنني أنظر إلى مصارع القوم عشية » رواه النسائي من حديث الأعمش به . وقال لما التقينا يوم بدر قام رسول الله (س) ، فما رأيت مناشداً ينشد حقاله أشد مناشدة من رسول الله (س) ، وذكره . وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رؤس المشركين يوم بدر في صحيح مسلم عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتي في صحيح مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب . ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الواقعة وهو مناسب ، وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يخبر به قبل يوم وأكثراً ، وإن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الواقعة والله أعلم . وقد روى البخاري من طرق عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي (س) قال وهو في قبة له يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً » فاخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وهذه الآية مكية وقد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر : أي جمع يهزم وأي جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله (س) يثب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فعرفت تأويلها يومئذ وروى البخاري من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان مع عائشة تقول نزل على محمد بمكة - وإني للجارية العب - (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) .

قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (س) ، يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول : يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعده ، وقد حقق النبي (س) [خفقة] وهو في العريش ثم انتبه فقال : « أبشرا يا أبا بكر أنك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع » يعني الغبار . قال ثم خرج رسول الله (س) إلى الناس فحرضهم . وقال « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل

صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » قال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يا كلين : بخ بخ أفا بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ قال ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله .

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : بعث رسول الله ﷺ بسببنا عينا ينظر ما صنعت غير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النبي ﷺ ، قال لا أدري ما أستثنى من بعض نسائه ، قال فحدثته الحديث . قال فخرج رسول الله ﷺ فقال « إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضر فليركب معنا » فجعل رجال يستأذنونهم في ظهورهم في علو المدينة قال « لا إلا من كان ظهره حاضراً » وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ « لا يتقدم من أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » قال يقول عمير بن الحمام الانصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال نعم ! قال بخ بخ ؟ فقال رسول الله ﷺ « ما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال فانك من أهلها » قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة ، قال فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وجماعة عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به ، وقد ذكر ابن جرير أن عميراً قاتل وهو يقول رضى الله عنه :

ركضاً إلى الله بغير زادٍ إلا التقي وعمل المعادِ
والصبر في الله على الجهادِ وكلُّ زادٍ عُرْصَةُ النِّفَادِ
غيرُ التقي والبرِّ والرشادِ

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي . قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويتها وأصابنا بها وعك ، وكان رسول الله ﷺ يتحيز عن بدر فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر - وبدر بئر - فسبقنا المشركين إليها فوجدنا فيها رجلين رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط فاما القرشي فأنفلت ، وأما المولى فوجدناه فجعلنا نقول له كم القوم ؟ فيقول هم والله كثير عديم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال له كم القوم ؟ قال هم والله كثير عديم شديد بأسهم . فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم فابى ثم إن النبي ﷺ سأله كم ينحرون من الجزر فقال عشراً كل يوم . فقال النبي ﷺ « القوم ألف ، كل جزور لمائة وتبعها » ثم إنه أصابنا من

الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله (س) يدعو ربه ويقول « اللهم إنيك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد » فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله (س) وحرّض على القتال ثم قال « إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل » فلما دنا القوم منا وصافقناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم ، فقال رسول الله (س) « يا علي ناد حمزة » وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم يا قوم أعصوها برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمت أني لست بأجبنكم . فسمع بذلك أبو جهل فقال : أنت تقول ذلك والله لو غيرك يقوله لا عضضته قد ملأت رثتك جوفك رعباً . فقال : إياي تعير يا مصفر استه ؟ سيعلم اليوم أينما الجبان فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا : من يبارز نخرج فنية من الانصار مشبهة فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز من بنى عمن من بنى عبد المطلب فقال رسول الله (س) « قم يا حمزة ، وقم يا علي ، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب » فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عبيدة قتلنا منهم سبعين ، وأسروا سبعين وجاء رجل من الانصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : يا رسول الله والله إن هذا ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلىح من أحسن الناس وجهاً على فارس أبلق ما أراد في القوم . فقال الانصارى : أنا أسرته يا رسول الله . فقال : « اسكت ، فقد أيدك الله بملك كريم » قال فأسروا من بنى عبد المطلب العباس وعقيلاً ونوفل بن الحارث هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتى . وقد تفرد بطوله الامام احمد . وروى أبو داود بعضه من حديث اسرائيل به ، ولما نزل رسول الله (س) من العريش وحرّض الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً كما قال الله تعالى آمراً لهم [يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً] الآية .

وقال الاموى حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق قال قال الازاعى : كان يقال قلما ثبت قوم قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغض طرفه ويدكر الله رجوت أن يسلم من الرياء . وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم - يعنى أصحاب النبي (س) - جثيا على الركب كأنهم حرس يتلهظون كما تتلهظ الحيات - أو قال الافاعي - . قال الاموى في مغازيه : وقد كان النبي (س) حين حرّض المسلمين على القتال قد نفل كل امرئ ما أصاب . وقال « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل [فيقتل] صابراً محتباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » وذكر قصة عمير بن الحمام كما تقدم ، وقد قاتل بنفسه الكربة قتالاً شديداً بيده ، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فخرضا وحنا على القتال وقاتلا بالابدان جمعا

بين المقامين الشريفين . قال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن حارثة ابن مضرب عن علي قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله (س) ، وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً . ورواه النسائي من حديث أبي اسحاق عن حارثة عن علي قال : كنا إذا حمى البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله (س) . وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن أبي عون عن أبي صالح الخنفي عن علي . قال : قيل لعلي ولا بئ بك رضي الله عنهما يوم بدر : مع أحد كما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، واسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل - أو قال يشهد الصف - وهذا يشبه ما تقدم من الحديث أن أبا بكر كان في الميمنة ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزى لا كان جبريل على أحد المجنبتين في خمسمائة من الملائكة ، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكر الصديق ، وكان ميكائيل على المجنبة الاخرى في خمسمائة من الملائكة فوقوا في الميسرة وكان علي بن أبي طالب فيها [وفي حديث رواه أبو يعلى من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن علي . قال كنت أسبح على القلب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى فنزل ميكائيل في الف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله (س) ، وهناك أبو بكر ، واسرافيل في الف في الميسرة وأنا فيها ، وجبريل في الف قال ولقد طفت يومئذ حتى بلغ إبطي] ^(١) وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أنغر بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

وبيتر بدر إذ يكف مطيهم جبريل نحت لوائنا ومحمد

وقد قال البخاري حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا جبريل عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاع ابن رافع الزرق عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : جاء جبريل إلى رسول الله (س) فقال ما تعملون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة . انفرد به البخاري . وقد قال الله تعالى [إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق - يعني الرؤس - واضربوا منهم كل بنان] وفي صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل حدثني ابن عباس . قال : بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الغارض أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقيا ، فنظر إليه فإذا هو خطم وشق وجهه بضربة السوط وحضر ذلك أجمع فجاء الانصاري فحدث ذلك رسول الله (س) . فقال « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » قتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا سبعين .

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن حدثه عن ابن عباس عن رجل من

بني غفار . قال : حضرت أنا وابن عم لي بدرًا ونحن على شركنا ، وإنا لنرى جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدائرة ، فاقبلت سحابة فلما دنت من الجبل سمعنا منها حجة الخليل ، وسمعنا قائلاً يقول : أقدم حيزوم فاما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا لكنت أن أهلك ثم انتعشت بعد ذلك . وقال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة - وكان شهيد بدرًا - قال - بعد أن ذهب بصره - لو كنت اليوم بيدرومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى . فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس وأوحى الله إليهم (أني معكم فثبتوا الذي آمنوا) . وتثبتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول له أبشروا فانهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم .

وقال الواقدي حدثني ابن أبي حبيبة عن دواود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس . قال كان الملك يتصور في صورة من يعرفون فيقول إني قد دنوت منهم وسمعهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشيء إلى غير ذلك من القول فذلك قوله (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) الآية . ولما رأى ابليس الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون وهو في صورة سراقة وأقبل أبو جهل يحرض أصحابه ويقول : لا يهولكم خذلان سراقة إياكم ، فانه كان على موعد من محمد وأصحابه ثم قال واللوات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه في الجبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً وروى البيهقي من طريق سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال أبو أسيد - بعد ما ذهب بصره - يا ابن أخي والله لو كنت أنا وأنت بيدروم أطلق الله بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار وروى البخاري عن إبراهيم بن موسى عن عبد الوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال يوم بدر « هذا جبريل أخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب » .

وقال الواقدي حدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وأخبرني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه . وحدثني عابد بن يحيى عن أبي الحويرث عن حمالة بن أكيمة الليثي عن عكرمة عن حكيم بن حزام قالوا : لما حضر القتال ورسول الله (ص) رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول « اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين » وأبو بكر يقول : والله لينصرك الله وليبيضن وجهك ، فانزل الله الفا من الملائكة مردفين عند اكتشاف العدو . قال رسول الله (ص) « أبشروا بأبى بكر هذا جبريل معتمر بعمامة صفراء أخذ بعنان فرسه بين السماء والارض ، فلما نزل إلى الارض تغيب عن ساعة ثم طلع وعلى ثناباه التقع يقول أفاك نصر الله إذ دعوته » . وروى البيهقي عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه . قال : يا بني لقد رأيتنا يوم

بدر وأن أحدهما يشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف

وقال ابن اسحاق حدثني والدي حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد الليثي قال إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أن غيري قد قتله . وقال يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله التيمي عن الربيع بن أنس . قال : كان الناس يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلهم بضرب فوق الاعناق وعلى الشنان مثل صمة النار وقد أحرق به .

وقال ابن اسحاق : حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس . قال : كانت سبأ الملائكة يوم بدر عمام بيض قد أرخواها على ظهورهم الا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء . وقد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عدداً ومدداً لا يضربون . وقال الواقدي حدثني عبد الله بن موسى بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول : لقد رأيت يوم بدر رجلاً بيضا على خيل بلق بين السماء والارض معلنين بقتلون ويأسرون . وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره . قال : لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصرى ، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمتري . قال وحدثني خارجة بن ابراهيم عن أبيه . قال قال رسول الله (ص) : لجبريل : « من القاتل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم ؟ » فقال جبريل يا محمد ما كل أهل السماء أعرف .

قلت : وهذا الاثر مرسل ، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل كما قاله السهيلي وغيره والله أعلم . وقال الواقدي حدثني اسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال فما أدرى كم يد مقطوعة وضربة جائلة لم يدسم كلها قد رأيته يوم بدر . وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عقيل عن أبي بردة بن نيار قال جثت يوم بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهم بين يدي رسول الله (ص) ، فقلت أما رأسان قتلتهما ، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً [قتله] فأخذت رأسه . فقال رسول الله (ص) : « ذاك فلان من الملائكة » وحدثني موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه . قال : كان السائب بن أبي جبير يحدث في زمن عمر يقول : والله ما أسرتني أحد من الناس ، فيقال فمن ؟ يقول لما انهزمت قریش انهزمت معها فادركني رجل اشعر طويل على فرس أبيض فاوقفني رباطاً وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً فنادى في المعسكر من أسره هذا ؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله (ص) . فقال من أسرك قلت لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذي رأيت فقال رسول الله (ص) : « أسرك ملك من الملائكة » اذهب يا ابن عوف بأسيرك . وقال الواقدي حدثني عابد بن يحيى حدثنا أبو الحويرث عن عمارة بن اكيمة عن حكيم بن حزام قال لقد رأيته يوم بدر وقد وقع بجناد من السماء قد سد الافق فاذا الوادي يسيل نهلاً فوق في نفسي أن هذا شيء من السماء أيد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمة ولقي الملائكة

[وقال اسحاق بن راهويه حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن محمد بن اسحاق حدثني أبي عن جبير بن مطعم . قال : رأيت قبل هزيمة القوم — والناس يقتتلون — مثل البجاد الاسود قد نزل من السماء مثل الثمل الاسود ، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم] ^(١) ولما نزلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله (ص) ، حين أغفى إغفاء ثم استيقظ وبشر بذلك أبا بكر وقال « أبشريا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناياه النقع » يعني من المعركة ثم خرج رسول الله (ص) من العريش في الدرع فجعل يحرص على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوم حصل لهم السكينة والطأينة وقد حصل النعاس الذي هو دليل على الطأينة والنبات والايمان ، كما قال (إذ يغشيكم النعاس أمانة منه) وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن ، ولهذا قال ابن مسعود : النعاس في المصاف من الايمان ، والنعاس في الصلاة من النفاق . وقال الله تعالى [إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تفهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين] . قال الامام احمد : حدثنا يزيد ابن هارون ثنا محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال — حين التقى القوم — اللهم أقطعنا للرحم وآثانا بما لا نعرف فأخذه الغداة . فكان هو المستفتح وكذا ذكره ابن اسحاق في السيرة ورواه النسائي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري ، ورواه الحاكم من حديث الزهري أيضاً ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الاموى حدثنا أسباط بن محمد القرشي عن عطية عن مطرف في قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال قال أبو جهل : اللهم [اعن] أعز الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) قال أقبلت غير أهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله (ص) يريدون المعير ، فبلغ ذلك أهل مكة فاسرعوا إليها لكيلا يغلب عليها النبي (ص) وأصحابه فسبقته المعير رسول الله (ص) ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يحبون أن يلقوا المعير ، وسار رسول الله (ص) بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم . فنزل النبي (ص) والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملة دعصة فاصاب المسلمون ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الفيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا فامطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا فاذهب الله عنهم رجز الشيطان فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه والمؤمنين بالف من

الملائكة . فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء ابليس في جند من الشياطين ومعه ذريته وهم في صورة رجال من بني مدج والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم فلما اصطف الناس قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله (س) يديه فقال « يارب إن نهلك هذه المصابة فلن تعبد في الأرض أبداً » . فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخره وفه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين . وأقبل جبريل إلى ابليس فلما رآه - وكانت يده في يد رجل من المشركين - انزعج ابليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل يا سراقه أما زعمت أنك لنا جار ؟ قال إني أرى مالا ترون ، إني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة رواه البيهقي في الدلائل .

[وقال الطبراني حدثنا مسعدة بن سعد المطار ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا عبد العزيز بن عمران ثنا هشام بن سعد عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الانصاري عن رفاعه بن رافع . قال : لما رأى ابليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص اليه ، فقتل به الحارث بن هشام وهو يظن أنه سراقه بن مالك ، فوكل في صدر الحارث ثم خرج هارباً حتى ألقي نفسه في البحر ورفع يديه فقال : اللهم إني أسألك نظرتك إياي وخاف أن يخلص القتل اليه . وأقبل أبو جهل فقال يامعشر الناس لا يهولنكم خذلان سراقه بن مالك فإنه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهولنكم قتل شيبه وعتبة والوليد فإنهم قد عجلوا ، فوللات والعزى لا ترجع حتى نفرقهم بالجلال ، فلا الفين رجلاً منكم قتل رجلاً ولكن خذوهم أحنأ حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعزى . ثم قال أبو جهل متمثلاً :

ما تنقم الحربُ الشموُسُ مني بازكُ عامينِ حديثُ سني
لمثل هذا ولدتنى أمي ^(١)

وروى الواقدي عن موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي بكر بن أبي سليمان عن أبي حنيفة سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك ، فالح عليه فقال حكيم : التقينا فاقتلنا فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقعة الحصاة في الطست ، وقبض النبي (س) القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا قال الواقدي وحدثنا اسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله عن عبد الله بن ثعلبة بن صعيبر سمعت نوفل بن معاوية الديلي يقول : انهزمنا يوم بدر

ونحن نسمع صوتا كوقع الحصى في الطاس في اقتدنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشد الرعب علينا .
وقال الاموي حدثنا أبي ثنا ابن أبي اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صمير
أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم اقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرف فأخذه القعدة . فكان هو
المستفتح . فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقلهم في أعينهم حتى
طمعوا فيهم ، خفق رسول الله (ص) خفقة في العريش ثم انتبه فقال « أبشريا أبا بكر هذا جبريل
معتجر بعمامة أخذ بعنان فرسه يقوده على ثيابه النقع أنك نصر الله وعدته » وأمر رسول الله (ص) فاخذ
كفا من الحصى بيده ثم خرج فاستقبل القوم فقال « شامت الوجوه » ثم فجعهم بها ثم قال لأصحابه
« احموا فلم تكن إلا الهزيمة » فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم . وقال زياد
عن ابن اسحاق ثم إن رسول الله (ص) أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال « شامت
الوجوه » ثم فجعهم بها وأمر أصحابه فقال « شدوا » فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديده
قريش ، وأسر من أسر من أشرفهم . وقال السدي الكبير قال رسول الله (ص) : لعلى يوم بدر
« أعطى حصباء من الارض » فناولوه حصباء عليها تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك الا
دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله في ذلك
(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهكذا قال عروة وعكرمة
ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم أن هذه الآية نزلت في ذلك يوم
بدر . وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين كما سيأتي في موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله
وبه الثقة . وذكر ابن اسحاق أن رسول الله (ص) لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين
بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضا ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن
معاذ ومن معه من الانصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكرر راجعة من المشركين إلى
النبي (ص) . قال ابن اسحاق : ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله (ص) - فيما ذكر
لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له « كأني بك ياسعد تكروه ما يصنع
القوم ؟ » قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله باهل الشرك . فكان الانحياز في
القتل أحب إلى من استبقاء الرجال . قال ابن اسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن
بعض أهله عن عبد الله بن عباس أن النبي (ص) قال لأصحابه يومئذ « إني قد عرفت أن رجلا من
بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا ، فن لقي منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله
ومن لقي أبا البختری بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم
رسول الله (ص) فلا يقتله ، فانه إنما خرج مستكرها » فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أقتل

آباءنا وأبناءنا وأخواننا ونترك العباس ، والله لئن لقيناه بالسيف . فبلغت رسول الله (ص) فقال لعمر : « يا أبا حفص » قال عمر : والله إنه لاول يوم كُنْنا في رسول الله (ص) . يا بني حفص ، « أياضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ » فقال عمر : يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق . فقال أبو حذيفة ما أنا بأمن من تلك الحكامة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم البعثة شهيدا رضى الله عنه .

مقتل أبي البختري بن هشام

قال ابن اسحاق : وإنما نهى رسول الله (ص) عن قتل أبي البختري لانه كان أ كف القوم عن رسول الله (ص) . وهو بمكة . كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقيه المجذر بن زياد البلوي حليف الانصار فقال له : إن رسول الله (ص) نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة وهو من بني ليث . قال وزميلي ؟ فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال لا والله إذاً لا موتن أنا وهو جميعا لا يتحدث عني نساء قريش بمكة أنى تركت زميلي حرصا على الحياة . وقال أبو البختري وهو ينزل المجذر :

لن يترك^(١) ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

قال فاقْتلّا قتلته المجذر بن زياد وقال في ذلك :

إما جهلت أو نسيت نسبي فأثبت النسبة إني من بني
الطاعنين برماح . البرزني والطاعنين^(٢) الكباش حتى ينحني
بشر بيتهم من أبوه البختري أو بشرن بمنلها مني بني
أنا الذي يقال أصلي من بني أظعن بالصعد حتى تنثني
وأعبط القرن بعصب مشرفي أرزمت الموت كإرزام المري

فلا يرى مجذراً يفري فرى

ثم أتى المجذر رسول الله (ص) فقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأمر فأتيك به فأبى ألا أن يقاتلني ، فقاتلته فقتلته .

فصل في مقتل امية بن خلف

قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وحدثني أيضا عبادة

(١) وفي ابن هشام : لن يسلم ابن حرة زميله . (٢) وفي ابن هشام : والضاريين .

ابن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف . قال : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اصحبى عبد عمرو فقسميت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلتقاني ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك ؟ قال فاقول نعم ! قال فاني لا أعرف الرحمن فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به أما أنت فلا تخبيني باسمك الاول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه ، قال فقلت له يا أبا علي اجعل ما شئت . قال فانت عبد الله قال قلت نعم ! قال فكنت اذا مررت به قال يا عبد الله فأجيبه فأحدث معه حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو آخذ بيده ، قال ومعي أدرع لي قد استلبتها فأنا أحملها فلما رأيته قال يا عبد عمرو فلم أجبه ، فقال يا عبد الله فقلت نعم ! قال هل لك في فأنا خير لك من هذه الأدرع التي معك قال قلت نعم ها الله ، قال فطرح الأدرع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول : ما رأيته كالיום قط ، أما لكم حاجة في اللبن ؟ ثم خرجت أمشي بهما . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف . قال قال لي أمية ابن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما : يا عبد الله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال قلت حمزة قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل . قال عبد الرحمن فوالله إني لا قودها إذ رآه بلال ممي — وكان هو الذي يذب بلالاً بمكة على الاسلام — فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجبا ، قال قلت أي بلال أسيرى ، قال لا نجوت إن نجبا ، قال ثم صرخ بأعلا صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجبا ، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة ^(١) فأنا أذب عنه ، قال فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوق ، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلاً قط ، قال قلت أنج بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً . قال فهبروها بأسيا فهم حتى فرغوا منهما . قال فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالاً فجئني بأدراعي وبأسيرى . وهكذا رواه البخاري في صحيحه قريباً من هذا السياق فقال في الوكالة حدثنا عبد العزيز — هو ابن عبد الله — حدثنا يوسف — هو ابن الماجشون — عن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف قال : كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي ^(٢) بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت الرحمن قال لا أعرف الرحمن ، كاتبتني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لآخره حين قام الناس فابصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس [من] الانصار فقال : أمية بن خلف ! لا نجوت إن نجبا أمية بن خلف فخرج

(١) المسكة بالتحريك السوار : أي جعلونا في حلقة كالسوار وأجدقوا بنا .

(٢) الصاغية : خاصة الانسان والمائلون اليه .

معه فريق من الانصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنة لاشغلهم قتلوه ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلا ثقيلا ، فلما أدركونا قلت له أرك فرك فالتفت عليه نفسى لامنعه فتخلوه بالسيوف من نحى حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك في ظهر قدمه . سمع يوسف صالحا وإبراهيم أباه . تفرد به البخارى من بينهم كلهم . وفى مسند رفاعه بن رافع أنه هو الذى قتل أمية بن خلف .

مقتل أبي جهل لعنه الله

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ويقول :
ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني
لمثل هذا ولدتنى أُمي

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله (ص) من عدوه أمر بابي جهل أن يلتبس في القتلى ، وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني نور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضا قد حدثني ذلك قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجوح أخو بني سلمة سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة (١) وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص اليه ، فلما سمعتها جعلته من شأني فصممت نحوه ، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أظننت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها ، قال وضربني ابنة عكرمة على عاتق فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي ، واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى وإني لاسحبها خلفي فلما أدتني وضمت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها . قال ابن اسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان . ثم مر بابي جهل - وهو عقير - معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته ، وتركه وبه رمق . وقاتل معوذ حتى قتل ، فمر عبد الله بن مسعود بابي جهل حين أمر رسول الله (ص) أن يلتبس في القتلى وقد قال لهم رسول الله (ص) - فيما بلغني - أنظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في زكبتة فإني ازدحمت أنا وهو يوما على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه بيسير ، فدفعته فوق على ركبتيه فحجش في أحدهما حجشا لم يزل أثره به . قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق ففرفته . فوضعت رجلى على عنقه قال وقد كان ضبث بي (٢) مرة بمكة فأذاني ولكزني

(١) الحرجة الشجر الملتف ، وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه سأل اعرابيا

عن الحرجة فقال : هى شجرة من الاشجار لا يوصل اليها .

(٢) ضبث : قبض عليه ولزمه .

ثم قلت له : هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال وماذا أخزأتني ؟ قال أعمد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال قلت لله ورسوله .

قال ابن اسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول قال لي : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يارويي الغنم ، قال ثم احتزرت رأسه ثم جئت به رسول الله (س) . فقلت : يا رسول الله هذا رأس عدو الله . فقال « آله الذي لا إله غيره ؟ » . وكانت يمين رسول الله (س) . فقلت نعم ! والله الذي لا إله غيره ثم التقيت رأسه بين يدي رسول الله (س) . فحمد الله . هكذا ذكر ابن اسحاق رحمه الله . وقد ثبت في الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون عن صالح بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف . قال : إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالى فإذا أنا بين غلامين من الانصار حديثه اسنابها ، فتمنيت أن أكون بين أطلع منهما فغمزني أحدهما فقال : يا عم أعترف أبا جهل ؟ فقلت نعم وما حاجتك اليه ؟ قال أخبرت أنه يسب رسول الله (س) . والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الا عجل منا فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال لي أيضا مثلها ، فلم أنشب ان نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس قلت ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفكما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبي (س) . فأخبراه فقال « أيكما قتله » . قال كل منهما أنا قتله . قال « هل مسحتما سيفكما ؟ » قالا : لا . قال فنظر النبي (س) في السيفين فقال : « كلاهما قتله » وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجوح . والآخر معاذ بن عفراء . وقال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده . قال قال عبد الرحمن : إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتبان حديثا السن فكأنني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل ، فقلت يا ابن أخي ما تصنع به ؟ قال عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله ، قال فما سرني اني بين رجلين مكانهما فأثرت لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وها ابنا عفراء . وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (س) « من ينظر ماذا صنع أبو جهل » قال ابن مسعود : أنا يا رسول الله فانطلق فوجدته قد ضرب به ابنا عفراء حتى برد . قال فأخذ بلحيته قال فقلت أنت أبو جهل ؟ فقال وهل فوق رجل قتلتموه . أو قال قتله قومه . وعند البخاري عن أبي أسامة عن اسماعيل ابن قيس عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال : هل أخزأك الله ؟ فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال الاعشى عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد . ومعى سيف ردي فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذ كر نفقا كان ينقف

رأسي بمكة حتى ضمنت يده (١) فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على من كانت الدائرة لنا أو علينا ألسنت رويينا بمكة ؟ قال قتلته ، ثم أتيت النبي (ص) قتل قتل أبا جهل ، قال الله الذي لا إله إلا هو ؟ فاستحلفني ثلاث مرات ثم قام معي إليهم فدنا عليهم .

وقال الامام احمد حدثنا وكيع ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة قال قال عبد الله انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له ، قتل الحمد لله الذي أخزأك الله يا عدو الله . قال هل هو إلا رجل قتلته قومه فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فاصبت يده فندر (٢) سيفه فأخذته فضربته حتى قتلته قال ثم خرجت حتى أتيت النبي (ص) كأنما أكل من الارض (٣) فأخبرته فقال « الله الذي لا إله إلا هو ؟ » فرددها ثلاثا ، قال قلت الله الذي لا إله إلا هو قال نخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال « الحمد لله الذي قد أخزأك الله يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة » وفي رواية أخرى قال ابن مسعود فنفلت سيفه . وقال أبو اسحاق الفزاري عن الثوري عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال أتيت رسول الله (ص) يوم بدر قتل قد قتل أبا جهل فقال « الله الذي لا إله إلا هو ؟ » قتل الله الذي لا إله إلا هو مرتين - أو ثلاثا - قال فقال النبي (ص) « الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم قال « انطلق فأرنيه » فانطلقت فأرنيته فقال « هذا فرعون هذه الامة » . ورواه أبو داود والنسائي من حديث أبي اسحاق السبيعي به . وقال الواقدي وقف رسول الله (ص) على مصرع ابني عفراء فقال « وحم الله ابني عفراء فهما شركاء في قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر » قتيل يارسول الله ومن قتله معهما ؟ قال « الملائكة وابن مسعود قد شرك في قتله » رواه البيهقي .

[وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن أبي اسحاق قال : لما جاء رسول الله (ص) البشير يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته قتيلا ؟ خلف له نحر رسول الله (ص) ساجدا] ثم روى البيهقي من طريق أبي نعيم عن سلمة بن رجاء عن الشعناء - امرأة من بني أسد - عن عبد الله ابن أبي أوفى أن رسول الله (ص) صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جرى برأس أبي جهل . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا سلمة بن رجاء قال حدثني شعناء عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله (ص) صلى يوم بشر برأس أبي جهل ركعتين .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبي حدثنا هشام أخبرنا بخالد عن الشعبي أن رجلا قال لرسول الله (ص) : إني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقعة معه حتى يغيب في

(١) وفي المصرية : صقت يده . (٢) ندرأى سقط . (٣) أي أحمل من شدة الفرح .

الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال رسول الله (س) : « ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة » . وقال الاموي في مغازيه ممعت أبي ثنا المجالد بن سعيد عن عامر قال جاء رجل الى رسول الله (س) : فقال إني رأيت رجلاً جالساً في بئر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الارض ، فقال رسول الله (س) : « ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة » وقال البخاري حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال قال الزبير : لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه الا عيناه ، وهو يكنى أبا ذات الكرش ، فقال أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بعزّة فطعنته في عينه فمات . قال هشام فأخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعنها ، وقد انثنى طرفاها ، قال عروة فسأله إياها رسول الله (س) ، فأعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله (س) أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل . وقال ابن هشام حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص - ومعه - إني أراك كأن في نفسك شيئاً أراك تظن أني قتلت أباك إني لو قتلتك لم أعتذر اليك من قتله ، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة فاما أبوك فاني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدث عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله .

قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله (س) ، فأعطاه جندلاً من حطب فقال « قاتل بهذا يا عكاشة » فلما أخذه من رسول الله (س) هزه فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله (س) حتى قتله طليحة الاسدي أيام الردة ، وأنشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله :

عشبة غادرْتُ ابنَ أقرم^(١) ناولياً وعكاشة الغنميَّ عندَ مجال

وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتي بيانه . قال ابن اسحاق : وعكاشة هو الذي قال جين لرسول الله (س) : أمتي بسبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أدع الله أن يجعلني منهم قال « اللهم اجعله منهم » وهذا الحديث مخرج في الصحيح والحسان وغيرهما . قال ابن اسحاق : وقال رسول الله (س) : - فبأبلغني - « منا خير فارس في العرب » قالوا ومن هو يا رسول الله ؟ قال « عكاشة بن محصن » فقال ضرار بن الازور ذاك رجل منا يا رسول الله ، قال ليس منك ولكنه

(١) ابن أقرم : هو ثابت بن أقرم الانصاري كما في ابن هشام .

منا للحلف . وقد روى البيهقي عن الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني عمر بن عثمان الخشنى عن أبيه عن عمته قالت قال عكاشة بن محصن : انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً فاذا هو سيف أبيض طويل ، قاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك . وقال الواقدي وحدثني أسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الاشهل عدة قالوا : انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب ^(١) فقال : اضرب به فاذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة .

رده عليه السلام عين قتادة

قال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو سعد الماليني أخبرنا أبو أحمد بن عدى حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الحماني ثنا عبد العزيز بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله ﷺ فقال « لا » فدعاه فغمز حدقته براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيب وفي رواية فكانت أحسن عينيه . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك :

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينه فردّت بكفّ المصطفى أبما ردّ

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشدًا قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن فالشده عمر في موضعه حقاً :

تلك المكارم لأقربان من لبنٍ شيبا بماءٍ فمادا بعدُ أبوالا

فصل قصة اخرى شبيهة بها

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا محمد بن صالح أخبرنا الفضل بن محمد الشعرائي حدثنا إبراهيم بن المنذر أخبرنا عبد العزيز بن عمران حدثني رفاعه بن يحيى عن معاذ بن رفاعه بن رافع عن أبيه رافع بن مالك . قال لما كان يوم بدر تجمع الناس على أبي بن خلف ، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت ابطه ، قال فطعنته بالسيف فيها طعنة ، ورميت بسهم يوم بدر ، ففقتت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعالي فما أذاني منها شيء وهذا غريب من هذا الوجه واسناده جيد ولم يخرجوه . ورواه الطبراني من حديث إبراهيم بن المنذر . قال ابن

(١) عذق ابن طاب نخل بالمدينة ، وابن طاب ضرب من الرطب .

هشام وفادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد فقال : أين مالى يا خبيث
 فقال عبد الرحمن :

لم يبقَ إلا شُكَّةٌ ويعبوبٌ وصارمٌ يقتل ضلالَ الشيب

يعنى لم يبقَ إلا عدة الحرب ، وحصان وهو اليعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة ، هذا يقوله في
 حال كفره . وقد رويناه فى مغازى الاموى أن رسول الله (س) جعل يمشى هو وأبو بكر الصديق بين
 القتلى ورسول الله (س) يقول « نفلق هاما » فيقول الصديق :

من رجال أعرزة علينا وم كاتوا أعقَّ وأظلما

طرح رؤوس الكفر فى بئر يوم بدر

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت : لما أمر رسول الله (س)
 بالقتلى أن يطرحوا فى القليب ، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ فى درعه ففلاها
 فذهبوا ليخرجوه فتزائل [لجه] فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى
 القليب وقف عليهم فقال : « يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فاني قد وجدت ما وعدنى
 ربي حقاً » قالت فقال له أصحابه يا رسول الله أتكلّم قوما موتى فقال « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم
 حق » قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلت لهم ، وإنما قال رسول الله (س) لقد علموا
 قال ابن اسحاق : وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال سمع أصحاب النبي (س) رسول
 الله من جوف الليل وهو يقول « يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن
 خلف ، ويا أبا جهل بن هشام - فعدد من كان منهم فى القليب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فاني
 قد وجدت ما وعدنى ربي حقاً » فقال المسلمون : يا رسول الله (س) أتتأدى قوما قد جيفوا ؟ فقال
 « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني » وقد رواه الامام احمد عن
 ابن أبي عدى عن حميد عن أنس قد ذكر نحوه . وهذا على شرط الشيخين قال ابن اسحاق وحدثني
 بعض أهل العلم أن رسول الله (س) قال « يا أهل القليب بثس عشرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموه
 وصدقتى الناس ، وأخرجتموني وآوانى الناس ، وقاتلتموني ونصرنى الناس ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم
 حقاً فاني قد وجدت ما وعدنى ربي حقاً » .

قلت : وهذا مما كانت عائشة رضى الله عنها تتأوله من الاحاديث كما قد جمع ما كانت تتأوله
 من الاحاديث فى جزءه وتفتقد أنه معارض لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله
 (وما أنت بمسمع من فى القبور) وليس هو معارض له والضوابط قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم

للاحدِيث الله نَصَا على خِلاف ما ذهبت اليه رَضِيَ اللهُ عنها وأَرْضاها . وقال البخاري حدثنا عبيد
ابن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع
إلى النبي (ص) أن الميت يعذب في قبره يبكاء أهله فقالت : رحمه الله ، إنما قال رسول الله (ص) ،
إنه ليعذب بمخيطيته وذنبه ، وإن أهله ليبكون عليه الآن . قالت وذلك مثل قوله إن رسول الله
(ص) قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال ، قال انهم ليسمعون ما أقول وإنما
قال إنهم الآن ليعلمون إنما كنت أقول لهم حق ، ثم قرأت [إنك لا تسمع الموتى وما أنت بسمع
من في القبور] تقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار . وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة
به ، وقد جاء التصريح بسمع الميت بعد دفنه في غير ما حديث كما سنقرر ذلك في كتاب الجنائز من
الاحكام الكبير إن شاء الله . ثم قال البخاري حدثني عثمان ثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن
عمر قال : وقف النبي (ص) على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا » ثم قال « انهم
الآن يسمعون ما أقول لهم » وذكر لمائشة فقالت : إنما قال النبي (ص) إنهم الآن ليعلمون أن
الذي كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأت (إنك لا تسمع الموتى) حتى قرأت الآية . وقد رواه مسلم
عن أبي كريب عن أبي أسامة . وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن هشام بن عروة .
وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال
ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن رسول الله (ص) أمر يوم بدر بلربعة وعشرين رجلا من
صناديد قريش فهدفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرضة
ثلاث ليال ، فلما كان بيوم الثالث أمر بإحلالته فشد عليها رجلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا
ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان
ابن فلان ويا فلان بن فلان يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فأتاكم وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا . فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال
النبي (ص) « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . قال قتادة : أحيام الله حتى
أسمعهم قوله توييخا وتصغيرا : نعمة وحسرة وندامة ، وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق
عن سعيد بن أبي عروبة . ورواه الامام احمد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن
عن قتادة قال حدث أنس بن مالك فذكر مثله . فلم يذكر أبا طلحة وهذا اسناد صحيح ، ولكن
الاول أصح وأظهر والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رسول
الله (ص) ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية بن خلف ، يا أبا
جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإني قد وجدت

ما وعدني ربي حقا « قال فسمع عمر صوته فقال يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون؟ يقول الله تعالى (إنا لا نسمع الموتى) فقال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » . ورواه مسلم عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به . وقال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديارَ زينبَ بالكثيبِ كخطّ الوحي في الورقِ القشيبِ
تداولها الرياحُ وكلَّ جَوْنٍ من الوصي منهمْ منكوبِ
قامسى رمحها خَلِقًا وأمست يباباً بعد ما كنها الحبيبِ
فدغَّ عنك التذكُّرُ كلَّ يومٍ وردَّ حرارةَ القلبِ (١) الكثيبِ
وخبرَ بالذي لا عيبَ فيه بصدقٍ غيرِ أخبارِ الكذوبِ
بما صنعَ المليكُ غداةَ بدرٍ لنا في المشركين من النصيبِ
غداةَ كأنَّ جمعهمْ حِراءُ بدتْ أركانهُ جُنجَحَ الغروبِ
فلاقيناهمُ منا بجمعٍ كاسدُ الغابِ مُردانٍ وشيبِ
أمامَ محمدٍ قد وازروه على الاعداءِ في لفحِ الحروبِ
بأيديهمْ صوارمُ مرهفاتٍ وكلَّ مجربٍ خاطي الكعوبِ
بنو الأوسِ الفطارفُ وآزرُها بنو النجَّارِ في الدِّينِ الصليبِ
ففاذرنا أبا جهلٍ صريعاً وعتبةً قد تركنا بالجبوبِ (٢)
وشيبةً قد تركنا في رجالٍ ذوي حسبٍ إذا نسبوا حسيبِ
يناديهمْ رسولُ الله لما قدفناهم كباكبٍ في القلبِ
ألم نجبوا كلامي كان حقاً وأمرَ الله يأخذُ بالقلوبِ
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقتْ وكنتَ ذا رأيٍ مصيبِ

قال ابن اسحاق : ولما أمر رسول الله (ص) أن يلقوا في القلب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب في القلب فنظر رسول الله (ص) - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة فاذا هو ككثيب قد تغير لونه فقال : « يا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أهلك شيء - أو كما قال رسول الله (ص) - فقال : لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلماً وفضلاً فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجوه أحرزني ذلك فدعا له رسول الله (ص) بخير وقال له خيراً وقال البخاري حدثنا

(١) في ابن هشام : الصدر الكثيب . (٢) الجبوب اسم للارض لانها نجب أي تحفر .

الحميدى حدثنا سفيان ثنا عمرو عن عطاء عن ابن عباس (الذين بدلوا نعمة الله كفراً) قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو : هم قريش ، ومحمد نعمة الله (وأحلوا قومهم دار البوار) قال : النار يوم بدر . قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

قومي الذين هم آووا نبيهم وصدقوه وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف للصالحين من الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم لما أقام كريم الأصل مختار
أهلاً وسهلاً في أمن وفي سعة نعم النبي ونعم القسم والجار
[فأنزلوه بدار لا يخاف بها من كان جارهم داراً هي الدار^(١)]
وقاسمهم بها الأموال إذ قدموا مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا إلى بدر لحينهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلائم بفرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار
وقال إني لكم جار فأوردكم شر الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولوا عن سرائرهم من منجدين ومنهم فرقة غاروا

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن أبي بكر وعبد الرزاق . قال : حدثنا اسراييل عن عكرمة عن ابن عباس . قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من القتلى قيل له عليك العير ليس دونها شيء ، فناداه لعباس وهو في الوثاق : إنه لا يصلح لك . قال لم ؟ قال لان الله وعده احدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعده . وقد كانت جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور الف من الملائكة وكان قدر الله السابق فيمن بقى منهم أن سيسلم منهم بشر كثير . ولو شاء الله لسلط عليهم ملكاً واحداً فاهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية ، وقد كان في الملائكة جبريل الذى أمره الله تعالى فاقطلع مدائن قوم لوط وكن سبعاً فيهن من الامم والدواب والاراضى والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات واتبعن بالحجارة التى سومت لهن كما ذكرنا ذلك فى قصة قوم لوط كما تقدم .

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين وبين تعالى حكمه فى ذلك فقال [فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا تخنتمهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب وزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضهم ببعض] الآية . وقال تعالى [قاتلهم

(١) البيت عن ابن هشام . وقوله فى الذى يليه (الجاحد) فى الاصل الجاهل . وكذا قوله

(دلائم) فى الاصل والاهوا والتصحيح عن ابن هشام .

يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم
ويتوب الله على من يشاء [الآية . فكان قتل أبي جهل على يدي شاب من الانصار ، ثم بعد ذلك
يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له لقد رقيت مرتقى صعبا
يا رويي الغنم ، ثم بعد هذا حزرأسه واحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله فشفى الله به قلوب
المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه
والله أعلم .

وقد ذكر ابن اسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلما ولكنه خرج معهم تقية
منهم لانه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن اسلامه جماعة منهم ؛ الحارث بن زمة بن الاسود ، وأبو
قيس بن الفاكه [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ^(١)] وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن
الحجاج . قال وفيهم نزل قوله تعالى [الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت
مصيرا] وكان جملة الاسارى يومئذ سبعين أسيرا كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله منهم
من آل رسول الله (ص) عمه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمه عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث
ابن عبد المطلب ، وقد استبدل الشافى والبخارى وغيرها بذلك على أنه ليس كل من ملك ذا رحم
محرم يعتق عليه وعارضوا به حديث الحسن عن ابن مسرة في ذلك فانه أعلم . وكان فيهم أبو العاص
ابن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبي (ص) .

فصل في الأسارى

وقد اختلف الصحابة في الاسارى أيقتلون أو ينادون على قولين ، كما قال الامام احمد حدثنا
على بن عاصم عن حميد عن أنس -- وذكر رجل -- عن الحسن . قال استشار رسول الله (ص) ، الناس
في الاسارى يوم بدر فقال « إن الله قد أمكنكم منهم » قال فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب
أعناقهم ، قال فاعرض عنه النبي (ص) ، ثم عاد النبي فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق
فقال يا رسول نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال فذهب عن وجه رسول الله (ص) ما
كان فيه من الغم ففعا عنهم وقبل منهم الفداء . قال وأُنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق
لمسكم) الآية : افرد به احمد . وقد روى الامام احمد - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والترمذى
وصححه وكذا على بن المدينى وصححه من حديث عكرمة بن عمار حدثنا مالك الحنفى أبو زميل حدثنى

(١) لم يرد في الاصول وزدناه من ابن هشام عن محمود الامام .

ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله (ص) الى اصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف ونظر الى المشركين فاذا هم ألف وزيادة فذكر الحديث كما تقدم الى قوله قتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا ، واستشار رسول الله (ص) أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وانى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا . فقال رسول الله (ص) « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » قال قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله (ص) ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد قال عمر : فعدوت الى النبي (ص) وأبى بكر وهما يبكيان فقلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبأ كيت لبكائكما ؟ قال رسول الله (ص) « للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة » — لشجرة قريبة — وأنزل الله تعالى [ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم] من الفداء ، ثم أحل لهم الغنائم وذكر تمام الحديث .

وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله (ص) « ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ » قال فقال أبو بكر : يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم قال وقال عمر : يا رسول الله أخرجوك وكذبوك قريتهم فاضرب أعناقهم . قال وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله أنظر واديا كثير الخطب فادخلهم به ثم أضرمه عليهم نارا . قال فدخل رسول الله (ص) ولم يرد عليهم شيئا . فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس يأخذ بقول عمر ، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . فخرج عليهم فقال : إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من الين ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى يكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم قال (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانه كفور رحيم) ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق

قال عبد الله : فقلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فاني قد سمعته يذكر الاسلام قال فسكت ، قال
فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال « إلا سهيل بن
بيضاء » قال فانزل الله [ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الارض تريدون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم] إلى آخر الآيتين وهكذا رواه
الترمذي والحاكم من حديث أبي معاوية . وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه
من طريق عبد الله بن عمرو وأبي هريرة بنحو ذلك . وقد روى عن أبي أيوب الانصاري بنحوه .
وقد روى ابن مردويه والحاكم في المستدرک من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن
ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال : لما أسر الاسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر
أسره رجل من الانصار قال وقد أوعده الانصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبي (ص) فقال « إني لم
أنم الليلة من أجل عبي العباس ، وقد زعمت الانصار أنهم قاتلوه » قال عمر أفا تيهم ؟ قال نعم فأتى
عمر الانصار فقال لهم : أرسلوا العباس : فقالوا لا والله لا نرسله ، فقال لهم عمر : فان كان لرسول الله
رضى ؟ قالوا فان كان له رضى نخذه ، فاخذ عمر فلما صار في يده قال له عمر : يا عباس أسلم فوالله لئن
أسلم أحب إلى من أن أسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه اسلامك . قال واستشار
رسول الله (ص) أبا بكر فقال أبو بكر عشيرتك فارسلهم واستشار عمر فقال اقتلهم ، فناداهم رسول
الله (ص) فانزل الله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الارض) الآية . ثم قال
الحاكم في صحيحه هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه من
حديث سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال : جاء
جبريل إلى النبي (ص) فقال خير أصحابك في الاسارى إن شأوا الفداء وإن شأوا القتل على أن يقتل
عاما قابلا منهم مثلهم ، قالوا الفداء أو يقتل منا . وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مرسل
عن عبيدة والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في قوله
(لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) يقول لولا أني لا أعذب من عصاني حتى
أقدم اليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . وهكذا روى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضاً واختاره
ابن اسحاق وغيره وقال الاعمش سبق منه أن لا يعذب أحداً شهد بداراً . وهكذا روى عن سعد
ابن أبي وقاص وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، وقال مجاهد والثوري (لولا كتاب من الله
سبق) أي لهم بالمغفرة . وقال الواحلي عن ابن عباس سبق في أم الكتاب الاول أن المغانم وفداء
الاسارى حلال لكم ، ولهذا قال بعده (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً) وهكذا روى عن أبي هريرة
وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة والاعمش ، واختاره ابن جرير وقد ترجح هذا

القول بما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (س) « أعطيت خمسا لم يعطن أحد من الانبياء قبلي ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، وحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة » . وروى الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي (س) « لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا » . ولهذا قال تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فاذن الله تعالى في أكل الغنائم وفداء الاسارى وقد قال أبو داود حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العباسي ثنا سفيان بن حبيب ثنا شعبة عن أبي العنيس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله (س) جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربع مائة ، وهذا كان أقل ما فودى به أحد منهم من المال ، وأكثر ما فودى به الرجل منهم أربعة آلاف درهم . وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبهم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم) الآية . وقال الواحلي عن ابن عباس نزلت في العباس ففادى نفسه بالاربعةين أوقية من ذهب قال العباس ؛ فأثاني الله أربعين عبداً - يعني كلهم يتجر له - قال وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه . وقال ابن اسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن مغفل ^(١) عن بعض أهله عن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله (س) يوم بدر والاسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبي (س) ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال « سمعت أنين عبي العباس في وثاقه » فاطلقوه فسكت فنام رسول الله (س) . قال ابن اسحاق : وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب . قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر كما أمره بذلك رسول الله (س) حين ادعى أنه كان قد أسلم فقال له رسول الله (س) « أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم بإسلامك وسيجزيك » فادعى أنه لا مال عنده قال « فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها إن أسبت في سفرى فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقيم ؟ » فقال والله إني لأعلم أنك رسول الله إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل رواه ابن اسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس . وثبت في صحيح البخارى من طريق موسى بن عقبة قال الزهري حدثني أنس بن مالك قال إن رجلاً من الانصار استأذنوا رسول الله (س) قالوا إيدن لنا فلترك لابن اختنا العباس فداءه . فقال « لا والله لا تدرؤن منه درهما » قال البخارى وقال ابراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن النبي (س) أتى بمال من البحرين فقال : « انثروه في المسجد » فكان أكثر مال أتى به رسول الله (س) ، إذ جاءه العباس

(١) كذا في الحلبية وفي المصرية معقل وفي الخلاصة العباس بن عبد الله بن معبد .

فقال : يا رسول الله أعطني إني قادت نفسي وفاديت عقيلًا فقال « خذ » فحشا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلى . قال « لا » قال فارفعه أنت علي ، قال « لا » فثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلى قال « لا » قال فارفعه أنت علي قال « لا » فثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق . فما زال يتبعه بصرد حتى خفي علينا عجبًا من حرصه ، فقام رسول الله (ص) ونم منها درهم . وقال البيهقي أخبرنا الحماكم أخبرنا الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن أسباط بن نصر عن اسماعيل بن عبد الرحمن السدي . قال : كان فداء العباس وابني أخوية عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كل رجل أربعمائة دينار ، ثم تواعد تعالى الآخرين فقال (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم) .

فَضْلُ النَّبِيِّ

والمشهور أن الاسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقَتلى من المشركين سبعين كما ورد في غير ما حديث مما تقدم وسيأتى ان شاء الله ، وكما في حديث البراء بن عازب في صحيح البخارى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسرُوا سبعين . وقال موسى بن عقبة : قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الانصار ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعين ، وأسر منهم تسعة وثلاثين . هكذا رواه البيهقي عنه . قال وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين . ثم قال أخبرنا الحماكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق . قال واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلاً : أربعة من قريش وسبعة من الانصار وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلاً وقال في موضع آخر : وكان مع رسول الله (ص) أربعون أسيراً ، وكانت القَتلى مثل ذلك . ثم روى البيهقي عن طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث عن عقيل عن الزهري قال : وكان أول قَتيل من المسلمين مهجع مولى عمر ، ورجل من الانصار وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك ، قال ورواه ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عروة بن الزبير قال قال البيهقي — وهو الاصح — فيما روينا في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم ، ثم استدل على ذلك بما ساقه هو والبخارى أيضاً من طريق أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : أمر رسول الله (ص) على الرماة يوم أحد عبد الله ابن جبير ، فأصابوا من سبعين . وكان النبي (ص) وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً . قلت والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الالف وقد صرح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً ، وكأنه أخذه من هذا الذى ذكرناه والله

أعلم . وفي حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف ، والصحيح الأول لقوله عليه السلام « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كما سيأتي التخصيص على ذلك وعلى أسمائهم إن شاء الله ، وتقدم في حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وقاله أيضاً عروة بن الزبير وقادة واسماعيل والسدي الكبير وأبو جعفر الباقر . وروى البيهقي من طريق قتيبة عن جابر عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود في ليلة القدر قال : « تحروها لأحدى عشرة بقين فإن صبيحتها يوم بدر » . قال البيهقي وروى عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال ليلة تسع عشرة ما شك ، وقال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . قال البيهقي والمشهور عن أهل المغازي أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان . ثم قال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق ثنا أبو نعيم ثنا عمرو بن عثمان سمعت موسى بن طلحة يقول سئل أبو أيوب الأنصاري عن يوم بدر فقال : إما لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت أو لأحدى عشرة بقيت . وإما لسبع عشرة بقيت وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة قباث بن أشيم اللبني من طريق الواقدي وغيره بإسنادهم إليه أنه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله ﷺ . قال : وجعلت أقول في نفسي ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء والله لو خرجت نساء قريش بالها ردت محمداً وأصحابه . فلما كان بعد الخندق قلت لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد وقد وقع في نفسي الاسلام ، قال فقدمتها فسألت عنه فقالوا هو ذاك في ظل المسجد في ملا من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فسلمت فقال يا قباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، فقلت أشهد أنك رسول الله فان هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط ولا ترزمت به إلا شيئاً حدثت به نفسي ، فلو أنك نبي ما أطلعك عليه ، فلم أباليك على الاسلام فسلمت (٢)] .

فصل في ما كان

وقد اختلفت الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر في المقاتم من المشركين يومئذ لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة أصناف حين ولى المشركون . فرقة أهدقت برسول الله ﷺ . تحرسه خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه . وفرقة ساقط وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون ، وفرقة جمعت المقاتم (١) في الأصلين هكذا (هاها) ولعلها بالها أي بسلاحها (٢) ما بين المرعين من الحلبية فقط .

من متفرقات الاماكن . فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وسامت فيه أخلاقنا ، فترعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله (س) ، فقسمة بين المسلمين عن بواء ، يقول عن سواء . وهكذا رواه احمد عن محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق به ومعنى قوله على السواء أى ساوى فيها بين الذين جمعوها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا تحت الرايات لم يخصص بها فريقا منهم ممن ادعى التخصيص بها ، ولا ينفي هذا تخصيصها وعرف الخمس في مواضعه كما قد يتوهمه بعض العلماء منهم أبو عبيدة وغيره والله أعلم . بل قد تنفل رسول الله (س) سيفه ذو الفقار من مقام بدر . قال ابن جرير : وكذا اصطفى جلالا لابي جهل كان في أنفه برة من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضا . وقال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو ثنا ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال خرجنا مع النبي (س) ، فشهدت معه بدرآ ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدثت طائفة برسول الله (س) ، لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وطاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وليس لاحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم باحق به منا نحن نفينا منها العدو وهزمنام ، وقال الذين أحدثوا برسول الله (س) ، خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به ، فانزل الله [يسألونك عن الانفال قل الانفال لله ولرسوله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين] فقسما رسول الله بين المسلمين . وكان رسول الله (س) ، إذا أغار في أرض العدو نفل الربيع فاذا أقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الانفال . وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث الثوري عن عبد الرحمن ابن الحارث آخره وقال الترمذي هذا حديث حسن . ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه . وقد روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله (س) ، من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ، فسارع في ذلك شبان الرجال وبقى الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جاؤا يطلبون الذي جعل لهم قال الشيوخ : لا تسبأروا علينا فاما كنا ردنا لكم لو انكشتم لغنم البنا ، فتنازعوا فانزل الله تعالى [يسألونك

عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين [. وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آثاراً آخر يطول بسطها ههنا ومعنى الكلام أن الانفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله بحكمها فيها بما فيه المصلحة للعباد في المأش والمعاد ولهذا قال تعالى (قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ثم ذكر ما وقع في قصة بدر وما كان من الامر حتى انتهى إلى قوله [واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل] الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله في الانفال الذي جعل مرده اليه وإلى رسوله (س) ، فبينه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى ، وهو قول أبي زيد وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله (س) ، قسم غنائم بدر على السواء بين الناس ، ولم يخمسها . ثم نزل بيان الخس بعد ذلك فاسخاً لما تقدم ، وهكذا روى الوابي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وفي هذا نظر والله أعلم . فان في سياق الآيات قبل آية الخس وبعدها كلها في غزوة بدر فيقتضي أن ذلك نزل جملة في وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضي نسخ بعضه بعضاً ، ثم في الصحيحين عن علي رضي الله عنه أنه قال في قصة شار فيه اللذين اجتب أسنمتهما حمزة إن إحداهما كانت من الخس يوم بدر ما يرد صريحاً على أبي عبيد أن غنائم بدر لم تخمس والله أعلم . بل خست كما هو قول البخاري وابن جرير وغيرهما وهو الصحيح الراجح والله أعلم .

فصل في أخبار مكة

في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة وما كان من الامور في مسيره اليها مؤيداً منصوراً عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وثبت في الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام ، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقه ووقف على قلب بدر ففرع أولئك الذين سحبوا اليه كما تقدم ذكره ، ثم سار عليه السلام ومعه الاسارى والغنائم الكثيرة وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحد به كفر ، أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعلى المدينة ، والثاني زيد بن حارثة إلى السافلة . قال أسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سويننا [التراب] على رقية بنت رسول الله (س) ، وكان زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه قد احتبس عندها بمرضها بامر رسول الله (س) ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدر . قال أسامة : فلما قدم أبي زيد بن حارثة جثته وهو

واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة . وأبو جهل بن هشام ، وزمة بن الاسود ، وأبو البختري الماص بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . قال قلت يا أبة أحق هذا ؟ قال إى والله يا بنى . وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد أن النبي (ص) خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله (ص) ، فجاء زيد بن حارثة على المضباء فاقه رسول الله (ص) . بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الحمية تفرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة فوالله ما صدقت حتى رأينا الاسارى . وضرب رسول الله (ص) لعثمان بسهمه . وقال الواقدي صلى رسول الله (ص) مرجعه من بدر المصر بالاثيل فلما صلى ركعة تبسم فسئل عن تبسمه فقال : « يرى ميكائيل وعلى جناحه النعم فتبسم إلى وقال إني كنت في طلب القوم ، وأناه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم نفيه الغبار فقال يا محمد إن ربى بعثنى إليك وأمرنى أن لا أفرقك حتى ترضى هل رضيت ؟ قال نعم . قال الواقدي قالوا وقدم رسول الله (ص) زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الاثيل فجاء يوم الاحد حين اشتد الضحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحلته يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله (ص) . وقتل المشركين وأسرم ، قتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زمة بن الاسود ، وأمية بن خلف ، وأسرى سهيل بن عمرو . قال عاصم بن عدي : فممت اليه فنحوته فقلت أحقا يا ابن رواحة ؟ فقال إى والله وغداً يقدم رسول الله (ص) بالاسرى مقرنين . ثم تتبع دور الانصار بالعالية يبشرهم داراً داراً والصبيان يفسدون معه يقولون : قتل أبو جهل الفاسق ، حتى إذا انتهى إلى دار بنى أمية وقدم زيد بن حارثة على فاقة رسول الله (ص) . القصواء يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلى صاح على راحلته قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وقتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البختري وزمة بن الاسود ، وأسرى سهيل بن عمرو ذو الانياب فى أسرى كثير فجعل بعض الناس لا يصدقون زيداً ويقولون ما جاء زيد بن حارثة إلا فلاً حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا . وقدم زيد حين سنوينا على رقية بنت رسول الله (ص) . بالبقيع ، وقال رجل من المناهقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه ؟ وقال آخر لابي لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون فيه أبداً وقد قتل عليه أصحابه قتل محمد وهذه فاقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلاً فقال أبو لبابة : يكذب الله قولك . وقالت اليهود : ما جاء زيد إلا فلاً . قال أسامة فجئت حتى خلوت بابي فقلت أحق ما تقول ؟ فقال إى والله حق ما أقول يا بنى فتويت ففسى ورجعت إلى ذلك المناقق فقلت أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لنقتلنك إلى رسول الله إذا قدم فليضربن عنقك ، فقال إنما هو شئ سمعته

من الناس يقولونه . قال فجئى بالأسرى وعليهم شقران . ولى رسول الله ﷺ . وكان قد شهد معهم بدرًا وهم تسع وأربعون رجلاً الذين أحصوا . قال الواقدي : وهم سبعون في الأصل مجتمع عليه لا شك فيه . قال ولقي رسول الله ﷺ ، إلى الروحاء رؤوس الناس يهتئون بما فتح الله عليه . فقال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك ، والله يا رسول الله ما كان تخافى عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوًّا ، ولكن ظننت أنها غير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت . فقال له رسول الله « صدقت » . قال ابن اسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ ، قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار . فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام [يقال إنه] هو عدي بن أبي الزغباء - :

أقم لها صدورها يا بسبس ليس بندي الطلح لها معرّس
ولا بصحراء عمير محبس إن مطايا القوم لا تحبس
فحملها على الطريق أكيّس قد نصر الله وقرّ الأخصس

قال ثم أقبل رسول الله ﷺ ، حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كئيب بين المضيق وبين النازية يقال له سيّر إلى سرحة به قسم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتئون بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان ما الذى تهتئوننا به . والله إن لقينا إلا عجايز صلعا كالبدن المعقلة فحرفناها ، فنبس رسول الله ﷺ . ثم قال : « أى ابن أخى أولئك الملاء » قال ابن هشام : يعنى الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن اسحاق : حتى إذا كان رسول الله ﷺ ، بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله على بن أبي طالب كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط . قال ابن اسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ ، بقتله : فمن للصبية يا محمد ؟ قال « النار » وكان الذى قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر . وكذا قال موسى بن عقبة في مغازيه وزعم أن رسول الله ﷺ ، لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره . قال ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت . قال : يا معشر قريش علام أقتل من بين من ههنا ؟ قال على عداوتك الله ورسوله . وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن

الشعبي قال : لما أمر النبي ﷺ ، بقتل عقبة قال : أقتلني يا محمد من بين قريش ؟ قال : « نعم ! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران ، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فالفاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة ففسلته عن رأسي » قال ابن هشام : ويقال بل قتل عقبة على بن أبي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل . قال ابن هشام : فقالت قتيبة بنت الحارث اخت النضر بن الحارث في مقتل أخها :

ياراكباً ان الاثيل مظنة	من صبح خاسية وانت موفق
أبلغ بها ميتا بان نحية	ما إن تزال بها النجائب تحقق
مني اليك وعبرة مسفوحة	جاءت بوابلها وأخرى تحقق
هل يسمعن النضر إن ناديت	أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أحمد ياخير رضي كريمه	من قوصها والفحل فله معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما	من الفقى وهو المغيظ المحقق
أو كنت قابل فدية فليثقفن	باعز ما يغلو به ما ينفق
والنضر أقرب من أسرت قرابة	وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحم هنالك تشقق
صبراً يقاد الى المنيرة متعباً	رسف المقيدر وهو عان موثق

قال ابن هشام : ويقال والله أعلم أن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » .

قال ابن اسحاق : وقد تلقى رسول الله ﷺ بهذا الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضي حجامه عليه السلام ومعه زق خمر ^(١) مملوء حيسا — وهو التمر والسويق بالسمن — هدية لرسول الله ﷺ . فقبله منه ووصى به الانصار . قال ابن اسحاق ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم . قال ابن اسحاق : وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالاسارى فرقمهم بين أصحابه وقال « استوصوا بهم خيراً » قال وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لا يسه وأمه في الاسارى ، قال أبو عزيز : مربى أخى مصعب بن عمير .

(١) كذا في الاصلين . وفي ابن هشام : ولقي رسول الله ﷺ الخ بحميت مملوء حيسا . والحميت الزق .

ورجل من الانصار يأسرني فقال شديدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه ملك ، قال أبو عزيز
فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني
بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله (ص) . إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحن
بها فاستحى فاردھا فیردها علی ما یسها . قال ابن هشام : وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين
یبدر بعد النضر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لابی اليسر - وهو الذي أسره - ما قال قال له
أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعب إنه أخى دونك فسأت أمه عن أغلى ما فدى
به قرشى فقیل لها أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها . قلت : وأبو عزيز هذا
اسمه زرارة فيما قاله ابن الأثير في غابة الصحابة ، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة . وكان أخا
مصعب بن عمير لابیہ ، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير وقد غلط من جعله قتل
يوم أحد كافرًا ذاك أبو عزة كما سيأتي في موضعه والله أعلم . قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي
بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة . قال قدم بالأسارى حين قدم بهم
وسودة بنت زمعة زوج النبي (ص) عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، قال
وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، قال تقول سودة والله إنى لعندهم إذ أتينا قليل هؤلاء
الأسارى قد أتى بهم ، قالت فرجعت إلى بيتي ورسول الله (ص) فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو
في ناحية الحجرة مجموعة يده إلى عنقه بجبل قالت فلا والله ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد
كذلك أن قلت : أى أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ، ألا تم كراما ؟ فوالله ما أنبئني إلا قول رسول الله
ص من البيت « يا سودة أعل الله وعلى رسوله تخوضين » قال قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق
ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه أن قلت ما قلت . ثم كان من قصة
الأسارى بالمدينة ما سيأتى بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكيفية إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي ببغداد حدثنا أحمد بن
سلمان الديباد حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثني حمزة بن العباس ثنا عبدان بن عثمان ثنا عبد الله
ابن المبارك أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن عبد الرحمن - رجل من أهل صنعاء - قال
أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان
ثياب جالس على التراب . قال جعفر فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى ما في
وجوهنا قال إني أبشركم بما يسركم . إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فاخبرني أن الله قد نصر نبيه

وأهلك عدوه وأسرق فلان وفلان وقتل فلان وفلان . التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كَأَنِّي أَنظر اليه كنت أرعى لسيدى رجل من بنى ضمرة إليه ، فقال له جعفر : ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الاخلاط ؟ قال إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى إن حقا على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعا عند ما يحدث لهم من نعمة ، فلما أحدث الله لى نصر نبيه «س» أحدث له هذا التواضع .

وصول خبر مصاب اهل بدر الى اهلهم بمكة

قال ابن اسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاف قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له ما وراءك ؟ قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ، وأبو البختري بن هشام . فلما جعل يعدد أشرف قريش قال صفوان ابن أمّية والله إن^(١) يعقل هذا ، فسأله عنى فقالوا ما فعل صفوان بن أمّية ؟ قال هو ذاك جالسا فى الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا . قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل . وذكر السهيلي عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمعت أهل مكة هاتفا من الجن يقول :

أزارُ الحنيفيون بدراً وقعةً سينقضُّ منها ركنُ كسرى وقيصرا
أبادتُ رجلاً من لؤيٍّ وبرزتُ خرائدَ يضربنُ الترائبَ حُسراً
فيا ويح من أمسى عدوّ محمدٍ لقد جازَ عن قصدر الهدى وتحيراً

قال ابن اسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله «س» كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فاسلم العباس واسلمت أم الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتنهم اسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه . وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة - وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلاً - فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبتة الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزاً ، قال وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل الاقداح أنحتها فى حجرة رزم : فوالله إني لجالس فيها أنحت اقداحي وعندى أم الفضل جالسة وقد سرت ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب بجر رجليه بشرّ ، حتى جلس على طناب الحجر فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا أبو

(١) كذا فى الحلبية وفى المصرية وابن هشام : والله ان يعقل هذا .

سفيان - واسمه المغيرة - ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال فقال أبو لهب : هلم إلى فننذك
 لعمري الخبر ، قال فجلس اليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال
 والله ما هو إلا أن لقينا القوم ففتحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ، ويأسروننا كيف شاؤا ، وإيم
 الله مع ذلك ما ملت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ، والله ما تليق شيئا
 ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرضت طناب الحجرة بيدي ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال
 فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة ، قال وثأورته ^(١) فاحتملني وضرب بي الارض ثم
 بك على يضر بني - وكنت رجلا ضعيفا - فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فاخذته
 فضر به ضربة فبلغت في رأسه شجة منكرة ، وقالت استضعفته إن غاب عنه سيده ، فقام موليا
 ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته . زاد يونس عن ابن اسحاق : فلقد
 تركه ابنه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أنقن . وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون حتى
 قال لهم رجل من قريش : ويحك ألا تستحيان أن أبا كما قد أنقن في بيته لا تدفناه ؟ فقالا إنا نخشى
 عدوة هذه القرحة ، فقال انطلقا فانا أعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما
 يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فاسندوه إلى جدار ثم رضوا عليه بالحجارة . [قال يونس عن
 ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت
 لا تمر على مكان أبي لهب هذا إلا تسترت بنوبها حتى تمجوز ^(٢)] .

قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد قال فاحت قريش على قتلام ، ثم قالوا لا تفعلوا يبلغ
 محمداً وأصحابه فيشتموا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا بهم لا يأرب ^(٣) عليكم محمد
 وأصحابه في الغداء . قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو تركهم
 النوح على قتلام ، فان البكاء على الميت مما يبيل فؤاد الحزين . قال ابن اسحاق : وكان الاسود بن
 المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زمعة وعقيل والحارث ، وكان يحب أن يبكي على بنيه قال فبينما
 هو كذلك إذ مع نائمة من الليل ، فقال للغلام له - وكان قد ذهب بصره - أنظر هل أحل النحب
 هل بكت قريش على قتلها نمل أبكي على أبي حكيمة - يعني ولده زمعة - فان جوفى قد احترق ،
 قال فلما رجع اليه الغلام قال إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته قال فذاك حين يقول الاسود :
 أتبكي أن أضل لها بعير ويمنعها من النوم الشهود

(١) كذا في الحلبية وابن هشام ، وفي المصرية : وبأدته . (٢) ما بين المربعين من الحلبية

فقط ولم يرد في المصرية ولا في ابن هشام .

(٣) يأرب قال في النهاية في تفسير هذا الخبر : أى يتشددون عليكم .

فلا تبكي على بكرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرت الجلود
على بدرٍ سرّاة بني هصيصٍ وغزومٍ ورهطٍ أبي الوليد
وبكى إن بكيت أبا عقيلٍ وبكى حارثاً أسد الاسود
وبكيتهم ولا تُسمي جميعاً وما لأبي حكمة من نديد
ألا قد سادَ بعدهم رجالٌ ولولا يومٌ بدرٍ لم يسودوا
بعث قريش إلى رسول الله (ص) فداءً أسراهم

قال ابن اسحاق : وكان في الاسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي . فقال رسول الله (ص) : « إن
له بمكة ابناً كيساً فاجراً ذا مال وكانكم به قد جاء في طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش لا تمجلوا
بفداء أسراكم لا يارب عليكم محمد وأصحابه ؛ قال المطلب بن أبي وداعة وهو الذي كان رسول الله
(ص) عنى صدقتم لا تمجلوا ، وانسل من الليل وقدم المدينة فاخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به .
قلت : وكان هذا أول أسير فدى ثم بعثت قريش في فداء أسراهم فقدم بكر بن حفص بن
الاخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف فقال
في ذلك :

أمرتُ سبيلاً فلا ابني أسيراً به من جميع الأمم
وخندفٌ تعلم أن الفتي فتاها سهيلٌ إذا يُظلم
ضربتُ بندي الشفر حتى انثنى وأكرهتُ نفسي على ذى العلم

قال ابن اسحاق : وكان سهيل رجلاً أعلم من شفته السفلى . قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن
عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله (ص) : « دعني أنزع نية
سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً ؟ » قال رسول الله (ص) : « لا أمل
به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً » .

قلت : هذا حديث مرسل بل معضل قال ابن اسحاق : وقد بلغني أن رسول الله (ص) قال
لعمر في هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه » قلت : وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة
حين مات رسول الله (ص) ، وارتد من ارتد من العرب ، ونجم التفاق بالمدينة وغيرها . فقام بمكة
نخطب الناس وثبتهم على الدين الحنيف كما سيأتي في موضعه .

قال ابن اسحاق : فلما قابلم فيه مكرز واتمى إلى رضائهم قالوا هات الذي لنا قال اجعلوا رجلي
مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وجلسوا مكرزاً عندهم . وأشد له
ابن اسحاق في ذلك شعراً أنكره ابن هشام فأنه أعلم . قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي

بكر قال : وكان في الاسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب . قال ابن اسحاق وكانت أمه بنت عقبة بن أبي معيط . قال ابن هشام : بل كانت أمه أخت أبي معيط . قال ابن هشام : وكان الذي أسره على بن أبي طالب . قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال قيل لابي سفيان أفد عمراً ابنك ، قال أيجتمع على دمي ومالي ، قتلوا حنظلة وأفدى عمراً ؟ دعوه في أيديهم بمسكوه ما بدا لهم . قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكل أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمراً ومعه مريّة له وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالبيع فخرج من هناك معتمراً ولم يظن أنه يحبس بمكة إنما جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريش أن قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابه عمرو وقال في ذلك :

أرهمط ابن أكل أجيبوا دعاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو لثام أذلة لأن لم يكفوا عن أسيرهم الكهلا
قال فاجابه حسان بن ثابت يقول :

لو كان سعد يوم مكة مطلقاً لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا
بعضب حسان أو بصفراء نبعته نحن إذا ما أنبضت نخبر النبلا

قال ومشي بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله (ص) فآخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم فاعطاهم النبي فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلّى سبيل سعد . قال ابن اسحاق وقد كان في الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد قيس بن أمية ختن رسول الله (ص) وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : وكان الذي أسره خراش بن الصمة أحد بني حرام . قال ابن اسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله (ص) أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحي ، وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية - أو أم كلثوم من عتبة بن أبي لهب ، فلما جاء الوحي قال أبو لهب : اشغلوا محمداً بنفسه ، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله (ص) قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ومشوا إلى أبي العاص فقالوا فارق صاحبك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت ، قال لا والله إذا لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش : وكان رسول الله (ص) يثنى عليه في يومه فيما بلغني . قلت : الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره ثابت في الصحيح كما سيأتى . قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) لا يحمل بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره ، وكان الاسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول

الله (س) وبين أبي العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما . قلت : إنما حرم الله المسلمات على المشركين علم الحديبية سنة ست من الهجرة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها قالت فلما رآها رسول الله (س) رق لها رقعة شديدة وقال « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها الذى لها فافعلوا » . قالوا نعم ! يا رسول الله ، فاطلقوه وردوا عليها الذى لها . [قال ابن اسحاق : فكان ممن سمى لنا ممن من عليه رسول الله (س) من الاسارى بغير فداء من بنى أمية أبو العاص بن الربيع ، ومن بنى مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أسره بعض بنى الحارث بن الخزرج فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه ^(١)] قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله (س) قد أخذ عليه أن يخلى سبيل ينب - يعنى أن تهجر إلى المدينة - فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتى . وقد ذكر ذلك ابن اسحاق معنا فاخرناه لانه أنسب والله أعلم . وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبي (س) نفسه وعقيلًا ونوفلاً ابني أخويه بمائة أوقية من الذهب . وقال ابن هشام كان الذى أسر أبي العاص بوأيوب خالد بن زيد . قال ابن اسحاق : وصيفى بن أبي رفاعه بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه ، فاخذوا عليه لبيعتهن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم : قال حسان بن ابت في ذلك :

ما كان صيفى ليوفى أمانةً قفا تلعب أعيان بعض الموارد

قال ابن اسحاق : وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمع كان محتاجاً لثلاث بنات قال يا رسول الله لقد عرفت مالى من مال وإنى لذو حاجة وذو عيال فامنن على ، فمن عليه رسول الله (س) ، وأخذ عليه أن لا يظهر عليه أحداً فقال أبو عزة بمدح رسول الله (س) على ذلك :

من مبلغ عني الرسول محمداً بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة لها درجات سهلة وصعود
فإنك من حاربتك لحارب شقي ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذكرك بدرأ وأهله تأوب ما بي، حسرة وقعود

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله فرجع اليهم

فلما كان يوم أحد أسر أيضا ، فسأل من النبي . أن يمن عليه أيضا فقال النبي . « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدا مرتين » ثم أمر به فضربت عنقه كما سيأتي في غزوة أحد . ويقال إن فيه قال رسول الله . « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وهذا من الامثال التي لم تسمع إلا منه عليه السلام .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر ببسير ، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش ومن كان يؤذي رسول الله . وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر . قال ابن هشام : والذي أمره رفاعة بن رافع أحد بني زريق . قال ابن اسحاق : لحدثني محمد بن جعفر عن عروة فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان : والله ما أن في العيش [بعدهم] خير ، قال له عمير صدقت ، أما والله لولا دين على ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله فإن لي فيهم علة ابني أسير في أيديهم . قال فاغتنمها صفوان بن أمية فقال : على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أو أسبهم ما بقوا لا يسقى شئ ويمجز عنهم . فقال له عمير : فاكم على شأني وشأنك ، قال سأفعل . قال ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحا بالسيف . فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر وهو الذي حرش بيننا وحزنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله . فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوحشا سيفه . قال فادخله على ، قال فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه بها وقال لمن كان معه من الانصار : أدخلوا على رسول الله . فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله . فلما رآه رسول الله وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال « أرسله يا عمر ، أدن يا عمير ، فدنا ثم قال أنم صباحا - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة » قال أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فاحسنوا فيه ، قال « فما بال السيف في عنقك » قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا ؟ قال « أصدقني ما الذي جئت له ؟ » قال ما جئت إلا لذلك ، قال « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن

تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك» فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كما يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق. ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله (ص): «فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيريه» ففعلوا. ثم قال: يارسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم فأذن له رسول الله (ص). فلحق بمكة، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول ابشروا بوقعة تأتكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا يتنفعه بنفع أبداً. قال ابن اسحاق: فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه فأس كثير. قال ابن اسحاق: وعمير بن وهب - أو الحارث بن هشام - هو الذي رأى عبد الله ابليس حين نكص على عقبيه يوم وفر هاربا وقال إني برى منكم إني أرى مالا ترون، وكان ابليس يومئذ في صورة سراقه بن مالك بن جعشم أمير مدلج.

فَضِّلْهُ

ثم إن الامام محمد بن اسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر وهو من أول سورة الانفال إلى آخرها فاجاد وأفاد، وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير فن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثم لله الحمد والمنة.

فَضِّلْهُ

ثم شرع ابن اسحاق في تسمية من شهد بدرًا من المسلمين فسرده أسماء من شهدها من المهاجرين أولا، ثم أسماء من شهدها من الانصار أوسها وخزرجها إلى أن قال فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والانصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثائة رجل وأربعة عشر رجلا، من المهاجرين ثلاثة وعشرون، ومن الأوس أحد وستون رجلا. ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا. وقد سردهم البخاري في صحيحه مرتبين على حروف المعجم بعد البداة برسول الله (ص). ثم يأتي بكر وعثمان وعلى رضي الله عنهم وهذه تسمية من شهد بدرًا من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وذلك من كتاب الاحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقننى وغيره بعد البداة باسم رئيسهم ونفرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله (ص).

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف اللام

أبي بن كعب النجاري سيد القراء ، الارقم بن أبي الارقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم المخزومي ، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن المجلان . أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم ، كذا قال موسى بن عقبة . وقال الاموي : سواد بن رزام ابن ثعلبة بن عبيد بن عدى شك فيه ، وقال سلمة بن الفضل عن ابن اسحاق : سواد بن ذريق بن ثعلبة ، وقال ابن عائد سواد بن زيد ، أسير بن عمرو الانصاري أبو سليط ، وقيل أسير بن عمرو بن أمية بن لوزان بن سالم بن ثابت الخزرجي ، ولم يذكر موسى بن عقبة ، أنس بن قتادة بن ربيعة ابن خالد بن الحارث الاوسي ، كذا سماه موسى بن عقبة ، و [سماه] الاموي في السيرة أنس .

[قلت : وأنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم لما روى عمر بن شبة التميمي حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن أبيه عن ثمامة بن أنس قال قيل لأنس بن مالك : أشهدت بدراً ؟ قال وأين أغيب عن بدر لا أم لك ؟] وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عبد الله الانصاري ثنا أبي عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس : شهدت بدراً ؟ قال لا أم لك وأين أغيب عن بدر ؟ قال محمد بن عبد الله الانصاري خرج أنس بن مالك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهو غلام يخدمه قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه : هكذا قال الانصاري ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي [(١) . أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أنة الحبشي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . أوس بن ثابت بن المنذر النجاري ، أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي . وقال موسى ابن عقبة أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجي أخو عبادة بن الصامت ، إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بني عدى بن كعب .

حرف الباء

بجير بن أبي بجير حليف بني النجار ، بحات بن ثعلبة بن خزعة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوي حليف الانصار ، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان

ابن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني حليف بني ساعدة وهو أحد العينين هو وعدى بن أبي الزغباء
كما تقدم ، بشر بن البراء بن معرور الخزرجي الذي مات بختير من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد
ابن ثعلبة الخزرجي والد النعمان بن بشير ويقال إنه أول من بايع الصديق ، بشير بن عبد المنذر
أبو لبابة الاوسي رده عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

عرف النساء

تيم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، تيم مولى
خراش بن الصمة ، تيم مولى بني غنم بن السلم . وقال ابن هشام : هو مولى سعد بن خيثمة .

عرف النساء

نابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، نابت بن ثعلبة ويقال لثعلبة هذا الجدع بن
زيد بن الحارث بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة ، نابت بن خالد بن النعمان بن خفساء بن عسيرة
ابن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجاري ، نابت بن خفساء بن عمرو بن مالك بن
عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار النجاري ، نابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد بن
مالك بن غنم بن عدى بن النجار النجاري ، نابت بن هزال الخزرجي ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو
ابن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الاوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجاري (١)
ثعلبة بن عمرو بن محسن الخزرجي ، ثعلبة بن عنمة بن عدى بن نابت السلمي ، ثقف بن عمرو بن
بني حجر آل بني سليم وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسد .

عرف الرجال

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الاشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري ، جابر بن
عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أحد
الذين شهدوا العقبة .

قلت : فاما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي أيضا فقد كره البخاري فيهم في مسند
عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر وقال كنت أمتح
لاصحابي الماء يوم بدر . وهذا الاسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد ذكرت لمحمد بن عمر
- يعني الواقدي - هذا الحديث فقال هذا وهم من أهل العراق وأنكر أن يكون جابر شهد بدرًا

(١) كذا في الاصل ونحسبه مكرراً كما في الاصابة ونظم أسماء أهل بدر .

وقال الامام احمد بن حنبل حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ ، تسع عشرة غزوة ولم أشهد بديراً ولا أحداً منعني أبي فلما قتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ ، عن غزاة . ورواه مسلم عن أبي خيثمة عن روح ^(١) . جبار بن صخر السلمي ، جبر بن عتيك الانصاري ، جبير بن إياس الخزرجي .

حرف النحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي ، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخى سعد بن معاذ الأوسى ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الاوس رده عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن خزمية بن عدى بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبني زعور ابن عبد الأشهل ، الحارث بن الصمة الخزرجي رده عليه السلام لأنه كسر من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عرفة الاوسى ، الحارث ابن قيس بن خلدة أبو خالد الخزرجي ، الحارث بن النعمان بن أمية الانصاري . حارثة بن سراقاة النجاري أصابه سهم غرب وهو في النظارة فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الانصاري حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي . حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الاشجعي من بني دهمان هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن اسحاق . وقال الواقدي حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود كذا ذكره ابن عائذ في مغازيه . وقال ابن أبي حاتم حاطب بن عمرو ابن عبد شمس سمعته من أبي وقال هو رجل مجهول ، الحباب بن المنذر الخزرجي ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ ، حبيب بن أسود مولى بني حرام من بني سلمة وقال موسى بن عقبة حبيب بن سعد بدل أسود ، وقال ابن أبي حاتم حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج أنصاري بدرى حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري أخو عبد الله بن زيد الذي أرى النداء ، الحصين ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ .

حرف النحاء

خالد بن البكير أخو إياس المتقدم ، خالد بن زيد أبو أيوب النجاري ، خالد بن قيس بن مالك ابن العجلان الانصاري ، خارجة بن الحبر حليف بني خفساء من الخزرج وقيل اسمه حارثة بن الحبر وسماه ابن عائذ خارجة فأنعم . خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق ، خباب بن الارت حليف بني زهرة وهو من المهاجرين الاولين وأصله من بني تميم ويقال من خزاعة ، خباب مولى

(١) ما بين المربعين عن النسخة المصرية فقط .

عتبة بن غزوان من المهاجرين الاولين ، خراش بن الصمة السلمي ، خبيب بن اساف بن عتبة الخزرجي ، خريم بن فاتك ذكره البخاري فيهم ، خليفة بن عدى الخزرجي ، خلود بن قيس بن النيمان بن سنان بن عبيد الانصاري السلمي ، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي قتل يومئذ فتأملت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خوات بن جبير الانصاري ضرب له بسهمه وأجره لم يشهدا بنفسه ، خولى بن أبي خولى العجلي حليف بني عدى من المهاجرين الاولين ، خلاد بن رافع ، وخلاد بن سويد ، وخلاد بن عمرو ابن الجموح الخزرجيون .

حرف الزل

ذكوان بن عبد قيس الخزرجي ، ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن فضلة من غبشان بن سليم ابن ملكان بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بني خزاعة حليف لبني زهرة قتل يومئذ شهيداً قال ابن هشام : واسمه عمرو وإنما قيل له ذو الشمالين لانه كان أعسرأ .

حرف الزل

رافع بن الحارث الاوسي ، رافع بن عنجدة قال ابن هشام : هي أمه ، رافع بن المعلى بن لوزان الخزرجي قتل يومئذ . ربيع بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجعد بن عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقبة ربيع بن أبي رافع ، ربيع بن إبلس الخزرجي ، ربيعة بن أكنم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف وهو من المهاجرين الاولين ، ربيعة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجي ، رفاعه ابن رافع الزرقى أخو خلاد بن رافع ، رفاعه بن عبد المنذر بن زهير الأوسي أخو أبي لبابة ، رفاعه ابن عمرو بن زيد الخزرجي

حرف الزل

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن عمه رسول الله (ص) . وحواريه ، زياد بن عمرو وقال موسى بن عقبة زياد بن الاخرس بن عمرو الجني . وقال الواقدي زياد بن كعب ابن عمرو بن عدى بن رفاعه بن كليب بن بردعة بن عدى بن عمرو بن الزبير بن رشدان بن قيس بن جهينة ، زياد بن لبيد الزرقى ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجي ، زيد بن أسلم بن ثعلبة ابن عدى بن عجلان بن ضبيعة ، زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله (ص) . رضى الله عنه ، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، زيد بن سهل بن الاسود بن حرام النجاري أبو طلحة رضى الله عنه .

عوف السنين

سالم بن عمير الأوسى ، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجى ، سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ،
السائب بن عثمان بن مظعون الجمحى شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس بن عائذ ^(١) الخزرجى ، سبرة
ابن فاتك ذكره البخارى ، سراقه بن عمرو النجارى ، سراقه بن كعب النجارى أيضا ، سعد بن
خولة مولى بنى عامر بن لؤى من المهاجرين الاولين ، سعد بن خيشمة الأوسى قتل يومئذ شهيدا ،
سعد بن الربيع الخزرجى الذى قتل يوم أحد شهيدا ، سعد بن زيد بن مالك الأوسى وقال الواقدى :
سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى ، سعد بن سهيل بن عبد الاشهل النجارى ، سعد بن عبيد
الانصارى ، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى أبو عبادة وقال ابن عائذ أبو عبيدة ، سعد بن معاذ
الأوسى وكان لواء الأوس معه ، سعد بن عبادة بن دليم الخزرجى ذكره غير واحد منهم عروة
والبخارى وابن أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدرآ ، ووقع فى صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين
شاور النبي (ص) فى ملتقى النضير من قريش فقال سعد بن عبادة كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث
والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ ، والمشهور أن سعد بن عبادة رده من الطريق قيل لاستنابته
على المدينة وقيل لدعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر حكاه السهيلي عن ابن قتيبة فأنه أعلم
سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب الزهرى أحد العشرة ، سعد بن مالك أبو سهل قال الواقدى
تميز ليخرج فرض فمات قبل الخروج ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ابن عم عمر بن
الخطاب يقال قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله (ص) بسهمه وأجره ، سفيان
ابن بشر بن عمرو الخزرجى ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسى ، سلمة بن ثابت بن وقش بن
زغبة ، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة ، سليم بن الحارث النجارى ، سليم بن عمرو السلمى ،
سليم بن قيس بن فهد الخزرجى ، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجارى ، سماك بن أوس
ابن خرشة أبو دجانة ويقال سماك بن خرشة ، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجى وهو أخو بشير بن
سعد المتقدم ، سهل بن حنيف الأوسى ، سهل بن عتيك النجارى . سهل بن قيس السلمى ، سهيل
ابن رافع النجارى الذى كان له ولاخيه موضع المسجد النبوى كما تقدم ، سهيل بن وهب الفهري وهو
ابن بيضاء وهى أمه ، سنان بن أبى سنان بن محصن بن حنظلة من المهاجرين حليف بنى عبد شمس
ابن عبد مناف ، سنان بن صيفى السلمى ، سواد بن زريق بن زيد الانصارى وقال الاموى سواد
ابن رزام ، سواد بن غزية بن أهيب البلوى ، سويبط بن سعد بن حرمة العبدرى ، سويد بن

(١) كذا فى الاصابة وفى المصرية ابن عيشة وفى الروض عبسة بالمهمله .

نخشي أبو نخشي الطائي حليف بني عبد شمس وقيل اسمه أزيد بن حمير .

حرف السين

شجاع بن وهب بن ربيعة الاسدي أسد بن خزيمه حليف بني عبد شمس من المهاجرين الاولين
شماس بن عثمان الخزومي قال ابن هشام واسمه عثمان بن عثمان وإنما سمى شماسا لحسنه وشبهه شماسا كان
في الجاهلية ، شقران مولى رسول الله . ص . قال الواقدي لم يسهم له وكان على الأسرى فأعطاه كل
رجل ممن له في الأسرى شيئا فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصاد

صهيب بن سنان الرومي من المهاجرين الاولين : صفوان بن وهب بن ربيعة الفهري أخو
سهيل بن بيضاء قتل شهيدا يومئذ ، صخر بن أمية بن خنساء السلمي .

حرف الضاد

ضحاك بن حارثة بن زيد السلمي ، ضحاك بن عبيد عمرو النجاري ، ضمرة بن عمرو الجهمي
وقال موسى بن عقبة : ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الانصار وهو أخو زياد بن عمرو .

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول
الله ص ، بسهمه وأجره ، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبيد مناف من المهاجرين وهو أخو
حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خنساء السلمي . طفيل بن النعمان بن خنساء السلمي ابن عم الذي
قبله . طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصي ذكره الواقدي .

حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسي ذكره البخاري

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح الانصاري الذي حمته الدبر حين قتل بالرجيع ، عاصم بن عدى
ابن الجند بن عجلان رده عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره ، عاصم بن قيس بن ثابت
الخرزجي عاقل بن الكبير أخو إلياس وخالد وعامر ، عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجاري ،
عامر بن الحارث الفهري كذا ذكره سلمة عن ابن اسحاق وابن عائذ وقال موسى بن عقبة وزياد

عن ابن اسحاق عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعة بن مالك العنزي حليف بني عدى من المهاجرين ،
عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلوي القضاعي حليف بني سالم بن مالك بن سالم بن غنم . قال
ابن هشام ويقال عمر بن سلمة ، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث
ابن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين ، عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ،
عامر بن مخلد النجاري ، عائذ بن ماض بن قيس الخزرجي ، عباد بن بشر بن وقش الأوسي ،
عباد بن قيس بن عامر الخزرجي ، عباد بن قيس بن عبشة الخزرجي أخو سبيع المتقدم ، عباد
ابن الخشخاش القضاعي ، عبادة بن الصامت الخزرجي ، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس ،
عبد الله بن أمية بن عرفطة ، عبد الله بن ثعلبة بن خزمية أخو بحات المتقدم ، عبد الله بن جحش
ابن رثاب الاسدي ، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي ، عبد الله بن الجند بن قيس السلمي ،
عبد الله بن حق بن أوس الساعدي . وقال موسى بن عقبة والواقدي وابن عائذ عبد رب بن حق ،
وقال ابن هشام عبد ربه بن حق ، عبد الله بن الحخير حليف لبني حرام وهو أخو خارجة بن الحخير
من أشجع ، عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجي ، عبد الله بن رواحة الخزرجي ، عبد الله بن
زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي الذي أرى النداء ^(١) ، عبد الله بن سراقة العدوي لم يذكره
موسى بن عقبة ولا الواقدي ولا ابن عائذ وذكره ابن اسحاق وغيره ، عبد الله بن سلمة بن مالك
العجلان حليف الانصار ، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بني زعورا ، عبد الله بن سهيل بن عمرو
خرج مع أبيه والمشركون ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهدا معهم . عبد الله بن طارق بن
مالك القضاعي حليف الاوس ^(٢) ، عبد الله بن عامر من بني ذكره ابن اسحاق . عبد الله بن عبد الله
ابن أبي بن سلول الخزرجي وكان أبوه رأس المناقين ، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن
عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان
السلمي ، عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة بن كعب
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، عبد الله بن عرفطة بن عدى الخزرجي ، عبد الله بن عمر بن حرام
السلمي أبو جابر ، عبد الله بن عمير بن عدى الخزرجي ، عبد الله بن قيس بن خالد النجاري ، عبد الله
ابن قيس بن صخر بن حرام السلمي . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن
غنم بن مازن بن النجار جعله النبي ^(س) مع عدى بن أبي الزغباء على النفل يوم بدر ، عبد الله بن
مخرمة بن عبد العزى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة من
(١) في الاصابة : عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله . (٢) وفي الاصابة : عبد الله بن
طارق بن عمرو بن مالك البلوي حليف بني ظفر .

المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مظعون الجحى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بلدمة
 السلمى ، عبد الله بن أنيسة بن النعمان السلمى ، عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجى ،
 عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القضاعى البلوى . عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف
 ابن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهرى أحد العشرة رضى الله عنهم ، عيس بن عامر بن عدى
 السلمى ، عبيد بن التيهان أخو أبو الهيثم بن التيهان ويقال عتيك بدل عبيد ، عبيد بن ثعلبة من
 بنى غنم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العجلان بن عامر ، عبيد بن أبى عبيد ،
 عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحصين والطفيل وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا
 يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة رضى الله عنه ، عتبان بن مالك بن عمرو الخزرجى ، عتبة
 ابن ربيعة بن خالد بن معاوية البهرانى حليف بنى أمية بن لوزان ، عتبة بن عبد الله بن صخر
 السلمى ، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الأولين ، عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن
 عبد شمس بن عبد مناف الاموى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة تخلف على زوجته
 رقية بنت رسول الله ﷺ ، يرضها حتى ماتت ف ضرب له بسهمه وأجره ، عثمان بن مظعون الجحى
 أبو السائب أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين ، عدى بن أبى الزغباء الجهنى وهو الذى
 أرسله رسول الله ﷺ وبسبب بن عمرو بين يديه عينا ، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن
 العجلان ، عصيمة حليف لبنى الحارث بن سوار من أشجع وقيل من بنى أسد بن خزيمه ، عطية بن
 نوبة بن عامر بن عطية الخزرجى ، عقبة بن عامر بن نابى السلمى ، عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجى
 أخو سعد بن عثمان ، عقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى وقع فى صحیح البخارى أنه شهد بدرًا وفيه
 نظر عند كثير من أصحاب المغازى ولهذا لم يذكره ، عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدى أسد خزيمه
 حليف لبنى عبد شمس وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين ، عقبة بن وهب بن كلدة
 حليف بنى غطفان ، عكاشة بن محصن الغنى من المهاجرين الأولين ومن لا حساب عليه ، على بن
 أبى طالب الهاشمى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضى الله
 عنه ، عمار بن ياسر العنسى المذحجى من المهاجرين الأولين ، عمارة بن حزم بن زيد النجارى ، عمر
 ابن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الشيخين المقتدى بهم رضى الله عنهما ، عمر
 ابن عمرو بن إياس من أهل اليمن حليف لبنى لوزان بن عمرو بن سالم وقيل هو أخو ربيع وورقة ،
 عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر أبو حكيم ، عمرو بن الحارث بن زهير
 ابن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبشة بن الحارث بن فهر الفهرى ، عمرو بن سراقه
 العدوى من المهاجرين ، عمرو بن أبى سرح الفهرى من المهاجرين . وقال الواقدى وابن عائد معمر

بدل عمرو ، عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم وهو في بني حرام ، عمرو بن الجوح بن حرام الأنصاري ، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم ذكره الواقدي والاموي ، عمرو بن قيس بن مالك بن عدى بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر أبو خازجة ولم يذكره موسى بن عقبة ^(١) ، عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره موسى بن عقبة ، عمرو ابن معبد بن الازعر الأوسي ، عمرو بن معاذ الأوسي أخو سعد بن معاذ . عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمي ، عمير بن حرام بن الجوح السلمي ذكره ابن عاذ والواقدي ، عمير بن الحمام بن الجوح بن عم الذي قبله قتل يومئذ شهيداً ، عمير بن عامر بن مالك ابن الخنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازني ، عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وسماه الأموي وغيره عمرو بن عوف وكذا وقع في الصحيحين في حديث بعث أبي عبيدة إلى البحرين ، عمير بن مالك بن أهيب الزهري أخو سعد بن أبي وقاص قتل يومئذ شهيداً ، عنزة مولى بني سليم وقيل إنه منهم والله أعلم ، عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النجاري وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً ، عويم بن ساعدة الأنصاري من بني أمية ابن زيد ، عياض بن غنم الفهري من المهاجرين الأولين رضى الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غنام بن أوس الخزرجي ذكره الواقدي وليس بمجمع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي ، فروة بن عمرو بن ودقة ^(٢) الخزرجي .

حرف القاف

قتادة بن النعمان الأوسي . قدامة بن مظعون الجعي من المهاجرين أخو عثمان وعبد الله ، قطبة ابن عامر بن حديدة السلمي . قيس بن السكن النجاري ، قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد المازني كان على الساقة يوم بدر . قيس بن محصن بن خالد الخزرجي ، قيس بن مخلد بن ثعلبة النجاري .

حرف الكاف

كعب بن حماز ويقال جمار ويقال جمار وقال ابن هشام كعب بن عبشان ويقال كعب بن مالك

(١) والذي في الإصابة : عمرو بن قيس بن حزن بن عدى بن مالك بن سالم بن عوف بن مالك الأنصاري الخزرجي . (٢) وقال السهيلي ويقال ودقة بالذال المعجمة .

ابن ثعلبة بن جمار وقال الاموى كعب بن ثعلبة بن حباله بن غنم الفسائي من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة ، كعب بن زيد بن قيس النجاري ، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمي ، كلفة بن ثعلبة أحد البكائيين ذكره موسى بن عقبة ، كنان بن حصين بن ربوع أبو مرثد الغنوي من المهاجرين الأولين

ع ر ط

مالك بن الدخشم ويقال ابن الدخشن الخزرجي ، مالك بن أبي خولى الجعفي حليف بني عدى ، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي ، مالك بن قدامة الأوسى ، مالك بن عمرو أخو ثقف بن عمرو وكلاهما مهاجري وهما من حلفاء بني نعيم بن دودان بن أسد ، مالك بن قدامة الأوسى ، مالك بن مسعود الخزرجي ، مالك بن ثابت بن نائلة المزني حليف لبني عمرو بن عوف ، مبشر بن عبد المنذر ابن زهير الأوسى أخو أبي لبابة ورفاعة قتل يومئذ شهيداً ، المجذر بن زياد البلوي مهاجري ، محرز ابن عامر النجاري ، محرز بن فضلة الاسدي حليف بني عبد قيس مهاجري ، محمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل ، مدلج ويقال مدلاج بن عمرو أخو ثقف بن عمرو مهاجري ، مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، مسطح بن أفاة بن عباد بن المطلب بن عبيد مناف من المهاجرين الأولين وقيل اسمه عوف ، مسعود بن أوس الانصاري النجاري ، مسعود بن خلدة الخزرجي ، مسعود بن ربيعة القاري حليف بني زهرة مهاجري ، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجي ، مصعب بن عمير العبدي مهاجري كان معه اللواء يومئذ ، معاذ بن جبل الخزرجي ، معاذ بن الحارث النجاري وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ ، معاذ بن عمرو بن الجوح الخزرجي ، معاذ بن ماعض الخزرجي أخو عائذ ، معبد بن عباد بن قشير بن القيسم بن سالم بن غنم ويقال معبد بن عبادة بن قيس وقال الواقدي قشعر بدل قشير وقال ابن هشام قشعر أبو خبيصة ، معبد بن قيس بن صخر السلمي أخو عبد الله بن قيس ، معتب بن عبيد بن إياس البلوي القضاعي ، معتب بن عوف الخزاعي حليف بني مخزوم من المهاجرين ، معتب بن قشير الأوسى ، معقل بن المنذر السلمي ، معمر بن الحارث الجمحي من المهاجرين ، ممن بن عدى الأوسى ، معوذ بن الحارث الجمحي وهو ابن عفراء أخو معاذ بن عوف ، معوذ بن عمرو بن الجوح السلمي لعلم أخو معاذ بن عمرو ، المقداد بن عمرو البهراني وهو المقداد بن الاسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال الحمود ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ ، مليل بن وبرة الخزرجي ، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي ، المنذر بن قدامة بن عرفة الخزرجي ، المنذر ابن محمد بن عقبة الانصاري من بني جحجي ، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

عَرَفَ النُّوفا

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب ، نعمان بن عبد عمرو النجاري وهو أخو الضحاك ، نعمان بن عمرو بن رفاعة النجاري ، نعمان بن عصر بن الحارث حليف لبني الأوس ، نعمان ابن مالك بن ثعلبة الخزرجي ويقال له قوقل ، نعمان بن يسار مولى لبني عبيد ويقال نعمان بن سنان . نوفل بن عبيد الله بن فضلة الخزرجي .

عَرَفَ الرِّهَاء

هاني بن نيار أبو بردة البلوي خال البراء بن عازب ، هلال بن أمية الواقفي وقع ذكره في أهل بدر في الصحيحين في قصة كعب بن مالك ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي ، هلال بن المثل الخزرجي أخو رافع بن المثل .

عَرَفَ الرُّدُو

واقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي من المهاجرين ، وديعة بن عمرو بن جراد الجني ذكره الواقدي وابن عائد ، ورقة بن إبس بن عمرو الخزرجي أخو ربيع بن إبس ، وهب بن سعد ابن أبي سرح ذكره موسى بن عقبة وابن عائد والواقدي في بني عامر بن لؤي ولم يذكره ابن اسحاق

عَرَفَ السَّيَاء

يزيد بن الاخفس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمي قال السهيلي شهد هو وأبوه وابنه يعني بدرًا ولا يعرف لهم نظير في الصحابة ولم يذكرهم ابن اسحاق والأكثرون لكن شهدوا معه بيعة الرضوان ، يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي وهو الذي يقال له ابن قسجم وهي أمه قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي ، يزيد بن المنذر بن سرح السلمي وهو أخو معقل بن المنذر .

بَابُ الرِّكْنِي

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجاري وقال ابن هشام أبو الأعور الحارث بن ظالم وقال الواقدي أبو الأعور كعب بن الحارث بن جنس بن ظالم ، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان تقدم . أبو حبة بن عمرو بن ثابت أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوف الانصاري . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه مهشم ، أبو الحمراء مولى الحارث

ابن رفاعه بن عفراء ، أبو خزعة بن أوس بن أصرم النجاري ، أبو سبرة مولى أبي رهم بن عبد العزى من المهاجرين ، أبو سنان بن محسن بن حرقان أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين ، أبو الصباح ابن النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة رجع من الطريق وقتل يوم خيبر رجع لجرح أصابه من حجر فضرب له بسهمه ، أبو عرفة من خلفاء بني جحجي ، أبو كبشة مولى رسول الله ص ، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم ، أبو مرثد الغنوي كنان بن حصين تقدم ، أبو مسعود البدرى عقبة بن عمرو تقدم ، أبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسي .

فصل في شهداء بدر

فكان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلاً منهم رسول الله ص ، كما قال البخاري حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا أبو اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول حدثني أصحاب محمد ص ، ورضي عنهم من شهد بدرًا أنهم كانوا عمة أصحاب طلوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلثمائة . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن . ثم رواه البخاري من طريق إسرائيل وسفيان الثوري عن أبي اسحاق عن البراء نحوه . قال ابن جرير : وهذا قول عامة السلف إنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً وقال أيضاً حدثنا محمود ثنا وهب عن شعبة عن أبي اسحاق عن البراء . قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين والانصار نيفاً وأربعين ومائتين . هكذا وقع في هذه الرواية وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي ثنا أبو مالك الجبني عن الحجاج — وهو ابن أوطاة — عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلاً . وكان الانصار مائتين وستة وثلثين رجلاً . وكان حامل راية النبي ص ، علي بن أبي طالب : وحامل راية الانصار سعد بن عباد . وهذا يقتضي أنهم كانوا ثلثمائة وستة رجال . قال ابن جرير : وقيل كانوا ثلثمائة وسبعة رجال .

قلت : وقد يكون هذا عد معهم النبي ص ، والأول عدم بدونه فله أعلم . وقد تقدم عن ابن اسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً . وأن الأوس أحد وستون رجلاً . والخزرج مائة وسبعون رجلاً وسردم . وهذا يخالف لما ذكره البخاري ولما روى عن ابن عباس فله أعلم . وفي الصحيح عن أنس أنه قيل له شهدت بدرًا . فقال وأين أغيب ؟ وفي سنن أبي داود عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنه قال : كنت أميح^(١) الاصحاب الماء يوم بدر وهذا لم يذكرها البخاري ولا الضياء فله أعلم .

(١) الميخ النزول إلى البئر وملء الدلو منها وذلك إذا قل ماؤها ومنه قولهم :

أيها المائح دلوى دونكا إني رأيت الناس يقصدونكا

قلت : وفي الذين عدم ابن اسحاق في أهل بدر من ضرب له بسهم في مغنمها وأنه لم يحضرها تخلف عنها لعذر أذن له في التخلف بسببها وكأوا ثمانية أو تسعة وهم ، عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله (ص) ، يرمضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر رده رسول الله (ص) ، من الروحاء حين بلغه خروج النفي من مكة فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية رده رسول الله (ص) ، أيضاً من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدي : وأجره ، وخوات بن جبير لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الصياح بن ثابت خرج مع رسول الله (ص) ، فأصاب ساقه فضيل حجر فرجع وضرب له بسهمه وأجره قال الواقدي وسعد أبو مالك تجهز ليخرج فمات وقيل إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره . وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً من المهاجرين ستة وهم : عبيدة بن الحارث ابن المطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الزهري قتله العاص بن سميد وهو ابن ست عشرة سنة ويقال إنه كان قد أمره رسول الله (ص) بالرجوع لصفره فبكي فأذن له في الذهاب فقتل رضي الله عنه ، وحليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعي ، وصفوان بن بيضاء ، وعافل بن البكير الليثي حليف بني عدى ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ ، ومن الانصار ثمانية وهم : حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب خنجرته فمات ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، وبزيد بن الحارث . ويقال ابن قسحم . وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلى بن لؤذان ، وسعد بن خيشة ، ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عن جميعهم ، وكان مع المسلمين سبعون بغيراً كما تقدم . قال ابن اسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بفرجة . ويقال ستجة . وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليعسوب . وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل أحدهما للمهاجرين على بن أبي طالب ، والآخر للانصار يحملها سعد بن عباد ، وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الانصار سعد بن معاذ .

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد نص عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً . وقال الواقدي كانوا تسعمائة وثلاثين رجلاً وهذا التحديد يحتاج إلى دليل وقد تقدم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف فقله عدد أتباعهم معهم والله أعلم . وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر

سبعون وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له :

فَأَقَامَ بِالْعَطْنِ الْمُعَطَّنُ مِنْهُمْ سَبْعُونَ عَتَبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسُودُ

وقد حكى الواقدي الاجماع على ذلك وفيما قاله نظر ، فان موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالوا خلاف ذلك وهما من أئمة هذا الشأن فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما وإن كان قولهما مرجوحا بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم . وقد سرد أسماء القتلى والاسارى ابن اسحاق وغيره وحرر ذلك الحافظ الضياء في أحكامه جيداً وقد تقدم في غصون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الاسود بن عبد الاسد الخزومي ، وأول من فر وهو خالد بن الأعلم الخزاعي — أو العقيلي — حليف بني مخزوم وما أفاده ذلك فانه أسر وهو القائل في شعره :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْعَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقَطُرُ الدَّمُ

فما صدق في ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث قتلا صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الاسارى ، وقد اختلف في أيهما قتل أولاً على قولين وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الاسارى مجاناً بلا فداء منهم أبو العاص بن الربيع الأموي ، والمطلب بن حنطب ابن الحارث الخزومي ، وصيفي بن أبي رفاعة كما تقدم ، وأبو عزة الشاعر ، ووهب بن عمير بن وهب الجمحي كما تقدم ، وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لثلاث بحاييه لكونه عمه مع أنه قد سأل الذين أسروه من الانصار أن يتركوا له فداؤه فأبى عليهم ذلك ، وقال لا تتركوا منه درهما ، وقد كان فداؤهم متفاوتاً فأقل ما أخذ أربعمائة ، ومنهم من أخذ منه أربعمائة أوقية من ذهب . قال موسى بن عقبة وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب ، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم قال قال داود ثنا عكرمة عن ابن عباس قال : كان فارس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال فجاء غلام يوماً يبكي إلى أمه فقالت ما شأنك ؟ فقال ضربني معلمى فقالت انخليث يطلب بدخل بدر والله لا تأتية أبداً . انفرد به احمد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله وفق الحمد والمنة .

فصل في فضل من شهد بدرأ من المسلمين

قال البخاري في هذا الباب حدثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فان يك في الجنة أصبر وأحسب ، وإن تكن الاخرى فترى ما أصنع قال « ويحك أو هبلت أو جنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس » تفرد به

البخارى من هذا الوجه . وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس وأن حارثة كان في النظارة وفيه « أن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا الذي لم يكن في بحيجة القتال ولا في حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الخوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو وعدوم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً ثم روى البخارى ومسلم جميعاً عن اسحاق بن راهويه عن عبد الله بن إدريس عن حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قصة حاطب بن أبي بلتعة وبمته الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسول الله (ص) في ضرب عنقه فانه قد خان الله ورسوله والمؤمنين . فقال رسول الله (ص) : « قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ولفظ البخارى « اليس من أهل بدر وعلل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم الجنة - أو قد غفرت لكم - » فدمعت عيناه وقال الله ورسوله أعلم . وروى مسلم عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله (ص) يشكو حاطبًا قال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله (ص) : « كذبت لا يدخلها إنه شهد بدرًا والحديبية » وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا أبو بكر بن عياش حدثني الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله (ص) : « لن يدخل النار رجل شهد بدرًا أو الحديبية » تفرد به احمد وهو على شرط مسلم . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي (ص) : « قال إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ورواه أبو داود عن احمد بن سنان وموسى بن اسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به . وروى البزار في مسنده ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو حذيفة ثنا عكرمة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرًا إن شاء الله » ثم قال لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه . قلت : وقد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم . وقال البخارى في باب شهود الملائكة بدرًا حدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا جابر عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقى عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال جاء جبريل إلى النبي (ص) فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة انفرد به البخارى .

قدوم زينب بنت الرسول (ص) من مكة الى المدينة

قال ابن اسحاق : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله - يعنى كما تقدم - بعث رسول الله صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة ورجلا من الانصار مكانه فقال كونا بيطن يا جح حتى تمر بكما زينب فتصحباهما فتأتياي بها ، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر - أو شيعه (١) - فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحق بابيها فخرجت تجهز : قال ابن اسحق فحدثني عبد الله بن أبي بكر قال حدثت عن زينب أنها قالت بينما أنا أتجهز لقيتني هند بنت عتبة فقالت يا ابنة محمد ألم يبلغنى أنك تريدين اللحق بابيك قالت قلت ما أردت ذلك : فقالت أى ابنة عم لا تفعلى إن كان لك حاجة بمحتاج مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تغلبين به إلى أبيك فإن عندى حاجتك فلا تضطبنى منى فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال ، قالت والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت ولكنى خفتها فانكرت أن أكون أريد ذلك . قال ابن اسحاق فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدم اليها أخوزوجها كنانة بن الربيع بصيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهراً يقود بها وهى فى هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بنذى طوى وكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري فروعها هبار بالرمح وهى فى الهودج وكانت حاملاً فيما يزعمون فطرحته وبرك حوها كنانة ونثر كنانته ثم قال والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهماً فتكركر الناس عنه وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش فقال يا أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكملك ، فكف فاقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذ خرجت بأبنته اليه علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا إن ذلك عن ذل أصابنا وإن ذلك ضعف منا ووهن ولعمري ما لنا بحبسها من أبيها من حاجة وما لنا من ثورة . ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرا والحقها بابيها ، قال فضل . وقد ذكر ابن اسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تدمهم على ذلك :

أنى السِّلُّ أعياراً جفاءً وغلفَةً وفى الحرب أشباهُ النساءِ العوارِكِ

وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ما قتل منهم الذين قتلوا . قال ابن اسحاق : فاقامت ليال حتى إذا هدأت الاصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه قدما بها ليلاً على رسول الله (ص) . وقد روى البيهقي فى الدلائل من طريق عمر بن عبد الله بن عروة

(١) قوله أو شيعه أى أو نحوها من شهر حكاه فى النهاية تفسيراً لهذا الخبر .

ابن الزبير عن عروة عن عائشة فذكر قصة خروجها وردم لها ووضعها ما في بطنها وإن رسول الله
 (ص) بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجى معه فتلف زيد فأعطاه راعيا من مكة فأعطى الخاتم
 لزَيْنَب فلما رآته عرفته فقالت من دفع اليك هذا؟ قال رجل في ظاهر مكة فخرجت زَيْنَب ليلا فركبت
 وراه حتى قدم بها المدينة. قال فكان رسول الله (ص) يقول « هي أفضل بناتي أصيبت في » قال
 فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين فأتى عروة فقال ما حديث بلغني أنك تحدثه؟ فقال
 عروة والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني انتقص فاطمة حقها ولها وأما بعد ذلك أن
 لا أحدث به أبداً. قال ابن اسحاق فقال في ذلك عبيد الله بن رواحة أو أبو خيثمة أخو بني سالم
 ابن عوف. قال ابن هشام هي لابی خيثمة :

أنا الذي لا يقدِّر الناس قدره	لزينب فيهم من عُقوق وماتم
وأخرجها لم يجرَّ فيها محمد	على ما قطَّ وبيننا عطرٌ مُشيم
وأسي أسفيان من جلفٍ صُمِّم	ومن حربنا في رِغم أنفٍ وتندم
قرناً ابنته عمراً ومولى يمينه	بذي حلقٍ جلدٍ الصلاصِل محكم
فأقسمت لا تنفك منا كتابت	سراة خميسٍ من لَمامٍ مسوم
نروع قريش الكفر حتى نعلمها	بخطمة فوق الأنوف يمينهم
ننزلهم أكنافَ نَجْمٍ ونخلٍ	وإن يُشيموا بالخيل والرجل نهم
يدى الدهر حتى لا يعوج سرُّنا	ونلحمهم آثارَ عامٍ وجُرم
ويندم قومٌ لم يطيعوا محمداً	على أمرهم وأنى حين تندم
فأبلغ أبا سفيانٍ إماماً لقيته	إني أنت لم تخلص سجوداً وتسلم
فأبشر بخزي في الحياة ممجلاً	وسيرٍ بالبرِّ قارٍ خالداً في جهنم

قال ابن اسحاق : ومولى يمين أبي سفيان الذي غناه الشاعر هو عامر بن الحضرمي . وقال ابن
 هشام إنما هو عقبة بن عبيد الحارث بن الحضرمي فاما عامر بن الحضرمي فإنه قتل يوم بدر . قال ابن
 اسحاق وقد حدثني يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن سليمان بن يسار عن أبي
 اسحاق الدوسي عن أبي هريرة . قال : بعث النبي (ص) سرية أنا فيها فقال « إن ظفرتم بهبار بن
 الاسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرقوها بالنار » فلما كان القصد بعث اليها فقال « إني قد
 كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموها ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يحرق بالنار
 إلا الله عز وجل ، فانظروا فيهما فاقتلوهما » ففرد به ابن اسحاق وهو على شرط السنن ^(١) ولم يخرجوه

وقال البخاري حدثنا قتيبة ثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة أنه قال بعثنا رسول الله (ص) في بعث فقال « إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار » ثم قال حين أردنا الخروج « إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وأن النار لا يعذب بها إلا الله ، فان وجدتموها فاقتلوهما » وقد ذكر ابن اسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش ، فلما قفل من الشام لقيته سرية فاخذوا ما معه وأعجزهم هربا وجاءت تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فاجارته ، فلما خرج رسول الله (ص) للصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله (ص) أقبل على الناس فقال « أيها الناس هل معكم الذي سمعت » قالوا نعم قال « أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعت وإنه يجير على المسلمين أديانهم » ثم انصرف رسول الله (ص) فدخل على ابنته زينب فقال « أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له » قال وبعث رسول الله (ص) فخبم على رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئا فاخذ أبو العاص فرجع به إلى مكة فاعطى كل انسان ما كان له ثم قال : يا معشر قريش هل بقي ل أحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا لا نجزيك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما ، قال فاني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والله ما منعني عن الاسلام عنده ألا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله (ص) قال ابن اسحاق : فحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال رد عليه رسول الله (ص) زينب على النكاح الاول ولم يحدث شيئا ، وهذا الحديث قد رواه الامام احمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن اسحاق ، وقال الترمذي ليس بأسناده بأس ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين . وقال السهيلي لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت وفي لفظ ردها عليه رسول الله (ص) بعد ست سنين ، وفي رواية بعد سنتين بالنكاح الاول رواه ابن جرير وفي رواية لم يحدث نكاحا وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء فان القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافرا فان كان قبل الدخول تعجلت الفرقة وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فان أسلم فيها استمر على نكاحها وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها وزينب رضی الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله (ص) وهاجرت بعد بدر بشهر وحرم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان فمن قال ردها عليه بعد ست سنين أي من حين هجرتها فهو صحيح ومن قال بعد سنتين أي من حين حرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا ، وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها في

هذه المدة التي أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها فكيف ردها عليه بالنكاح الأول ؟
 فقال قائلون بمحتمل أن عدتها لم تنقض وهذه قصة يمين يتطرق اليها الاحتمال ، وعارض آخرون هذا
 الحديث بالحديث الاول الذي رواه احمد والترمذي وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله (ص) رد بفته على أبي العاص بن الربيع بمهر
 جديد ونكاح جديد . قال الامام احمد هذا حديث ضعيف واه ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن
 شعيب إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمي والعرزمي لا يساوي حديثه شيئاً والحديث الصحيح
 الذي روى أن النبي (ص) أقرها على النكاح الاول . وهكذا قال الدارقطني لا يثبت هذا الحديث
 والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله (ص) ردها بالنكاح الاول وقال الترمذي هذا حديث
 في اسناده مقال والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق
 بها ما كانت في العدة وهو قول مالك والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق . وقال آخرون بل الظاهر
 انقضاء عدتها ، ومن روى أنه جدد لها نكاحاً فضعيف ففي قضية زينب والحالة هذه دليل على أن
 المرأة إذا أسلمت وتأخر اسلام زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لا يفسخ بمجرد ذلك بل يبقى
 بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت اسلام زوجها أي وقت كان وهي
 امرأته ما لم تنزوج وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله أعلم . ويستشهد لذلك بما ذكره
 البخاري حيث قال نكاح من أسلم من المشركت وعدتهن حدثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن
 ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من رسول الله (ص) والمؤمنين ،
 كانوا مشركي أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونهم ، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونهم . فكان
 إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر فاذا طهرت حل لها النكاح ، فان
 هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه وإن هاجر عبد منهم أو أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين ثم
 ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد هذا لفظه بجره ، فقوله فكان إذا هاجرت امرأة من أهل
 الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضي أنها كانت تستبرئ بحبضة لا تعتد بثلاثة قروء ، وقد
 ذهب قوم إلى هذا وقوله فان هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت اليه يقتضي أنه وإن هاجر بعد
 انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها ترد إلى زوجها الاول ما لم تنكح زوجاً غيره كما هو الظاهر من قصة
 زينب بنت النبي (ص) وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء والله أعلم .

ما قيل من الاشعار في بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن اسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وأنكرها ابن هشام :
 ألم ترَ أمراً كان من عجب الدهر وللحين أسباب مبيئة الأمر

وما ذاك الا أن قوماً أقامهم
عشيةً راحوا نحو بدرٍ يجمعهم
وكنّا طلبنا العيرَ لم نبلغ غيرها
فلما التقينا لم تكنْ منويةً
وضربَ بيضٌ يختلي الهامَ حدها
ونحنْ تركنا عتبةَ النقيّ ناولياً
وعمرؤ نوى فيمن نوى من محاتهم
جيوبُ نساءٍ من لؤي بن غالب
أولئك قومٌ قتلوا في ضلالم
لواءٍ ضلالٍ قاد ابليسُ أهله
وقال لهم إذ عابَ الأمرُ واضحاً
فاني أرى مالا تزونَ وإني
قد سمعتُ للحينِ حتى تورطوا
فكانوا غداةَ البثرِ الفأ وجعنا
وفينا جنودُ الله حينَ بعدنا
فشدّ بهم جبريلُ تحت لوائنا

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمداً . وقال علي بن أبي طالب
وأنكرها ابن هشام :

ألم تر أن الله أبلى رسوله
بما أنزلَ الكفارَ دارَ مذلة
فامسى رسولُ الله قد عزَّ نصره
فجاء بفرقانٍ من الله مُنزلٍ
فآمنَ أقوامٌ بذلك وأيقنوا
وأنكرَ أقوامٌ فزاغت قلوبهم
وامكنَ منهم يومَ بدرٍ رسوله
بأيديهم بيضٌ خفافَ عصوا بها
فكم تركوا من ناشئ ذي حيةٍ
بلاءَ عزيزٍ ذي اقتدارٍ وذى فضل
فلاقوا هواناً من أسارٍ ومن قتل
وكان رسولُ الله أُرسلَ بالعدل
مبيناً آياته لنبيِّ العقل
فأمسوا بحمدِ الله مجتمعي الشمل
فزادهم ذو العرشِ حُبلاً على حبل
وقوماً غضاها فملهم أحسنُ الفعل
وقد حادّوها بالجلاء وبالصل
عريماً ومن ذي محبةٍ منهم كهل

تبيت عيون النائمات عليهم
نجوماً بسبيل الرشاش وبالوبل
نوايح تنمي عتبة الغني وابنه
وشية تنمى وتنمي أبا جهل
وذا الرجل تنمي وابن جدعان فيهم
مسلة حري مينة الشكل
ثوى منهم في بئر بدر عصاة
ذوو نجدات في الحروب وفي المحل
دعا الغني منهم من دعا فأجابه
والغني أسباب مرمقة الوصل
فأضحوا لدى دار الجحيم بهزل
عن الشعب والمعنون في أسفل السفل^(١)
وقد ذكر ابن اسحاق تقيضها من الحارث أيضاً تركناها قصداً وقال كعب بن مالك
عجبت لأمر الله والله قادر
على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن تلاقى معشراً
بغوا وسبيل النبي بالناس جاور
وقد حشدوا واستنقروا من يلبهم
من الناس حتى جمعهم متكاثراً
وسارت إلينا لا نحاول غيرنا
بأجمعها كعب جميعاً وعلم
وفينا رسول الله والأوس حوله
له معقل منهم عزيز وقاصر
وجمع بني النجار تحت لوائه
يمشون في الماذي والنفع نازر
فلما لقيناهم وكلية مجاهد
لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها
مقاييس يزهى بها لعيفك شاهر
بهن أبداً جمعهم فتبدوا
وكان يلاقي الحين من هو فاجر
فكبت أبو جهل صريعاً لوجهه
وعتبة قد غادرته وهو عار
وشية والتبني غادرت في الوغي
وما منهم إلا بندي العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها
وكل كفور في جهنم صائر
تلظى عليهم وهي قد شب حبها
بزبر الحديد والحجارة ساجر
وكان رسول الله قد قال أقبلوا
فولوا وقالوا إنما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به
وليس لأمر حمة الله زاجر
وقال كعب في يوم بدر :

ألاهل أتى غسان في ناي دارها
وأخبر شئ بالأمر عليها
بأن قد رمتنا عن قسي عداوة
معداً مما جهاها وخليها

(١). كذا في المصرية وفي ابن هشام والخلبية : في أشغل الشغل .

لَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ لَمْ زُجْ غَيْرُهُ رَجَاءَ الْجَنَانِ إِذْ أَنَا زَعِيمُهَا
 نَبِيٌّ لَهُ فِي قَوْمِهِ إِثْرُ عِزَّةٍ وَأَعْرَاقُ صِدْقٍ هَدَّبَتْهَا أَرْوَمُهَا
 فَسَارُوا وَسَرْنَا فَالْتَقَيْنَا كَأَنَّا أَسْوَدُ لَقَاءٍ لَا يَرْجَى كَلِمَتُهَا
 ضَرْبَانِمْ حَتَّى هَوَى فِي مَكْرَتَا لَمْ نَخِرْ سِوَهُ مِنْ لَوْيٍ عَظِيمُهَا
 فَوَلَّوْا وَدَسْنَامُ بَيْضِ صَوَارِمِ سَوَاءٌ عَلَيْنَا حَلْفُهَا وَصِيمُهَا
 وَقَالَ كَعْبٌ أَيْضًا:

لَعَمْرُ أَتَيْكُمَا يَا ابْنَي لَوْيٍ عَلَى زَهْمٍ لَدَيْكُمْ وَانْتِخَاؤِ
 لِمَا حَامَتْ فَوَارِسُكُمْ يَبْدِرُ وَلَا صَبَرُوا بِهِ عِنْدَ الْإِقَاءِ
 وَرَدَّاهُ وَنَوَّرُ اللَّهِ يَجْلُو كَجَى الظُّلُمَاءِ عَنَّا وَالْفُطَاهِ
 رَسُولُ اللَّهِ يَقْدُمُنَا بِأَمْرِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَحْكَمَ بِالْقَضَاءِ
 فَمَا ظَفَرَتْ فَوَارِسُكُمْ يَبْدِرُ وَمَا رَجَعُوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاءِ
 فَلَا تَعَجَّلْ أَبَا سَفْيَانَ وَارْقُبْ حِيَادَ الْخَلِيلِ تَطْلُعُ مِنْ كِدَاءِ
 بَنَصْرِ اللَّهِ رُوحَ الْقُدُسِ فِيهَا وَمِكَالٌ فَيَا طَيْبَ الْمَلَاءِ
 وَقَالَ حَسَنُ بْنُ قَابَتٍ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَيُقَالُ هُوَ لَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ السَّهْمِيِّ:

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَآذِي يَقْدُمُهُمْ جَلَدُ النَّحِيْزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رَعِيدٍ
 أُعْنِي رَسُولُ إِلَهِ الْخَلْقِ فَضْلَهُ عَلَى الْبَرِّيَّةِ بِالتَّقْوَى وَبِالْجُودِ
 وَقَدْ زَعَمْتُمْ بَأَن تَحْمُوا ذِمَارَكُمْ وَمَا بَدَرَ زَعَمْتُمْ غَيْرَ مُورُودٍ (١)
 مُسْتَعَصِمِينَ بِجَهْلِ غَيْرِ مُنْجِزِمٍ مُسْتَحْكَمٍ مِنْ حِبَالِ اللَّهِ مَمْدُودٍ
 فِينَا الرُّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ نَقْبُهُ حَتَّى الْمَمَاتِ وَنَصْرِي غَيْرَ مَحْدُودٍ
 وَافٍ وَمَاضٍ شَهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ بَدَرَ أَنَا زَعَمْتُمْ عَلَى كُلِّ الْأُمَاجِيدِ
 وَقَالَ حَسَنُ بْنُ قَابَتٍ أَيْضًا:

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَتَى أَهْلَ مَكَّةَ إِيَادُنَا السَّكَفَارَ فِي سَاعَةِ السُّرْرِ
 قَتَلْنَا سَرَاةَ الْقَوْمِ عِنْدَ مَجَالِنَا فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ
 قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعَتْبَةَ قَبْلَهُ وَشَيْبَةَ يَكْبُو لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّخْرِ
 قَتَلْنَا سُؤْدَا ثُمَّ عَتْبَةَ بَعْدَهُ وَطَعْمَةً أَيْضًا عِنْدَ نَائِرَةِ الْقَتْرِ

(١) وبعده في ابن هشام:

نَمْ وَرَدَّاهُ لَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ حَتَّى شَرَبْنَا رَوَاهُ غَيْرُ تَصْرِيدٍ

فكم قد قتلنا من كريم مسود
تركناهموا للعلاويات ينبتهم^(١)
له حسب في قومه نابه الذكر
ويصلون فاراً بعد حامية القعر
لعمرك ما حامت فوارس مالك
وأشباعهم يوم التقينا على بدر

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في يوم بدر في قطع رجله في مبارزته هو وحمزة وعلى مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأنسكروا ابن هشام :

سبيلع عنا أهل مكة وقعة
بعتب إذ ولي وشيبة بعده
فان تقطعوا رجلي فاني مسلم
مع الحور أمثال النمايل أخلصت
وبعت بها عيشاً تعرفت صفوه
فاكرمني الرحمن من فضل منه
وما كان مكروها إلي قتالم
ولم يسع إذ سألو النبي سوامنا
لنينا من كالأشد تخطر بالقنا
فما برحت أقدامنا من مقامنا
ثلاثتنا حتى أزيروا المنايا^(٢)

وقال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارث بن هشام على فراره يوم بدر وتركه قومه لا يقاتل دونهم :

تبلى فؤادك في المنام خريدة
كلسك فخططه بماء سحابة
تشي الضجيع يبارد بسلام
أو عاتق كنم الذبيح مدام
نفج الحقيبة بوضها متنصد
بلها غير وشيكة الاقسام
بنيت على قطن أجم كأنه
وتكاد تكسل أن نجى فراشها
أما النهار فلا أفتري أذكرها
أقسمت أنساها وأترك ذكرها
بل من لعاذلة تلوم سفاهة
ولقد عصيت على الهوى لوامي

(١) ينبتهم معناه ياتونهم مرة بعد مرة . وفي رواية ينبتهم أي يتناولهم . (٢) قال الخشني

في غريب السيرة : المنايا ، أراد المنايا فزاد الهمزة وقد تكون منقلبة من الباء الزائدة في منية .

بكرت إلى بسخرة بعد الكرى
 زعمت بأن المرء يكرب عمره
 إن كنت كاذبة الذي حدثت
 ترك الأحية أن يقاتل دونهم
 يذر العناجيج الجياد بفترة
 ملأت به الفرجين فارمدت به
 وبنو أبيه ورهطه في معرك
 طعنهم والله ينفذ أمره
 لولا الآله وجربها لتركته
 من بين مأسور يشد وثاقه
 ومجدل لا يستجيب للدعوة
 بالعار والذل المبين إذا رأى
 يدي أغر إذا انتمى لم يحز
 بيض إذا لاقت حديدا صمت
 وتقارب من حادث الأيام
 عدم لعنكر من الإصرام
 فنجوت منجى الحارث بن هشام
 ونجا برأس طمرة ولجام
 مرّ الذمول بمحصد ورجام
 ونوى أحبته بشر مقام
 نصر الآله به ذوي الاسلام
 حرب يشب سعيها بضرام
 جزر السباع ودسته بحوام
 صقره إذا لاقى الأسنه حام
 حتى تزول شوامخ الأعلام
 بيض السيوف تسوق كل هام
 نسب القصار مُميدع مقدم
 كالبرق تحت ظلال كل غمام

قال ابن هشام تركنا في آخرها ثلاث أبيات أقدع فيها . قال ابن هشام فأجابه الحارث بن هشام
 أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال :

القوم ^(١) أعلم ما تركت قتالهم
 وعرفت أني إن أقاتل واحدا
 فصدت عنهم والأحية فيهم
 وقال حسان أيضا :

يحار قد عولت غير معول
 إذ تمتطي سرح الدين نجيب
 والقوم خلفك قد تركت قتالهم
 ألا عطفت على ابن أمك إذ نوى
 محل الملك له فاهلك جمه
 عند الهياج وساعة الإحساب
 مرطى الجراء طويلة الأقراب
 ترجو النجاء وليس حين ذهاب
 قصص الأسنه ضائع الاسلاب
 بشار مخزية وسوم عذاب

(١) في ابن هشام : الله أعلم . (٢) كذا في الخلية ، وفي ابن هشام : حتى حبوا مهري ،
 وفي النهيلي ، علوا مهري . وقوله في البيت الثالث « يوم مفسد » التي في الشواهد يوم مرصد .

وقال حسان أيضا :

لقد علمت قريش يوم بدر
بأننا حين تشتجر العوالي
قتلنا ابني ربيعة يوم سارا
وفرّ بها حكيم يوم جالت
وولت عند ذاك جموع قهر
لقد لاقيتموا ذلاً وقتلاً
وكلّ القوم قد ولّوا جميعاً
وقالت هند بنت أمية بن المطلب ترضى عبيدة بن الحارث بن المطلب :

لقد ضمن الصفرأ مجداً وسودداً
وحلماً أصيلاً وافر اللبّ والعقل
عبيدة فابكر لأضياف غربة
وأرملته تهوي لأشعث كالجلد
وبكته للأقوام في كل شتوة
إذا احمر آفاق السماء من الحل
وبكته للأيتام والريح زفر
وتشيب قدير طالما أزدت تغلي
فإن تصبح النيران قد مات ضوءها
لطارق ليل أو للمشمس القهرى
فقد كان يذكهن بالخطب الجزل
ومستنبح أضحى لديه على رسل

وقال الاموى في مغازيه حدثني سعيد بن قطن قال قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤاها

التي رأت وتذكر بدمراً :

ألمّا تكن رؤياي حقاً ويأتكم
رأى فأنام باليقين الذي رأى
قتلتم ولم أ كذب عليكم وإنما
وما جاء إلا رهبة الموت هاربا
أظمت سيوف الهند دون رموسكم
كان حريق النار لمع قلباتها
ألا باني يوم اللقاء محمداً
مرى بالسيوف المرفعات نفوسكم
فكم بردت أسيافه من مليكة
فما بال قتل في القلب من مثلهم
بتأويلها فل من القوم هارب
بمينه ما تفري السيوف القواضب
يكذبني بالصديق من هو كاذب
حكيم وقد أعيت عليه المذاهب
وخطية فيها الشبا والتغالب
إذا ما تماطتها القيوت المشاغب
إذا غص من عون الحروب الغوارب
كفاحاً كما نمرى السحاب الجنائب
وزعزع ورد بعد ذلك صالب
لدى ابن أخي أسرى له ما يضارب

فكانوا نساءً أم أتى لنفوسهم من الله حين ساق والحين حالب
فكيف رأى عند اللقاء محمداً بنو عمه والحرب فيها التجارب
ألم تفشكم ضرباً بحارٍ لوقعه السجبان وتبدو بالنهار الكواكب
حلفت لئن عادوا لنضطليهم بحاراً تردى فجرتها المقائب
كان ضياء الشمس لمع ظلماتها لها من شعاع النور قرن وحاجب
وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الاموى :

هلاً صبرتم للنبي محمداً بيدرومن يفشى الوغى حق صابر
ولم ترجعوا عن مرهفات كأنها حريق بايدي المؤمنين بوتر
ولم تصبروا للبيض حتى أخذتموا قليلاً بايدي المؤمنين المشاعر
ووليتموا نفرأ وما البطال الذي يقاتل من وقع السلاح بنافر
أنا كم بما جاء النبيون قبله وما ابن أخي البر الصدوق بشاعر
سيكفي الذي ضيعتموا من نبيكم وينصره الحيات عرو وعامر

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه وهو بعد على دين قومه إذ ذاك :

ألا إن عيني أنفذت دمعها سكباً تبكي على كعب وما إن ترى كعباً
ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا وأرداهو إذا الدهر واجترحو أذنا
وعامر تبكي للدمات غدوة فياليت شعري هل أرى لهم قرباً (١)
فيا أخويننا عبد شمس ونوفل فداً اكملوا تبعثوا بيننا حرباً
ولا تصبحوا من بعد وذر وإلفه أحاديث فيها كلكم يشكي التكب
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وحرب أبي يكسوم إذ ملثوا الشعبا (٢)
فلولا دفاع الله لا شيء غيره لاصبحتموا لا تمنعون لكم سرباً
فما إن جنينا في قريش عظيمة سوى أن حميناخيراً من وطئ التراب
أخا ثقير في الثابت مرزاً كرباً ثناء لا بخيلاً ولا ذرباً
يطيف به العاقون يغشون بابه يؤمون نهراً لا نزوراً ولا ضرباً

(١) وأورد ابن هشام بعد هذا البيت :

ها أخوأي لم يعدا لنية تعد ولن يستام جارها غصبا

(٢) كذا في الاصلين ، وفي ابن هشام : وجيش أبي يكسوم إذ ملأ الشعبا .

فوالله لا تنفك نفسي حزينه تملح حتى تصدقوا الخرزج الضربا

فضيلة

وقد ذكر ابن اسحاق اشعارا من جهة المشركين قوية الصنعة يرون بها قتلاهم يوم بدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مرداس أخى بنى محارب بن فهر وقد أسلم بعد ذلك ، والسهيلي في روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك :

عجبت لفخر الأوس والحين دأر	عليهم غداً والدهر فيه بصائر
ونفخر بني النجار إن كان معشر	أصيبوا ببدر كلهم ثم صائر
فإن تك قتل غودرت من رجالنا	فأنا رجالاً بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد المناجيج وسطكم	بني الأوس حتى يشفي النفس فائر
ووسط بني النجار سوف نكرها	لها بالقنا والدارعين زوافر
فترك صرعى تعصب الطير حولهم	وليس لهم إلا الاماني ناصر
وتبكيهم من أرض يدرى نسوة	لمن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أفا لا نزال سيوفنا	بن دم ممن بجارين مائر
فإن تظفروا في يوم بدر فأنما	باحد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه	يحامون في اللاواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحره فيهم	ويدعى علي وسط من أنت ذا كر
أولئك لامن نتجت من ديارها	بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوم من لؤي بن غالب	إذا عنت الانساب كعب وعامر
هم الطاعنون السيل في كل معرك	غداة الهياج الأطيبون الا كابر

فاجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفناها وهي قوله :

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهر

قال ابن اسحاق : وقال أبو بكر واسمه شداد بن الاسود بن شعوب .

قلت : وقد ذكر البخاري أنه خلف على امرأة أبي بكر الصديق حين طلقها الصديق وذلك

حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر :

نحبي بالسلامة أم بكر وهل لي بعد قومي من سلام
فإذا بالتليسر قليب بدر من القينات والشرب الكرام

وماذا بالقلب قلب بدر من الشيزي تكلل بالسنام
 وكم لك بالطوي طوي بدر من الحومات والنم المسام
 وكم لك بالطوي طوي بدر من الفايات والوسع العظام
 وأصحاب الكرم أبي علي أخني الكأس الكريمة والندام
 وانك لو رأيت أبا عقيل وأصحاب الثغير من نعام
 إذا لظلت من وجدهم عليهم كأنهم السقب جائلة المرام
 بخبرنا الرسول لسوف نحيا وكيف حياة أصداء وهم

قلت وقد أورد البخاري بعضها في صحيحه ليعرف به حال قائلها. قال ابن اسحاق وقال أمية بن
 أبي الصلت برني من قتل من قرش يوم بدر:

ألا بكيت على الكرام أولي الملاح
 كبك الحام على فرو ع الأيك في الفصن الجوانح
 يمين حرأ مستكي نلت برجن مع الروانح
 أمثلن الباكية ت المولات من النوانح
 من ييكم ييكي على حزن ويصنق كل مادح
 ماذا ييدر والعقة قل من مرأبة ججاج
 فدافع البرقين فالحنان من طرف الأواشح
 قحط وشبان بها ليل مغاور وحلوح
 ألا نرون لما أرى ولقد أبان لكل لامح
 أن قد تغير بطن مكة فعي موحنة الأطلح
 من كل بطريق لبطريق نقي الود واضح
 دعو من أبواب الملو لك وجائب للخرق فأنح
 ومن السراطة الخلاجة الملاونة المناجح
 القائلين القاعا بين الأمرين بكل صالح
 المطين الشحم فو ق الخبز شحماً كالاتح
 نقل الجنان مع الجفان ن إلى جانب كللناضح
 ليست بأصفار لمن ينفو ولا رخ رجارح
 للضيف ثم الضيف بعد الضيف والبسط السلاطح

وَهَبَ الْمُتَيْنِ مِنَ الْمَكَّةِ إِلَى الْمُتَيْنِ مِنَ الْوَقَائِعِ
 سَوْقَ الْمُؤْتَلِّ لِلْمُؤْتَلِّ صَادِرَاتٍ عَنْ بِلَادِ
 لِكْرَامِهِمْ فَوْقَ الْكِرَامِ مِزِيَّةٌ وَزُنُ الْوَرَاكِ
 كُنَاقِلِ الْإِرْطَالِ بِالْأَقْسَاطِ بِالْأَيْدِي الْمَوَاحِ
 خَذَلْتَهُمَا فَتَةً وَهُمْ يَحْمُونَ عَوْرَاتِ الْفَضَائِحِ
 الضَّارِبِينَ التَّقْدِيمِيَّةَ بِالْمُهَنْدَةِ الصَّفَائِحِ
 وَتَعْدُ عَنَائِي صَوْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُسْتَقِيٍّ وَصَائِحِ
 اللَّهُ دَرٌّ نَبِيٍّ عَلَى أَيْمٍ مِنْهُمْ وَنَاكِحِ
 إِنْ لَمْ يُغَيِّرُوا غَارَةَ شِعْوَاهُ فَتَحْجُرْ كُلَّ نَابِغِ
 بِالْمُقَرَّبَاتِ الْمُبْعِدَاتِ الطَّامِحَاتِ مَعَ الطَّوَامِغِ
 مُرَدًّا عَلَى جُرْدٍ إِلَى أَسَدٍ مَكَالِبَةٍ كَوَالِغِ
 وَيَلَاقِ قِرْنَ قِرْنَهُ مَقْيً الْمُصَافِحِ لِلْمُصَافِحِ
 بَرْهَاءَ أَلْفٍ نَمِ أَلْفٍ بَيْنَ ذِي بَدَنِ وَرَامِغِ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين قال فيهما من أصحاب رسول الله (س) (١١)

قلت : هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس الذي حمله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح
 المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللثام والجهلة
 الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله نحر البشر ومن وجه أنور من القمر ذي
 العلم الأكل والعقل الأشمل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق والسابق إلى الخيرات وفعل
 المكرمات وبذل الألوف والمئات في طاعة رب الأرض والسماوات ، وكذلك بقية أصحابه الغر
 الكرام الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والاسلام رضى الله عن جميعهم ما اختلط
 الضياء والظلام . وما تماقت الليالي والايام . وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردتها ابن اسحاق رحمه
 الله خوف الاطالة وخشية الملالة وفيها أوردنا كفاية لله الحمد والمنة . وقد قال الأُموي في مغاليزه
 سمعت أبي حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله (س) عفا عن شعر
 الجاهلية . قال سليمان فذكر ذلك الزهري فقال : عفا عنه إلا قصيدتين ؛ كلمة أمية التي ذكر فيها
 أهل بدر ، وكلمة الاعشى التي يذكر فيها الاخوص . وهذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا
 متروك والله أعلم .

(١) يوجد في بعض هذه القصائد اختلاف وتحريف اعتمدنا في تصحيحه على ابن هشام والخشني .

قال ابن اسحاق : وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر في عقب شهر رمضان - أو في شوال - ولما قدم المدينة لم يقيم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري - أو ابن أم مكتوم الأعشى - قال ابن اسحاق : فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا العقدة وأفدى في أقامته تلك جل الاسارى من قريش .

قصص الأنبياء

غزوة بني سليم سنة ثنتين من الهجرة

قال السهيلي : والقرقرة الأرض المساء ، والكدر طير في ألوانها كدرة . قال ابن اسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان من أعلم الانصار - حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، فخرج في مائتي راكب من قريش لتبريمه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على يريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كثرهم ، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالاً من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها المريض فخرقوا في أصوار من نخل بها ووجدوا رجلاً من الانصار وحليفاً له في حرث لها فقتلوهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر ، قال ابن اسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة قد القاهوا المشركون يتخفون منها وعانتها سويق ، فسميت غزوة السويق . قال المسلمون : يارسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال نعم . قال ابن اسحاق وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلام بن مشكم اليهودي :

وإني تخيرت المدينة واحداً لحلف فلم أنعم ولم أتقوم
سقائي فرواني كينا مدامة على عجل مني سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن لافرجه أبشر بعز ومنم

تأمل فإن القوم سر وإنهم صريح لوى لاشطاطيط جرم
وما كان إلا بعض ليلة راكب أتى ساعيا من غير خلة معدم

قصته

في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدر لما رواه البخاري ومسلم من طريق الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال : كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطاني شارقا مما أفاء الله من الخس يومئذ فلما أردت ابنتي فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعديت رجلا صواغا من بني قينقاع أن يرثي معي فنانا بأذخر فارديت أن أبيعه من الصواغين فاستمعين به في ولية عرسي فبينما أنا أجمع لشارفي من الاقناب والقرار والحبال وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الانصار حتى جمعت ما جمعت ، فاذا أنا بشار في قد أحيت أسنمتيما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما ، فلم أملك عيني حين رأت المنظر فقلت من فعل هذا ؟ قالوا فله حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت وهو في شرب من الانصار وعنده قيته وأصحابه ، فقالت في غنائها :

• ألا يا حمز للشرف النواء

فوثب حمزة إلى السيف فاجب أسنمتيما وبقروا صرهما وأخذ من أكبادهما ، قال علي فانطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لقيت فقال مالك ؟ قلت يا رسول الله ما رأيت كالיום عدا حمزة على ناقتي فاجب أسنمتيما وبقروا صرهما وها هو ذا في البيت معه شرب فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بردائه فارتداه ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن عليه فاذن له ففلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلام حمزة فيما فعل فاذا حمزة ثمل حمرة عيناه فنظر حمزة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم صعد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة : وهل أنتم الا عبيدا لأبي ففرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ثمل فنكص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عقبيه القهقري فخرج وخرجنا معه . هذا لفظ البخاري في كتاب المغازي وقد رواه في أما كن آخر من صحيحه بالفاظ كثيرة وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خست لا كما زعم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الاموال من أن الخس انما نزل بعد هزمتها وقد خالفه في ذلك جماعة منهم البخاري وابن جرير وبيننا غلطه في ذلك في التفسير وفيما تقدم والله أعلم . وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضي الله عنهم قبل أن تحرم الخمر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتي وذلك

قبل تحريم الخمر والله أعلم . وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبادة السكران مسلوحة لا تأثير لها
لا في طلاق ولا اقرار ولا غير ذلك كما ذهب اليه من ذهب من العلماء كما هو مقرر في كتاب الاحكام
وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجل سمع عليا يقول : أردت أن
أخطب الى رسول الله ﷺ ، ابنته فقلت ما لي من شيء ثم ذكرت عائده وصلته فخطبتها اليه فقال
« هل لك من شيء ؟ » قلت لا قال « فأين درعك الخطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » قال هي
عندي قال فأعطينها قال فأعطينها إياه هكذا رواه احمد في مسنده وفيه رجل مبهم وقد قال أبو
داود حدثنا اسحاق بن اسماعيل الطالقاني ثنا عبدة ثنا سعيد عن ابوب عن عكرمة عن ابن عباس
قال : لما تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما قال له رسول الله ﷺ : أعطها شيئا قال ما عندي شيء .
قال أين درعك الخطمية ؟ ورواه النسائي عن هارون بن اسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن
أبي عروبة عن أبوب السخيتاني به . وقال أبو داود حدثنا كثير بن عبيد الحمصي ثنا أبو حيوة عن
شعيب بن أبي حمزة حدثني غيلان بن أنس من أهل حمص حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان
عن رجل من أصحاب النبي ﷺ : أن عليا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، أراد أن يدخل بها
فمنعه رسول الله ﷺ ، حتى يعطيها شيئا فقال يا رسول الله ليس لي شيء فقال له النبي ﷺ : « أعطها
درعك » فأعطها درعه ثم دخل بها . وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو
العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني
عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت مولاة لي
هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ ، قلت لا ، قالت قد خطبت فما يمنعك أن تأتي
رسول الله ﷺ ، فيزوجك ، فقلت وعندي شيء أتزوج به ؟ فقالت أنك إن جئت رسول الله ﷺ ،
زوجك ، قال فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ ، فلما أن قعنت بين يديه أغمت
فوالله ما استطعت أن أتكلم جلاله وهيبه فقال رسول الله ﷺ : « ما جاء بك ألك حاجة ؟ فسكت
فقال لعلك جئت تخطب فاطمة ، فقلت نعم ! فقال « وهل عندك من شيء تستحلها به » فقلت لا
والله يا رسول الله فقال « ما فعلت درع سلحتكها » فوالذي نفس علي بيده أنها لخطمية ما قيمتها
أربعة دراهم فقلت عندي . فقال قد زوجتكها فأبعت إليها فاستحلها بها ، فان كانت لصدقا
فاطمة بنت رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : فولدت فاطمة لعل حسنا وحسينا ومحسنا - مات
صغيراً - وأم كلثوم وزينب ثم روى البيهقي من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن علي قال جهز
رسول الله ﷺ ، فاطمة في خميل وقرية ووسادة آدم حشوها اذخر . ونقل البيهقي عن كتاب المعرفة
لابي عبد الله بن منده أن عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك سنة أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر يسير فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية والله أعلم .

فصل في

جمل من الحوادث سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وذكروا ما سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركون ، فكان ممن توفى فيها الشهداء يوم بدر وهم أربعة عشر ما بين مهاجرى وأنصارى تقدم تسميتهم ، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفى بعد الوقعة ييسير أبو لهب عبد العزى ابن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم ، ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركون وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله (س) قد توفيت وسأوا عليها التراب . وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبي (س) له بذلك . ولهذا ضرب له بسهمه في مغنم بدر وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوجه باختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله (س) ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين ويقال إنه لم يفلح أحد على ابنتى نبي واحدة بعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه . وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد فى صلاة الحضر على ما سلف ، وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم . وفيها فرضت الزكاة ذات النصب وفرضت زكاة الفطر وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود بنى حارثة وصانعو المسلمين وأظهر الاسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم فى الباطن مناقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من أنحل بالكلية فبقى مذنباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله فى كتابه .

قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله (س) المعادل وكانت معلقة بسيفه قال ابن جرير وقيل إن الحسن بن علي ولد فيها ، قال وأما الواقدي فإنه زعم أن ابن أبي سبرة حدثه عن اسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر أن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة فى ذى الحجة منها قال فان كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الاول باطل .

تم الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية

ويليه الجزء الرابع وأوله سنة ثلاث من الهجرة

فهرست

الجزء الثالث

من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٥٧ - فصل	٢ - باب كيفية بدء الوحي
٦٠ - باب - مجادلة المشركين رسول الله (ص)	٤ - ذكر عمره (ص) وقت بعثته وتاريخها
وإقامة الحجّة الدامغة عليهم .. الخ	١٦ - فصل
٦٦ - باب - هجرة اصحاب رسول الله من	١٨ - فصل
مكة الى ارض الحبشة .	٢١ - فصل - في كيفية بدء اتيان الوحي الى
٨٣ - فصل	رسول الله (ص)
٨٤ - فصل	٢٣ - فصل
٩٣ - عزم الصديق على الهجرة الى الحبشة	٣٣ - فصل
٩٥ - فصل	٢٤ - فصل - اول من اسلم من متقدمي الاسلام
٩٥ - نقض الصحيفة	والصحابا وغيرهم
٩٨ - فصل	٣٣ - اسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي (ص)
١٠١ - قصة أعشى بن قيس .	٣٤ - ذكر اسلام ابي ذر رضي الله عنه
١٠٣ - قصة مصارعة ركانة - وكيف اراه (ص)	٣٦ - ذكر اسلام ضماد
الشجرة التي دعاها فأقبلت	٣٨ - باب الأمر بإبلاغ الرسالة
١٠٧ - فصل	٤٥ - قصة الأراشي
١٠٨ - فصل	٤٥ - فصل
١٠٨ - فصل - الإسراء برسول الله (ص) من	٤٧ - فصل
مكة الى بيت المقدس	٤٩ - فصل - في مبالغتهم في الأذية لأحادي
١١٧ - فصل	المسلمين المستضعفين
١١٨ - فصل - انشقاق القمر في زمان	٤٩ - فصل - فيما اعترض به المشركون على
النبي (ص)	رسول الله (ص) .. الخ

١٢٢ - فصل - وفاة ابي طالب عم رسول الله (ص)

١٢٧ - فصل - موت خديجة بنت خويلد

١٣٠ - فصل - في ترويجه (ص) بعد خديجة بعائشة ثم سودة .

١٣٣ - فصل

١٣٥ - فصل - في ذهابه (ص) الى الطائف يدعوهم الى دين الله

١٣٧ - فصل

١٣٨ - فصل في عرض رسول الله (ص) نفسه الكريمة على احياء العرب

١٤٧ - فصل - قدوم وفد الانصار عاماً بعد

عام حتى بايعوا رسول الله (ص) بيعة بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول اليهم رسول الله (ص) الى المدينة

١٤٨ - اسلام اياس بن معاذ

١٤٨ - باب - بدء اسلام الانصار رضي الله عنهم
١٥٨ - قصة بيعة العقبة الثانية

١٦٥ - فصل

١٦٨ - باب - الهجرة من مكة الى المدينة

١٧٤ - فصل - في سبب هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة

١٧٧ - باب - هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة من مكة الى المدينة ومعه ابو بكر الصديق رضي الله عنه

١٩٦ - فصل - في دخوله عليه السلام المدينة وأين استقر منزله

٢٠٥ - فصل

٢٠٦ - وقائع السنة الاولى من الهجرة

٢٠٩ - فصل

٢١٠ - فصل - في اسلام عبدالله بن سلام

٢١٢ - فصل

٢١٣ - ذكر خطبة رسول الله (ص) يومئذ

٢١٤ - فصل - في بناء مسجده الشريف ومقامه بدار ابي ايوب

٢١٩ - تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف

٢٢٠ - فصل

٢٢١ - فصل - فيما اصاب المهاجرين من حمى المدينة

٢٢٤ - فصل - في عقده عليه السلام الألفة

بين المهاجرين والانصار بالكتاب الذي امر به فكتب بينهم، والمؤاخاة التي امرهم بها وقررها عليهم وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

٢٢٦ - فصل - في مؤاخاة النبي (ص) بين المهاجرين والانصار

٢٢٩ - فصل

٢٣٠ - فصل - في ميلاد عبدالله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

٢٣٠ - فصل - وبني رسول الله (ص) بعائشة في شوال من هذه السنة

٢٣١ - فصل

٢٣١ - فصل - في الأذان ومشروعيته ✓

صفحة	صفحة
٢٨٧ - مقتل ابي جهل لعنه الله	٢٣٤ - فصل - في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
٢٩١ - رده عليه السلام عين قتادة	٢٣٤ - فصل - في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب
٢٩١ - فصل - قصة اخرى شبيهة بها	٢٣٤ - فصل
٢٩٢ - طرح رؤوس الكفر في بشر يوم بدر	٢٣٥ - فصل
٢٩٦ - فصل	٢٣٦ - ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة
٣٠٠ - فصل	٢٣٦ - كتاب المغازي
٣٠١ - فصل	٢٣٧ - فصل
٣٠٣ - فصل	٢٤٠ - فصل
٣٠٥ - مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي لعنهما الله	٢٤١ - فصل - اول المغازي وهي غزوة الأبراء او غزوة ودان
٣٠٧ - ذكر فرج النجاشي بوقعة بدر	٢٤٦ - غزوة بواط من ناحية رضوى
٣٠٨ - وصول خبر مصاب اهل بدر الى اهلهم بمكة	٢٤٦ - غزوة العشيرة
٣١٠ - بمث قرش الى رسول الله (ص) فداء اسرام	٢٤٧ - غزوة بدر - الاولى
٣١٤ - فصل	٢٤٨ - باب سرية عبد الله بن جحش
٣١٤ - فصل	٢٥٢ - فصل - في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر
٣١٥ - اسماء اهل بدر مرتبة على حروف المعجم -	٢٥٤ - فصل - في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر
٣١٥ - حرف الالف	٢٥٦ - غزوة بدر العظمى - يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
حرف الباء	٢٨٥ - مقتل ابي البختری بن هشام
٣١٦ - حرف التاء	٢٨٥ - فصل - في مقتل امية بن خلف
حرف الثاء	
حرف الجيم	

صفحة

٣٢٥ - حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٣٢٥ - باب الكنى

٣٢٦ - فصل

٣٢٨ - فصل في فضل من شهد بدرأ من المسلمين

٣٣٠ - قدوم زينب بنت الرسول (ص) من
مكة الى المدينة

٣٣٣ - ما قيل من الأشعار في بدر العظمي

٣٤١ - فصل

٣٤٤ - فصل - في عزوة بني سليم سنة ثنتين
من الهجرة٣٤٧ - فصل - جمل من الحوادث سنة ثنتين
من الهجرة

صفحة

٣١٧ - حرف الحاء

حرف الخاء

٣١٨ - حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

٣١٩ - حرف السين

٣٢٠ - حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

٣٢٣ - حرف الفين

حرف القاء

حرف القاف

حرف الكاف

٣٢٤ - حرف الميم



